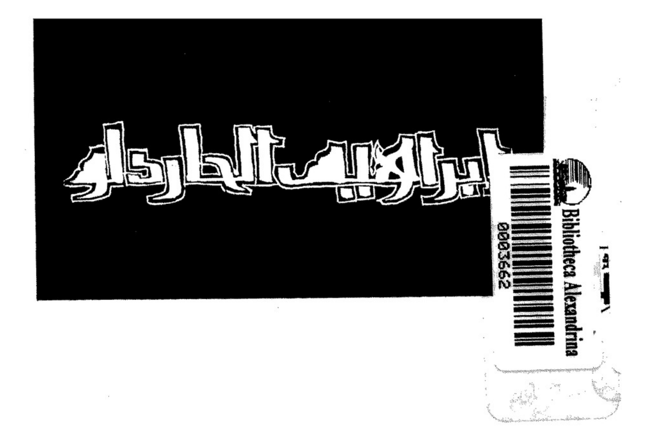
الرباط الثقافي بين مصر والسودان



د. ابراهـيم الحاردلو

الرباط الثقافى بين مصر والسودان



دار جـامعة الخرطوم للنشـر

الناشـــــرون :
دار جـامعة الخرطوم للنشـــر
ص . ب ٣٢١
الخرطـــوم

الطبعـــة الأولى
١٩٧٧

الطابعـــون :
دار الطباعـــة
دار جـامعة الخرطوم للنشـــر
الخرطـــوم

المحتويات

مقدمـــة

حين يكتب الكاتبون عن العلاقة بين بلد وآخر لا يهتمـون إلا بالتاريخ السياسى بالجيوش التى دخلت والمعارك التى وقعت والمدن التى خربت والحكومات التى ذهبت أما الثقافة والفكر والأجتماع يمرون عليها مرور الكرام ، وقد تنبه المؤرخون قريباً إلى النواحى الاقتصادية والاجتماعية ولكن لم يحتفلوا بها احتفالهم بغيرها من الجوانب التقليدية.

أما قصة هذا الكتاب الذى بين يديك تعود إلى عام ١٩٧٣ م حين وجدت نفسى أعمل مستشاراً ثقافيا فى سفارة السودان بالقاهرة . عنّ لى ان ابحث فى القاهرة عامة والسفارة بخاصة عن بعض الوثائق التى تتصل بالثقافة بين مصر والسودان وكنت اعلم ان سفارة السودان فى القاهرة هى أقدم مؤسسة قامت بين البلدين تهتّم بالشئون بينهما اذ كانت تسمى وكالة حكومة السودان ثم أصبحت سفارة بعد استقلال السودان عام ١٩٥٦ وقد عثرت على بعض الوثائق السرية الهامة التى تركها الانجليز فى المبنى بعد ان رحلوا . وليس من شك أنهم أخذوا تلك الوثائق التى تتحدث عن الجوانب السياسية الصريحة ولكن ما تركوا يلقى الضوء على العلاقة الثقافية والتعليمية التى أرادوا ان تكون بين مصر والسودان.

وهذا مما جعل الدراسة التى اقدمها فى هذا الكتاب ترتكز على خلفية تاريخيـــة سياسية اذ كانت هى التى توجه تلك الصلة الثقافية بين مصر والسودان وعلى ضوئها وبموجبها ترسم السياسة التعليمية فى السودان .

فقد بدأت الكتاب بخلفية تاريخية عن الصلات القديمة بين مصر والسودان والتى كثيراً ما ترد على لسان الخطباء والشعراء بأنها صلات أزلية ويحسب كثير من الناس ان هذه صفة اقتضتها فصاحة العربية وشغف الخطباء بمثل تلك الصفات ولكنها حقيقـــة تؤكدها الوثائق التى لا يرقى اليها الشك . ثم انتقلت إلى العهد التركى وفترة المهدية حتى جاء الإنجليز وبدأ الصراع بين مصر وبريطانيا حول هذه العلاقة . فكان الحديث قبل مجىء الانجليز واحتلالهم السودان تذكيرا لك بما تعلم وتمهيداً لما يتلوه من حديث للصلة كشفت عنه الوثائق التى ذكرت لك .

وقد جرى هذا كله فى أسلوب مباشر تركت فيه الوثائق تتحدث حتى ترى كيف

كانت هذه العلاقة وما تعرضت له مما لم نكن نعلم منه الا مظاهر لا تغنى عن الحقيقة .

وتحدثت فى الختام عن النهضة الأدبية فى السودان واتصالها بالنهضة فى مصر فى الثلاثينات من هذا القرن والنزعة الاستقلالية فى الأدب السودانى متأثرة بالصراع السياسى الذى كان يدور فى الداخل والخارج .

فإن وجدت فى هذا الكتاب ما يزيدك معرفة أو يضيف جديداً فهذا كان قصدى وأملى وان كانت الأخرى فالتبعة علىّ .

وما التوفيق الا من عند الله ..

٢٦ر٥ر١٩٧٧ م . إبراهيم الحاردلو ،،

خلفيـــة تاريخيـــة

الصـــلات القديمـــة :

أن المنطقة الممتدة من الشلال جنوب اسوان إلى دنقلة قد عرفت فى التاريخ ببلاد النوبة وهذا تحديد تقريبى غير دقيق ولعل هذه الرقعة من الارض تمتد جنوبا إلى مروى وتتوغل فى الجنوب أكثر من هذا . وسوف يكشف لنا هذا بعد حين اذا ما استمرت الابحاث فى تلك المنطقة . وعرفت منطقة بلاد النوبة بأرض الذهب عند المصريين القدامى فأنهم كانوا يسمون الذهب « نوب » (١) وكانت هذه المنطقة من شمال السودان ملتقى لحضارات وجيوش ومعارك اتصلت دهرا من الدهر . وليس من شك ان الصلة بين مصر وبلاد النوبة لم تنقطع فى الحرب والسلم منذ ان كانت مصر وكانت ارض الذهب . فما أشد تعلق المصريين بالذهب الذى ظل يدفعهم نحو الجنوب منذ القدم وحتى بداية القرن الماضى حين كان من أهم الأسباب التى جعلت محمد على يجهز حملته لفتح السودان . وما أشد تعلق اهل شمال السودان بالغزو فى الزمن السحيق ، وما أقواهم على الحرب ومراسها وكم من مرة استعان بهم اخوانهم فى مصر ، وفزعوا اليهم فنصروهم فى رد الغـــزو الخارجى . وما أكثر تطلعهم إلى الارض الخصبة فى شمال الوادى وعند منحدره .

فان الجبانات الكثيرة التى اكتشفت فى منطقة النوبة أكدت ان الحضارة النوبية التى بقيت حتى أواخر الاسرة الثانية ٢٧٨٠ ق . م لا تختلف فى شىء عن الحضارة المصرية ولا يختلف سكانها فى مميزاتهم الجسدية عن المصريين (٢) .

وفى العهود التالية توغل المصريون فى الكشف عن هذه البلاد المجهولة بشق الطريق بينها وبين مصر ، والمخاطرة احيانا بالتوغل الى الجنوب ، ضاربين فى الصحراء الغربية بطريق درب الاربعين حتى وصلوا الى دار فور فى غرب السودان. وكانوا يسمون هذه المنطقة الموغلة فى ارض السودان الحديث بمنطقة (ايام) . وكثيرا ما توسط حكام مصر بين حكام(ايام) فى غرب السودان وحكام ليبيا فى الحرب التى كانت تنشب بينهما. فهذا ملك

---

(١) وولتر امرى ، مصر وبلاد النوبة ، ترجمة حندوسة ، القاهرة ١٩٧٠ ص ١٠

(٢) نفس المصدر ص ١٢٧

مصر(مرن رع) يبعث سفيره حرخوف في رحلة الى السودان فيؤدى مهمته احسن اداء فى الصلح بين قبيلة (ايام) وقبائل ليبيا ثم يعود مثقلا بالهدايا يصحبه حراس حتى يصل الى مصر . هذا والمؤرخون لايدرون على وجه التحقيق مدى هذا التوغل فى السودان لقلة المصادر وعدم دقة الاخبار التى اعتمدوا عليها . فأن القزم الذى احضره (حرخوف) من السودان فى رحلته الاخيرة يدل على انه ذهب ابعد من دارفور وربما وصل جنوب السودان . ومهما تقل المصادر فأن الصلة بين هذه القبائل التى كونت السودان الحديث كانت متصلة بمصر على مر العصور يؤكد هذا التشابه فى الميزات الجسدية والآثار الحضارية التى تأثر بعضها ببعض واخذ بعضها عن بعض .

« ولقد سجل موظف شغل منصب مساعد الخزانة فى عصر الملك (امنحات الثانى) يدعى (سيحتحور) على لوحته الجنائزية فى (ابيدوس) لقد زرت اراضى المناجم فى صباى واجبرت الحكام (النوبيين) ان يغسلوا الذهب واحضرت ملخيت ووصلت الى النوبة التى تتبع الزنوج » (١)

فأين حدود النوبة التى تتبع الزنوج ؟ هى بلا شك السودان الحديث .

ولاننسى ان بعنخى النوبى الذى حكم مصر والنوبة لم يكن غازيا لمصر بل كان يعتبر حكمه لها امرا طبيعيا . وأنه انقذ كل المنطقة من الوهدة التى تردت فيها . فقد كان جيشه يضم الجنود من المصريين والنوبيين ولايشير فى سجله لانتصاره على حكام الشمال الا بأنهم من الشمال ، كأنها بلد واحد، وكان كثير من المصريين يعتبرون بعنخى منقذا لهم وباعثا لحضارة وادى النيل كله . (٢)

وفى عهد (طهارقا) وهو من اسرة بعنخى توحد وادى النيل تحت حاكم واحد من اقصى الجنوب فى السودان حتى شواطىء البحر الابيض .

ثم جاءت الحضارة المروية ممتدة الى الجنوب وكانت متأثرة بالحضارتين المصرية والنوبية فى شمال الوادى فى لغتها وطريقة الحياة والحكم . وقد شملت الامبرطورية المروية كل شمال السودان . وكانت المملكة المروية تنازع الروم بعد احتلالهم لمصر

---

(١) نفس المصدر ص ١٦١

(٢) نفس المصدر ص ٢٢٥

وتحاربهم للسيطرة على بلاد النوبة . وقد توغلوا فى زحفهم حتى أسوان فى عهد ملكة مروى (كانداكى) (١)

وهنالك اشارات من المؤرخين ان قبائل النوباتاى ، وهى فرع من النوبة الذين غزوا منطقة الجزيرة وقضوا فى القرن الرابع الميلادى على الامبراطورية المروية ، كانوا اصلا من النوبة الذين استوطنوا كردفان . وهذا دليل آخر على تداخل هذه القبائل وارتباطها بعضها ببعض . وأكبر الظن ان القبائل التى اتخذت كردفان موطنا لها كانت متصلـــة بقبائل ليبية واخرى فى شرق السودان وغربه وجنوبه . ولكن كان هذا الاتصال محكوما بوعورة الطرق وتخلف المواصلات فى تلك العهود السحيقة . وان قيام مملكة مروى أدى الى نوع من الاستقرار فى المنطقة الوسطى وخلق حركة واسعة فى القوافل التى تحمـــل التجارة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . (٢)

ثم إن المصادر تتحدث عن قيام ثلاث ممالك نوبية فى السودان : الاولى فى الشمال عرفت (بنوباديا) واتخذت فرس عاصمة لها ، والثانية عرفت بالمقرة وكانت عاصمتها دنقلة العجوز والثالثة فى وسط السودان عرفت بمملكة علوة وكانت عاصمتها سوبا جنوب الخرطوم .

ويروى الدكتور مكى شبيكة ان الحضارة النوبية التـــى عرفت عند المؤرخين بالمجموعة (ج) ٢٣٠٠–١٦٠٠ ق. م يغلب عليها العنصر الليبى بخاصة فى النوبة السفلى(٣) وليس من السهل تحديد القبائل التى اختلطت فى هذه المنطقة من الشمال والجنوب .

وفى عهد أحمس اتجهت مصر نحو الجنوب وتوغلت بأثرها الحضارى الى (نبتة) كريمة . واتبع المصريون فى كوش وهى النوبة العليا سياسة تهدف الى صبغ سكان المنطقة بالصبغة المصرية فى دينهم وحضارتهم وطريقة حياتهم . وتنفيذا لسياسة التمصير هـــذه كان ابناء الرؤساء والزعماء فى اقاليم النوبة يفسح لهم المجال ويعينون فى الوظائف بعـــد هذه التنشئة المصرية . والمصريون من كهنة وصناع وغيرهم يفدون لكوش ويختلطون بالسكان ويؤثرون فيهم ، فكلما شب جيل فتح عيونه على مقومات حضارة مصر وأخذ

(١) نفس المصدر ص ٢٣٦

(٢) مكى شبيكه . السودان عبر القرون . القاهرة ١٩٦٦م ص ١٢

(٣) المصدر السابق ص ٣

بها وصار كالمصرى قلبا وروحا . (١)

ثم جاءت المسيحية الى مصر وانتشرت منها الى الجنوب ، فنجد ان الممالك السودانية الثلاث (نوباديا والمقرة وعلوة) قد اتخذت المسيحية دينا لها على اختلاف المذاهب . فكانت نوباديا وعلوة يعقوبية وكانت المقرة ملكانية . فانك لن تجد شيئا تتأثر به مصر لايتأثر به السودان وما من شيء يصيبها من خير أو شر الا أصاب السودان منه سهم . علاقة عضوية جدلية فى الحياة والفكر والدم .

ثم جاء عمرو بن العاص وغلب الروم فى مصر فدخل المصريون فى الاسلام افواجا افواجا . وما كان للمسلمين من مطمع فى غزو السودان . فانهم لايعلمون عنه كثيرا كما يعرفون عن مصر ، ولايرجون منه كثيرا كما يرجون من مصر فى اقتصاده وخيراتـه فاكتفوا بتمهيد الطريق لدعوتهم الاسلام كى ينتشر جنوبا بتأمين الطريق الى شمال السودان . وكانت معاهدة الصلح التى ابرمت بين ملك المقرة وعبد الله بن ابى سرح الذى خلف عمرو بن العاص على مصر . وقد فتحت هذه المعاهدة الباب واسعا للحركة بين العرب فى مصر وشمال السودان ودامت علاقة الدولة الاسلامية فى مصر بمملكة مقرة المسيحية مايقرب من ستة قرون على اساس تلك المعاهدة (٢) وادى هذا الاستقرار فى العلاقة بين الشمال والجنوب الى زيادة حجم التجارة والاتصال بين الطرفين .

وفى العهد الفاطمى فى مصر تميزت العلاقة بين مصر والسودان بالاستقرار والمصالحة والود . وتوغل المسلمون العرب فى داخل السودان حتى الخرطوم وما بعدها وكانت لهم صلات طيبة مع مملكة علوة . واتخذ الفاطميون السودانيين جنودا فى جيشهم بعد ان اصبحوا أكثر اعتمادا على عناصر غير عربية فى الجيش مثل الاتراك وغيرهم . وكانت سياسة تجنيد السودانيين فى الجيش تلقى تشجيعا من أم المستنصر ، ذلك أنها كانت سودانيـة الاصل . (٣)

بدأ اتصال السودان بمصر منذ الفتح الاسلامى طلبا للعلم . وقد برز فى علوم الدين عدد من السودانيين من النوبة من الذين تعلموا فى مصر كزيد بن ابى حبيب ، فكان

---

(١) نفس المصدر ص ٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٠

(٣) المصدر السابق ص ٢٨

والده قد سبى من النوبة فى الحملة الاسلامية على النوبة وكان من هؤلاء العلماء أبوالفيض ثوبان بن ابراهيم الملقب بذى النون المصرى .

وفى القرن الثانى عشر الميلادى نشأت ميناء على ساحل البحر الاحمر كان لها اثر كبير فى اتصال مصر بالسودان تلك هى الميناء المعروفة (بعيذاب) . فقد جذبت اليها الطامعين فى الذهب لانها عرفت بمدينة الذهب وتحولت الى أكبر ميناء للحجاج والتجار من مصر والسعودية واليمن والشام بعد ان استولى الصليبيون على فلسطين . وكانت ترسو بها السفن من اليمن والهند . وكانت هنالك ميناء سواكن جنوب عيذاب التى لعبت هى الاخرى دورا كبيرا فى حركة التجارة بين مصر وشرق السودان ووسطه .

وفى عهد المماليك زادت نسبة القبائل العربية التى فـــرت الى اواسط السودان وانتشرت من الشرق الى الغرب ،وتحولت مملكة مقرة الى مماكة اسلامية. وكان نتيجة لهذا ان زاد الاتصال بين مصر الاسلامية ومقرة الاسلامية فى شمال السودان . وقطعت مقرة تأثير الكنيسة فى مصر عن مملكة علوة فى وسط السودان ، فاضمحل نفوذ الكنيسة فى علوة وزاد نفوذ القبائل العربية المسلمة حتى قضت هذه القبائل على العناصر الاخرى ســـواء كانت دينية حضارية ام عنصرية واختلط بعضهم ببعض . وقد مهد هذا الى إنتصار مملكة الفونج الاسلامية على علوة وازالة كل عائق فى سبيل الاتصال بمصر .

ولعل أول مابدأ من علاقة ثقافية بين مصر والسودان بشكل واضح لايخطىء كل مطلع على تاريخ هذه العلاقة كان فى العهد السنارى من مملكة الفونج الاسلامية منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى . فى هذا العهد تجد الوفود من السودانيين ترد مصر قاصدة موردها العذب ، ذلك هو الأزهر الذى اصبح جامعة اسلامية فينهلون من العلم ما أمكنتهم ظروفهم ، وما وسعت قدراتهم . ثم تجد وفودا من العلماء المصريين يفدون الى السودان على غول الطريق وبعده ، متجشمين الصعاب ، فيقيمون فى السودان متخذين لهم تلاميذ ومعجبين من الدارسين ، يحيطون بهم يأخذون عنهم العلوم وربما يأخذون عنهم معارف أخرى عن الحياة فى مصر ، ولابد ان هؤلاء العلماء كانوا يشجعون تلاميذهم على الهجرة الى مصر ليأخذوا العلم من مصدره ويردوا الحوض الروى فى مكانه ، فما هم الا سواقى على شاطىء البحر .

وكان ملوك الفونج مستمسكين بالدين يحاولون جهدهم ان تكون دولتهم دولة

اسلامية قائمة على الدين . لذلك كان اهتمامهم بالعلماء واحتفاؤهم بهم شديداً فهذا الملك بادى أبو دقن يرسل الهدايا مع خبرائه ، خبراء الطريق ، الى العلماء فى الازهر. وقد مدحه الشيخ عمر المغربى مفتى الجامع الازهر وغيره من العلماء فى مصر حين وصلهم بعطاياه الجزيلة مع خبيره حمد ولد عدلان . [1]

يقول الشيخ عمر المغربى فى مدح الملك بادى من قصيدة طويلة :—

أيا ناهضـــا من مصـــر وشاطىء نيلها
وازهرهـــا المعمور بالعلـــم والذكـــر

لك الخـــير ان وافيت سنـــار قف بهـــا
وقـــوف محب وانتهـــز فرصـــة العمـــر

الى حضـــرة السلطـــان والملك الـــذى
حمـــى بيضـــة الاســلام بالبيض والسمـــر

هو المـــلك المنصور (بادى) الـــذى
له مـــدائح قـــد جلت عن العـــد والحصر

وكان بعض هؤلاء العلماء يرحل الى السودان ليلتقى بهؤلاء الملوك المحبين للعلـــم فيمكثون عندهم زمنا يفقهونهم فى الدين،ويصلون بهم في جماعة ويحيون مجالسهـــم بالمسائل الفقهية التى لاتخلو من تاريخ الاسلام وسيرة الرسول والصحابة .

وكان هؤلاء العلماء زينة تلك المجالس وموضع تقدير وتجلة عند الملوك والعامة . ومن العلماء من يعود الى مصر مرة اخرى بعد مدة تطول أو تقصر وآخرون يطيب لهم المقام فيبقون فى السودان ويتخذونه موطنا لهم. وأن كثيرا من علماء سنار من السودانيين قد درسوا فى الازهر وتخرجوا فيه . من هؤلاء الشيخ ابراهيم البولادى والشيخ عمار بن عبد الحفيظ والشيخ محمود العركى وغيرهم كثير ثم علماء قرية كترانج الذين درسوا فى الازهر وحصلوا على اجازات علمية منه ، منهم الشيخ عيسى بن بشارة الانصارى الخزرجى والشيخ احمد البدوى والشيخ احمد بن عيسى بن مضوى و ابناء احمد البدوى عبد الرحمن ومحمد[2] .

---

(١) الشاطر بصيلى، مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية القاهرة ١٩٦١م ص ١٠
(٢) عز الدين الامين ، قرية كترانج واثرها العلمى فى السودان ، الخرطوم ١٩٧٥م ص ٦٥ – ٧٥

العهد التركى

بدأت الصلة المباشرة بين مصر والسودان الحديث حين جهز محمد على باشا حملة بقيادة ابنه اسماعيل لفتح السودان وتم له ما اراد عام ١٨٢١ م .

ومهما كانت الدوافع والأسباب التى أدت إلى تجهيز الحملة وفتح السودان ، سواء كانت لجلب العبيـــد وتجنيدهم فى الجيش ام لجلب المعـــادن التى عرفت فى السودان من ذهب ونحاس وغيرهما . مهما كانت هذه الأسباب فأن فتح السودان قد فتح الباب واسعا للصلة المباشرة بين البلدين . فاصبح للبلدين حاكم واحد وادارة واحدة وسياسة واحدة . ونتج عن هذا الوضع الجديد ازدياد فى التبادل بين البلدين فى كل المجالات خاصة ان ظروف الامن والاستقرار بفضل الادارة الموحدة شجعت على الانتقال بين البلدين اكثر من ذى قبل، فازدادت الرحلات وكثرت القوافل المتجهة إلى مصر اوعائدة إلى السودان . وحملت معها التجارة ما تحمل عادة من صلات الفكر والثقافة والتقاليد وطريقة الحياة فى كل من مصر والسودان .

وكان اهتمام الحكام بالعلم والثقافة — كما هو الحال فى كل زمان ومكان — درجات ، بقدر ما يكون للحاكم من معرفة وإحساس بضرورة العلم وجدواه فى تقدم البلاد يكون اهتمامه ورعايته للعلم والعلماء . وقد عرف محمد على باشا باهتمامه بهـــذا الجانب ايام حكمه على مصر . فقد ارسل المبعوثين إلى فرنسا ليأخذوا من العلم الحديث ما يمكن ان يعود على مصر بالتقدم، ويمكنها من اللحاق بركب الحضارة والاخذ بأسبابها وكان هذا شيئا يحمد عليه ويحسب له حين تقييم فترة حكمه . ولعل هذا كان اتجاهه نحو السودان وان لم يكن اهل السودان فى بداية القرن الماضى على قدر من الاستقرار والوحدة بحيث يمكن الافادة من حماسة محمد على باشا للعلم الحديث . ففى اول زيارة له للسودان عام ١٨٣٩ م دعا زعماء القبائل فى السودان إلى ارسال ابنائهم إلى مصر للتعليم فى مدارسها وكان يعنى بهذا التعليم الحديث من زراعة وطب وهندسة . وعلى اثر زيارته تلك ودعوته اهل السودان لطلب العلم وفد « ستة اشخاص من ابنـــاء وجهاء تلك البلاد فلما عرض مجيئهم على الجناب العالى صدر امره الكريم بتعليمهم علم الزراعة وان يرسلوا

إلى المدرسة التجهيزية فى الحال ليتعلموا فيها العلم المذكور بمشيئة الله تعالى » ([1]) ولعل هذه اول بعثة من الطلاب السودانيين لدراسة العلوم الحديثة فى مصر .

وعلى الرغم من حماسة محمد على باشا للعلم الحديث وحثه الناس على الأخذ به فأنه لم يضع سياسة لتوجيه التعليم فى السودان كما فعل فى مصر . ويبرر الاستاذ عبد العزيز امين عبد المجيد هذا التقصير بأن محمد على باشا لم يرد « ان يملى ارادته على القوم وهم حديثو الصلة به حتى لا يغير قلوبهم » ([2]) وليته وضع خطة للتعليم وحمل الناس عليها حملا، ولا احسب ما اورده الاستاذ من مبرر هو الاساس فى إهمال محمد على للتعليم فى السـودان .

وكانت الحملة التى جهز بها محمد على باشا ابنه اسماعيل لفتح السودان تضم جماعة من العلماء الذين اريد لهم ان يدعوا الناس فى السودان لطاعة اولياء امورهم وليدخلوا فى طاعة السلطان حقنا لدماء المسلمين لان محمد على باشا كان يفتح السودان باسم السلطان العثمانى .

وقد اختلف الباحثون فى الأسباب التى دفعت محمد على باشا ليرسل حملة لفتح السودان . فريق يرى أنها غزوة استعمارية دوافعها استغلال موارد البلاد البشرية والمادية . فان الموارد البشرية متمثلة فى جلب عدد كبير من السودانيين وتجنيدهم فى الجيش لحماية السلطان اولا والتوسع فى الفتح ان اراد السلطان ان يستولى على بلاد مجاورة لبلاده . وكان السلاطين يكرهون الناس على العمل فى الجيش . اما الموارد الطبيعية فكانت الذهب والمعادن الاخرى التى كان محمد على باشا يأمل فى وجودها بكميات كبيرة فى السودان . ويرى فريق آخر ان وراء فتح السودان دوافع نبيلة . فأن محمد على باشا كان يرمى إلى اصلاح اهل السودان والاخذ بيدهم إلى طريق الحضارة وفتح الأبواب امامهم للتقدم والمعرفة وربطهم بالعالم الحديث كما اتصلت مصر بهذا العالم واخذت عنه ايام محمد عـلى باشا .

« وأشهد كما شهد المنصفون بأن الحكام فى مصر ابتداءا من محمد على باشا الذى

---

(١) عبد العزيز امين عبد المجيد ، التربية فى السودان فى القرن التاسع عشر ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٤٩م ص ١٦

(٢) نفس المصدر ، ص ١٨

فتح السودان إلى توفيق الذى خرج السودان من قبضته كان همهم تقدم السودان واسعاد اهله ، وما حدث من اخطاء لم يكن مما ارادوه ان يحدث ، فهو اما من سوء اختيار بعض الحكمداريين واما من ضغط المستعمرين عليهم وخاصة الانجليز الذين كانوا يحتلون مصر » (١) .

وتلك كبوة من هذا الجواد ، الاستاذ محمد محمد على ، دفعت به اليها عاطفته وحبه لمصر وشعب مصر . فلم يفرق بين شعب مصر وحكامه من الباشوات الذين كانوا وبالا على مصر وشعبها حقبة من الدهر طويلة . والتحليل الصحيح ان هؤلاء الحكام — من ظهر منهم بمظهر الدكتاتور الصالح ام من كان جبارا عتيا — كانوا يعاملون شعب مصر وشعب السودان كأدوات للانتاج يدعمون بها سلطانهم ويستغلون الشعب لاشباع رغباتهم المادية ونزوات التسلط وشهوة الحكم . ولم يعرف الشعب انسانيته وحريته سواء كان فى مصر ام فى السودان الا حين تخلص من قبضة اولئك الباشوات . وما كانت الثورات التى قامت فى كل من مصر والسودان متلاحقة يأخذ بعضها برقاب بعض الا تعبيرا عن رفض هذين الشعبين لمثل هؤلاء الحكام ومحاولة دائمة للانعتاق من تسلطهم وجبروتهم . فانهم لم يسعوا سعيا حقا لتقدم الشعب والبلاد ولم يخلفوا حين ذهبوا سوى الاستعمار الذى مكنوا له فى الارض فغالبه الشعب وصارعه فى عهدهم وبعده بزمن حتى صرعه .

وهكذا توجد الظروف الموضوعية من تسلط هؤلاء الحكام وفرض الضرائب على المواطنين وسوء الادارة وفشل الحكم فى كل من مصر والسودان فتمهد الطريق للثورة التى تفجرت فى السودان بقيادة محمد أحمد المهدى،والثورة التى إندلعت فى مصر بقيادة احمد عرابى فى فترة واحدة . وهذا اقوى برهان على إتصال شعب مصر بشعب السودان اتصال وعى وعلم بحقيقة المصير المشترك والحضارة الواحدة وآصرة القربى ووشائج الدم ووحدة الفكر والدين والثقافة . وقد ثبت ان كلا من قائد ثورة السودان وثورة مصر كان على علم وصلة بالآخر ، وان كلا منهما كان يأمل ان ينتصر أخوه على العـــدو المشترك فتلتقى الثورتان فى تلاحم رائع فتعانق كل اختها . كانت تلك امانى احمد عرابى فى مصر وحلم محمد احمد المهدى فى السودان حين اراد ان يأتيه الانصار بغردون

(١) محمد محمد على ، الشعر السودانى فى المعارك السياسية ، القاهرة ١٩٦٩م ص ٨٦

باشا حاكم عام السودان حين احاط به الأنصار في قصره بالخرطوم ، تمنى ان يأتوه به حيا حتى يفتدى احمد عرابى فى منفاه،ولكن الاستعمار قد قضى على ثورة احمد عرابى فى مصر وأخذ يلاحق ثورة المهدى فى السودان حتى أتى عليها بعد ذلك بوقت قصير .

ولعل محمد على باشا اكتفى فى سياسته التعليمية فى السودان بتشجيع السودانيين على الذهاب إلى مصر للتعليم . ولا أعلم انه فتح مدرسة فى السودان ولعل اول مدرسة فتحت فى السودان لتدريس العلوم الحديثة من حساب ولغة كانت مدرسة الخرطوم التى افتتحها رفاعة رافع الطهطاوى فى عهد عباس . ولكن محمد على باشا استمر فى حث السودانيين وتشجيعهم على العلم . فيروى لنا عبد العزيز امين عبد المجيد « انه حضر لطلب العلم فى الازهر طالب سودانى يسمى محمد على وداعة سنة ١٢٥٣ هـ فوجد به ستة من السنارية قد سبقوه اليه فقدم هؤلاء الطلبة إلى محمد على يرجون ترتيب خبز لهم فوافق على ذلك سنة ١٢٥٨ هـ . ثم قدم محمد على وداعة وزملاؤه السناريون المجاورن طلبا يلتمسون إنشاء رواق خاص بهم فى الازهر للاقامة فية اسوة بالصعايدة والمغاربة وسائر الاجناس . ولما كان عدد الأروقة الموجودة فى الازهر عبارة عن اثنين وعشرين رواقا،وكل رواق منها مخصص لجنس من المجاورين لم يعد بالامكان — كما قال وكيل ديوان المالية فى رسالة لمحمد على — انشاء رواق جديد خاص بالسناريين ، وان انشاء رواق جديد خاص بهم يتوقف على ارادة الجناب العالى فكان رده على هذه الرسالة « قد اقتضت ارادتى اشتراء محل جديد وتخصيصه رواقا للمجاورين السناريين اسوة بامثالهم من طوائف المجاورين » (١) وكان السودانيون من دارفور فى الازهر قد اسسوا رواقا لهم قبل رواق السنارية وهو مجاور للسنارية كما اسس النوبيون رواقا خاصا بهم عام ١٨٣٥ م . ومن السودانيين الذين درسوا فى الازهر ودرّسوا فيه الشيخ احمد بن محمد بن عيسى السنارى وابنه الشيخ محمد والشيخ عبد الرحمن بن احمد البدوى . (٢) .

ولكن دعنا نعود إلى ما بدأنا من حديث عن هذه الصلة الثقافية بين مصر والسودان منذ ان فتح محمد على باشا السودان وما انشىء من مدارس ومؤسسات علمية فى السودان فى العهد التركى .

---

(١) عبد العزيز امين عبد المجيد ، المصدر السابق ص ١٩

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٢ .

مدرســة رفاعــة الطهطــاوى فى الخرطوم :ـ

فى عام ١٨٥٠م بحث المجلس الخصوصى المصرى موضوع إنشاء مدرسة ابتدائية فى الخرطوم ثم اختير لتأسيس تلك المدرسة الاستاذ رفاعة رافع الطهطاوى بك الموظف بديوان المدارس . وقد تقرر ان تكون المدرسة تابعة « لاصول المدارس المصرية ونظامها المرغوب ولا سيما المبتديان والتجهيزية » (١) وقرر المجلس الخصوصى ان يكون تلاميذ المدرسة من « اولاد المشايخ والاهلين القاطنين بدنقلة والخرطوم وسنار والتاكة وملحقاتها ، وكذلك من اولاد الاتراك الذين توطنوا بتلك الديار واحفادهم » . (٢)

ولم يتوان رفاعة رافع الطهطاوى فى تنفيذ ما وكل اليه ، فاختار المدرسين الذين سوف يصحبونه إلى الخرطوم للتدريس فى المدرسة الجديدة ، ثم وضع ميزانية لانشاء المدرسة بلغت ثلثمائة ثمانية وثلاثين الفا وثلاثة وثلاثين قرشا ٣٣٨٠٣٣ وتسعا وثلاثين باره فى العام طبقا لاسعار القاهرة . وصدر امر عال من عباس باشا بالموافقة على المشروع وحدد عدد الطلبة بمائتين وخمسين طالبا .

انتخب رفاعة الطهطاوى احد عشر مدرسا وطبيبا واحدا للعمل معه فى مدرسة الخرطوم وكان اكثر المدرسين من تلاميذه الذين درسوا عليه وهم :

١ ـ القائمقام محمد بيومى افندى ، كان من قدامى اساتذة مدرسة المهندسخانة ورئيس قلم ترجمة الكتب الرياضية بقلم الترجمة ومفتش العلوم الرياضية .

٢ ـ الصاغقول احمد طائل ، من مدرسى المهندسخانة كان قد ارتكب امرا عوقب عليه بالاشغال الشاقة ثم عفى عنه وعين معاونا بديوان المدارس (مفتشا) فى عهد ادهم باشــا .

٣ ـ الملازم اول محمد على افندى .

٤ ـ الملازم ثان على عثمان افندى .

٥ ـ الملازم ثان ابراهيم محمد افندى .

٦ ـ الملازم ثان محمد مرسى افندى .

---

(١) احمد احمد سيد احمد ، رفاعة رافع الطهطاوى فى السودان ، القاهرة ١٩٧٣م ص ٦٦ـ٦٧ .

(٢) عبد العزيز امين عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص ٢٦

٧ ــ الملازم ثان امين افندى .

٨ ــ الشيخ رجب وكان عالما من علماء الأزهر .

٩ ــ الشيخ مكاوى من علماء الازهر .

١٠ ــ الشيخ اسماعيل فرغــلى .

١١ ــ الشيخ احمد الواعظ .

١٢ ــ سليمان السيوطى افندى ــ طبيب (١) .

كان من اهم الاهداف التى يرجى ان تحققها تلك المدرسة ايجاد موظفين سودانيين يعرفون القراءة والكتابة ليتولوا اعمال الكتبة والحاسبين فى دواوين الحكومة وربما ترسل هذه المدرسة بعض الطلبة الذين يظهرون استعدادا طيبا للدراسة فى مصر فى المدارس التجهيزية . ولكن ظروفا غامضة اكتنفت إنشاء مدرسة الخرطوم منذ البدء . فعلى الرغم من ان قرار انشاء المدرسة قد صدر فى عام ١٨٥٠ لم يتّم إفتتاح المدرسة الا عام ١٨٥٣ م . فقد مضت ثلاثة اعوام بين صدور القرار بانشاء المدرسة وإفتتاحها بالفعل . لم يكن رفاعة رافع الطهطاوى سعيدا بالعمل الذى انتخب لادائه ولعله قد اضطر إلى الانصياع لأمر الباشا اضطرارا . ولم يكن بعيدا ان رفاعة الطهطاوى رأى فى شخوصه إلى الخرطوم عقابا ونفيا له . فكثيراً ما شكا لكثير من اصحابه الذين حملوا رسائله من الخرطوم إلى اهله واصدقائه فى مصر .

اتهم عبد العزيز امين عبد المجيد رفاعة الطهطاوى بالتقصير فى اداء مهمته والتهاون فى إنشاء المدرسة فى الخرطوم. ثم اورد خبرا بأن رفاعة الطهطاوى قد تصرف فى المهمات التى اخذها معه للمدرسة عندما غادر القاهرة (٢) وقد صحبت الفتّرة التى قضاها رفاعة الطهطاوى فى الخرطوم ظروف قاسية اذ مات اربعة من المدرسين الذين صحبوه إلى الخرطوم للعمل فى المدرسة . فاصبح هذا حدثا فاجعا للعاملين من المدرسين ومصدر فزع لكل من يعين مستقبلا للعمل فى السودان . وكانوا يرجعون اسباب الموت إلى اختلاف

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨-٢٩

(٢) عبد العزيز عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص ٣١ .

الطقس فى السودان والامراض هناك [1] .

واختلف المؤرخون فى اسباب فتح مدرسة الخرطوم ولم يختلفوا فى تاريخ إغلاقها . فان الدكتور مكى شبيكة يرجح ان أمر عباس باشا بفتح مدرسة فى الخرطوم ما كان الا رغبة من الباشا فى الاساءة إلى رفاعة رافع الطهطاوى وغيره من رجال العلم فى مصر بابعادهم عن مصر ذلك ان عباس باشا لم يعرف بحماسته للتعليم والعلم بل انه اقفل المدارس التى فتحت فى عهد جده محمد على باشا فى مصر [2]. ويخالفه الرأى فى هذا التحليل الاستاذ عبد العزيز عبد المجيد الذى يرى ان عباسا اراد فعلا فتح هذه المدرسة حين امر بانشائها وإختيار رفاعة الطهطاوى قيما عليها . ولم يكن يصعب عليه نفى رفاعة الطهطاوى إن أراد دون مبررات او معاذير [3] .

واكبر الظن ان عباس باشا كان يريد ابعاد رفاعة الطهطاوى عن مصر حين اصدر امره بانشاء مدرسة الخرطوم . فأن مرتب الطهطاوى ظل محجوزا منذ ان غادر القاهرة حتى عاد اليها بعد وفاة عباس باشا . وكان الحجز بدعوى ان الصرف موقوف حتى يتم جرد الكتبخانة الافرنجية التى كانت بمدرسة الالسن . وبعد عودة رفاعة الطهطاوى صدر امر بصرف بعض استحقاقه الذى كان « محجوزا لعدم تكدير خاطر المير الموصى اليه » [4] فاى دليل اوضح من هذا على غضب عباس باشا على رفاعة الطهطاوى ؟.

افتتحت المدرسة بعدد قليل من الطلبة، واحد وثلاثين طالبا ولم يزيدوا على هـذا العدد بعد استمرار الدراسة فيها ان لم ينقصوا . ولم تستمر الدراسة أكثر من سنة دراسية واحدة، من شوال عام ١٢٦٩ هـ إلى شعبان ١٢٧٠ هـ نحوا من تسعة اشهر، ولا ندرى كم عدد السودانيين والمصريين الذين قبلوا فى المدرسة فى تلك الفترة، ولكنهم كانوا خليطا من هؤلاء وهؤلاء . وبعد وفاة عباس باشا صدرت ارادة سنية فى ٢٧ شوال عام ١٢٧٠ إلى حكمدار السودان بالغاء مدرسة الخرطوم . ولم يبق رفاعة الطهطاوى فى السودان بعد

(١) راجع كتاب احمد احمد سيد احمد ، رفاعة الطهطاوى فى السودان ، ص ٨٨-١٠٥ عن اسباب تأخير افتتاح المدرسة فى الخرطوم .

(٢) مكى شبيكة السودان عبر القرون ، القاهرة ١٩٦٦م ص ١٢٤

(٣) عبد العزيز عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص ٢٥

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

وفاة عباس باشا سوى ايام معدودات اعد فيها نفسه لمغادرة الخرطوم إلى القاهرة ولم يعد بعدها أبدا .

ولعل مدرسة الخرطوم التي لم تستمر الدراسة فيها أكثر من عام قد افاد منها المشايخ الذين حفظوا القرآن فى الخلاوى ثم أتوا إلى رفاعة الطهطاوى لتجويد القرآن وعلم القراءات أكثر مما افاد منها الطلبة الذين بدأوا الدراسة فيها . فأن الطهطاوى يقول عن هؤلاء المشايخ « وكذلك قد تعلم فقهاء الخرطوم ممن معى من المشايخ والقراء تجويد القرآن الشريف وعلم القراءات حتى صاروا ماهرين فى ذلك » (١)

وليس علم القراءات والتجويد بجديد على المشايخ فى السودان ولا العلوم الاسلامية الاخرى كعلم الكلام وعلوم اللغة من نحو وبلاغة . كل هذا عرفه علماء السودان واز دهر ايام مملكة الفونج الاسلامية . فأن الشيخ محمد بن عيسى بن صالح الجعلى البديرى المشهور بسوار الدهب قد درس العقائد والمنطق وعلوم القرآن على المصرى وسلك عليه الطريق كما يقول ود ضيف الله صاحب الطبقات . (٢) وغير هذا كثير .

وهكذا استمرت مدرسة الخرطوم التى انشأها رفاعة الطهطاوى مغلقة حتى أتى إلى الحكم فى مصر الخديوى اسماعيل فاصدر الأمر إلى موسى حمدى باشا حكمدار السودان بخصوص « تنظيم مكتب على طرف المدير بالخرطوم ليعلموا فيه قدر خمسمائة نفر تلامذة ليؤخذ منهم من يلزم فى وظائف الكتابة والمعاونين بحسب اللزوم » (٣) .

عهـــد اسماعيل :

ورأى موسى حمدى باشا ان يوزع هذا العدد من الطلبة على مناطق متفرقة فى السودان فأن تجربة مدرسة الخرطوم قد اكدت ان من العسير توافر مثل هذا العدد من التلاميذ فى الخرطوم وما جاورها من المدن ثم ان الفائدة اكبر اذا فتحت مدارس أخرى . فقرر ان يفتح خمس مدارس موزعة على المدن الكبرى فى السودان ، فى الخرطوم وبربر وكردفان ودنقلة وكسلا . وجاء فى الامر الصادر بانشاء تلك المدارس انها انشئت لنشر العلوم والمعارف والحضارة « وحيث ان تأسيس خمس مدارس فى المديريات المذكورة

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧

(٢) كتاب الطبقات ، تحقيق يوسف فضل ، الخرطوم ١٩٧١م ص ٣٤٧ ، ٣٤٥

(٣) احمد احمد سيد احمد ، المصدر السابق ، ص ١٣٣

لنشر وتعميم العلوم والمعارف والحضارة على الوجه المشروع موافق لنفس المصلحة بناء عليه بادروا إلى اجراء ايجابه واسعوا فى تعليم سكان الجهات المذكورة وتقدمهم باحسن وجه»(١)

وكان من يتخرج فى هذه المدارس من الطلبة يستوعب فى الوظائف فى دواوين الحكومة للمساعدة فى الادارة والكتابة والحساب ومن اراد منهم ان يواصل تعليمه يلتحق بالمدرسة التجهيزية فى مصر . وكانت المواد المقررة فى تلك المدارس هى اللغة العربية والتركية والحساب والعلوم الهندسية والرياضة، وكان النظام فى المدرسة ان تقسم إلى قسمين قسم خارجى وقسم داخلى . فاما القسم الداخلى فيقبل فيه الطلبة بغير مصروفات ويدفع المقبولون فى الخارجى مبلغا قدره ريال مجيدى لكل طالب فى الشهر، نحو ستة عشر قرشا. ولطلاب القسم الخارجى ان يختاروا ما يريدون من الوظائف المتاحة لهم فى دواوين الحكومة بينما يوزع طلاب القسم الداخلى كتبة فى السلكين العسكرى والمدنى بشكل تلقائى باعتبار ان الدولة صرفت عليهم وتكفلت بتعليمهم . وكان عدد طلاب القسم الخارجى يزيد على عدد طلاب القسم الداخلى بكثير .

وكان جعفر مظهر حكمدار السودان فى عهد الخديوى اسماعيل محبا للعلم والادب، فاجتمع حوله كثير من العلماء والادباء الذين كسبوا عطفه ونالهم حظ من رعايته واهتمامه بهم . فخلق هذا الاهتمام وسطا ادبيا وعلميا فى ايامه وزاد من الصلة الثقافية بين مصر والسودان واخذ ادباء السودان وشعراؤه يرسلون أعمالهم الادبية لنشرها فى الوقائع المصرية فى القاهرة .

ولم تكن الصلة الثقافية والعلمية وقفا على الادب بل تعدتها إلى مجالات أخرى فى العلوم التطبيقية . فحين رأى الخديوى اسماعيل ان يختط سياسة اللامركزية فى السودان فصل شرق السودان فى الادارة وعين ممتاز باشا محافظا على محافظة شرق السودان . وكان ممتاز باشا شديد الاهتمام بالزراعة والعلوم التطبيقية عامة : وتحقيقا لسياسة ممتاز باشا فى التوسع الزراعى فى السودان بخاصة زراعة القطن بعث عددا من الشبان السودانيين إلى مصر لتعلم الصناعات الميكانيكية (حتى يكون فى استطاعتهم بعد رجوعهم ادارة العدد والماكينات التى لا بد منها لحلج وكبس الاقطان) (٢) ثم اقترح ايفاد بعض خريجى

(١) مكى شبيكة، المصدر السابق، ص ١٤٣

(٢) المصدر السابق، ١٣٨، ١٤٣

المدارس الحكومية إلى مصر لتعلم الطب والصيدلة ولكن اقتراحه لم يلق قبولا للمؤهلات العلمية العالية التى يحتاج اليها الطالب قبل الالتحاق بتينك المدرستين .

ثم نجد ان حكمدار السودان جعفر مظهر باشا يقول فى رسالة للخديوى انه انتخب عشرين تلميذا من خريجى المدارس الاميرية فى السودان لدراسة الطب والصيدلة اسوة بالتلاميذ الذين ينتخبون لدراسة العلوم والصناعات الاخرى « خاصة ان الصاغ الطبيب محمد سكرى افندى طبيب المستشفى العام بالخرطوم المتخرج من فرنسا ، قد تعهد بتعليم هؤلاء التلاميذ يوميا وتدريس كتب الطب الافرنجية والعربية لهم تعليما جيدا فى مدة وجيزة . وقد شهد الاطباء الموجودون هنا بكفايته التامة لهذا العمل » (١) .

فيبدو من هذه الرسالة والطلب الذى الح فيه الحكمدار مبديا اسبابه ، يبدو ان السودان اصبح فى حاجة ماسة لتدريب السودانيين فى السودان حسب امكاناتهم حتى يسدوا تلك الحاجة . فقد طلب الحكمدار قبل هذا عشرة من الأطباء من مصر فلم يتيسر حضـــورهم .

وفى عهد توفيق باشا انشئت مدرسة للطب فى الخرطوم واستمرت لفترة وجيزة ثم اغلقت ولا ندرى على وجه التحقيق الاسباب التى أدت إلى اغلاقها ولكن أكبر الظن ان الامكانات لم تتوافر للاستمرار ومدها بما تحتاج من معدات فى تلك الفترة .

وقد وجدت الادارة التركية فى بداية القرن التاسع عشر عند فتح السودان عددا كبيرا من الخلاوى التى إنتشرت فى كل انحاء السودان منذ قيام مملكة الفونج الاسلامية . فاخذت الادارة التركية تعين هذه الخلاوى التى تدرس القرآن والعلوم الدينية الاخرى فى مختلف فروعها . وكانت تلك الخلاوى تؤدى رسالة كبرى فى نشر الثقافة الاسلامية والعربية فى ربوع السودان ، وكان بينها تنافس وصلات . فيأتى الطلاب من بلاد بعيدة طلبا للعلم فى مسجد ذاع خبره ، ليدرسوا على شيخ من هؤلاء المشايخ الذين نبغوا فى الفقه وعلوم العربية وجمعوا بين العلم والعمل . فنجد الطلاب من البلاد الافريقية المجاورة للسودان يحجون إلى تلك الخلاوى فى الابيض واربجى وغيرها من الخلاوى المشهورة. ولكن تدهورت تلك الخلاوى بمر الزمن وآلت إلى بعض الشيوخ الذين استناموا إلى مجد آبائهم

---

(١) عبد العزيز عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص ٨٣

القديم ولم يفعلوا فعلهم فى العلم والاصلاح . وحين عين جعفر مظهر حكمداراً على السودان اوقف الاعانات المقررة من الحكومة على المساجد والخلاوى ، فلعل بعض القائمين على تلك الخلاوى قد استأثروا بالاعانات ولم يصرفوها فيما ينبغى ان تنفق فيه . ثم اتخذ سياسة جديدة يرسل بموجبها عددا من الطلاب السودانيين للدراسة فى الازهر .

وظلت مدرسة الخرطوم تعلم الطلبة بعد فتحها للمرة الثانية عام ١٨٦٣ م وكذلك المدارس الأخرى التى فتحت فى عهد اسماعيل باشا حتى سقوط الخرطوم وإنتصار المهدى على غردون باشا .

وقد كونت هذه المدارس نواة طيبة من القراء الذين اصبحوا فى شوق للاطـلاع على الصحف والمجلات والكتب التى اخذت ترد إلى الخرطوم من القاهرة منذ اوائل هذا القرن . ويصف الدكتور مكى شبيكة هذه المدارس بانها احدثت نهضة فى الثقافة والادب فى ربوع السودان . ولكن الاستاذ محمد محمد على قد شك فى ان تكون هـذه المدارس خلقت شيئا من هذا الذى يتحدث عنه الدكتور مكى شبيكة ، ذلك انه لم يجد أديبا واحدا او مثقفا ينسب إلى هذه المدارس . (١) .

ولعله من الراجح ان نقول ان هذه المدارس لم يتخرج فيها قادة حملوا لواء الحركة الادبية او النهضة الثقافية فاننا لا نعرف نهضة أدبية فى السودان قبل الثلاثينات من هذا القرن ولكن الأمر الذى لا شك فيه ان خريجى تلك المدارس كانوا القاعدة العريضة التى كان يكتب لها الكتاب، وكانوا هم الذين ظلوا يتلقفون الكتب والمجلات التى تصدر فى مصر . وليس من شك ايضا ان هذه القاعدة من الكتبة والحاسبين كانت هى الطبقة الواعيـة المتصلة بالجماهير العريضة فى شتى بقاع السودان وهى ذات الطبقـة التى نشرت الوعى الوطنى بين افراد الشعب الذين لا يقرأون ولا يكتبون .

وكان بعض الشعراء فى السودان على صلة واصلة بمصر كمـا كانوا فى عهد مملكة الفونج الاسلامية . فمن هؤلاء الشعراء من مدح الخديوى توفيق كالشاعر الشيخ الامين محمد الضرير والشاعر محمد احمد هاشم الذى مدح توفيقا بمناسبة عيد جلوسه ١٨٨٠م. وحين اندلعت ثورة احمد عرابى فى مصر وجدت من شعراء السودان سندا بالكلم البليغ

---

(١) محمد محمد على ، المصدر السابق ، ص ٧٥

كان له ابلغ الاثر فى النفوس. فهذا الشيخ يحيى السلاوى يشخص الى مصر ابان الثورة فينظم قصيدة طويلة بلغت تسعا وتسعين بيتا يحث فيها الشعب المصرى على مساندة الثورة وداعيا لها ولقائدها احمد عرابى . يقول الشيخ المؤرخ محمد عبد الرحيم صاحب (نفثات اليراع) عن الشيخ السلاوى. فقد طلب اليه احمد عرابى نفسه ان ينظم قصيدته المشهورة من ٩٩ بيتا ، وقع فى يدنا بعضها وكان من اهمية هذه القصيدة ان طبعت بماء الذهب وبيعت فى شوارع القاهرة كل نسخة منها بجنيه ذهبا (١) وكان مطلع القصيدة :

شغل العدا بتشتت الأحزاب
والله ناصرنا بسيف عرابى

ومهما يؤخذ على العهد التركى فى السودان من فساد فى الحكم وظلم الناس فلابد ان يحسب له أنه وثق الصلة بين مصر والسودان وبدأ فيه التعليم الحديث اما بما أُنشىء من مدارس فى السودان أو ما أرسل من بعثات للدراسة فى مصر .

الثورة المهدية :

ثم تفجرت الثورة المهدية فى السودان بقيادة محمد احمد المهدى، ثورة على الظلم والفساد الذى انتشر فكاد يعم البلاد ويأتى على الاخضر واليابس ، فتحقيقا لتطلعات ذلك المهدى الذى اراد ان يملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا توجت الثورة بسقوط الخرطوم فى يدى المهدى وانصاره وقتل غردون باشا حاكم عام السودان بعد معارك ضارية امتدت من غرب السودان الى شرقه . وهكذا تم النصر للمهدى فزاد هذا النصر الذين آمنوا ايمانا به واغرى كثيرا ممن لم يؤمنوا بالتسليم له . ولما استتب الامن وسلمت الامور للمهدى فى السودان بدأ فى الاستعداد لفتح البلاد الاسلامية المجاورة للسودان ولعل أول تلك البلاد واهمها مصر . فكتب المهدى الى الخديوى خطابا يدعوه فيه للايمان بالمهدية والتعاون معه على طرد الانجليز ومحاربة الاتراك . ثم أنذره :—

« وقد حررت اليك هذا الكتاب وأنا بالخرطوم شفقة عليك وحرصا على هدايتك فارجو الله ان يشرح صدرك بقبوله ويدلك على رشادك وصلاحك فى الدارين وها أنا قادم على جهتك بجنود الله وعن قريب ان شاء الله تعالى . فان امر السودان قد انتهى ،

(١) المصدر السابق ، ص ٩٥

فان بادرتنى بالتسليم لامر المهدية والانابة الى الله رب البرية فقد حزت السعادة الابدية وامنت على نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يجيب دعوتنا معك ، وان ابيت بهذا الا الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد فانما عليك اثمك واثم من معك ولابد من وقوعك فى قبضتنا ولو كنت فى بروج مشيدة وهذا انذار منى اليك وفيه الكفاية لمن ادركته العناية والسلام على من اتبع المهدى . » (١)

وحرر الى اهل مصر منشورا يدعوهم فيه الى الدخول فى المهدية وطاعة المهدى كما اتصل بالسنوسى فى ليبيا يخبره بانه هو المهدى المنتظر وانه اختار السنوسى خليفة للمهدى فى بلده ثم طلب منه ان يحضر الى السودان للقائه ، اما الشام فقد ارسل لها رسولا من قبله لنشر الدعوة الجديدة والتبشير بالمهدى واتصل بمراكش يدعو اهلها للتسليم له والاذعان للمهدية التى لامحالة منتصرة .

ولم يتم للمهدى شىء مما كان يأمل فى توحيد البلاد الاسلامية عن طريق الفتح بعد اعراضهم عن المهدية ، وانقطعت الصلة العلمية والثقافية بين مصر والسودان بنهاية الادارة التركية وانشغل المهدى بالفتوح والتبشير بالمهدية .

وكان محمد احمد المهدى ثائرا ومجددا وباعثا لقيم جديدة ، وقل ان يفكر مثل هؤلاء فى الاخذ من احد سواء كان فى العلم أو التجربة بل انهم يظنون ان لديهم مايعطون للآخرين من كل شىء. فلم يفكر المهدى فى الاخذ من علم علماء الازهر أو الاهتداء بشىء مما يعلمون، فهو الهادى وهو المعلم . فان علم المهدى علم لدنى لايؤخذ من بطون الكتب وانما يلقى فى صدره كالنور فيلقيه هو على اصحابه واتباعه وينشره فى منشورات توجه الى الناس فى انحاء العالم وفى اوراد يحفظها التابعون ويرتلونها كما يرتلون القرآن. فليس غريبا من شخص هذا هو ايمانه برسالته وثقته بنفسه ان يستغنى عن علم العلماء فلم يستعن المهدى بعلماء الازهر ولم يطلب احداً يفد اليه ليفتيه فى مسألة من مسائل الدين ولم يبعث طلابا يدرسون فى الازهر كما كان يفعل ملوك الفونج فى الماضى . فكان فى كل هذا اضعاف للصلة الثقافية والعلمية بين البلدين فى هذه الفترة . فان الثقافة والعلم ربما يمهدان للثورة أو يثبتان القيم الجديدة التى اندلعت من اجلها الثورة – اى ثورة – ولكنك

(١) مكى شبيكه ، المصدر السابق ، ص ٣٤٠

لاتكاد تجد أثرا واضحا للثقافة والعلم اثناء الانتفاضة ، لان الثورة استثناء كالبركان يقع في فترة بعد أخرى حين تدعو الدواعى الطبيعية له وسرعان ما يستقر الحال من بعد الانفجار على وضع جديد ، فان فى ساعة الهزة والزلزلة يذهل الناس ويتعلقون بأسباب واضحة للنجاة اما ما كان خفى الاثر مثل الثقافة والعلم فيبقى بعد الزلزال .

ثم جاء من بعد المهدى خليفته عبد الله فسار على نهج المهدى فى مواصلة الجهـــاد لتعم المهدية كل الاقطار الاسلامية، وربما غير الاسلامية. وانفق الزمن فى الاستعداد لهذا وتوالت على الخليفة مشكلات الحكم الداخلية واثقلت كاهله . فكان فى كل ذلك شغل واى شغل عن الثقافة والعلم .

قضية السودان

استعد الانجليز للانتقام من الثورة المهدية فى السودان بعد مقتل غردون باشا وظلوا يتربصون بحكم الخليفة الدوائر ، ويعدون الجيوش من مصر لغزو السودان وفتحه من جديد . وكانت حكومة الخليفة عبد الله قد اصابها الضعف والوهن من كثرة الاضطرابات وسوء الادارة . حدث لها مايحدث لكل ثورة أو نظام بعد موت قائده، فاضطرب الناس وعادت القبائل التى خضعت للمهدى مداهنة الى مناوأة نظام الخليفة ، وجاهرت برفض المهدية وحربها . وضعف ايمان كثير من الذين اتبعوا المهدى بالانتصار الحتمى للمهدية بعد وفاة المهدى . وبدأ التنافس بين الامراء على القيادة والحكم يتخذ شكل متاجرة وكاد بعضهم لبعض .

وفى تلك الفترة بسط الانجليز نفوذهم على مصر ، وسيطروا سيطرة تامة بعد اخماد ثورة عرابى ونفى قائدها وتشريد انصاره . فاصبحت كل الظروف مواتية لاعادة فتح السودان . وسارت الحملة لفتح السودان بقيادة اللورد كتشنر . وسقطت حكومة الخليفة عبد الله بعد ان روّى الانصار ارضهم الطاهرة بدمائهم ، كما يقول الاستاذ محمد على . ثم وقعت اتفاقية الحكم الثنائى التى تنص على ان السودان اصبح شركة بين مصر وانجلترا وفرح بطرس غالى باشا الذى وقع الاتفاقية نيابة عن مصر باسترداد السودان ظنا منه ان السودان قد عاد الى مصر كما كان قبل المهدية فى العهد التركى .

وكانت الاتفاقية قد صيغت بطريقة تحمل كل الاسباب التى تجعل بريطانيا تنفرد بحكم السودان ، وتقصى عنه مصر فى آخر الامر كما حدث فعلا (١) . وليس من شك ان بريطانيا هى التى وضعت بنود الاتفاقية . ولم يكن لحكام مصر الا ان وضعوا الختم على ماقدمت بريطانيا . فان اللورد سالسبورى هو الذى وضع بنود الاتفاقية ثم سلمها لبطرس غالى باشا ناظر الحربية . ولم يكن الخديوى يعلم شيئا عن الاتفاقية . (٢) يقول المارشال ويفل ان اللورد كرومر ممثل بريطانيا فى مصر ، والحاكم الحقيقى لها ، قد كلف بوضع

(١) راجع بنود الاتفاقية فى كتاب مكى شبيكة ، السودان عبر القرون ، القاهرة ١٩٦٥م ص ٤٣٤-٤٣٧

(٢) محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان ، القاهرة ١٩٥٨م ص ٥٧٣-٥٧٤ .

اتفاق ينظم وضع السودان وعلاقته بمصر بعد الفتح ، اما ان يضم الى بريطانيا مستعمرة لها ، أو يعترف به كجزء من مصر . اما كرومر فقد اختار على عمد منه اتفاقا غـــير منطقى واسماه بالاتفاقية . وقد استهلها بمطالبة بريطانيا العظمى بنصيبها (بحق الغزو) فى الوقت الذى عرّف فيه السودان فى مادتها الأولى ، بأن مصر قد فقدته مؤقتا ، وصعب ان تتفق احدى الجملتين مع الاخرى (١)

وكان يمكن لبريطانيا ان تنفرد بحكم السودان منذ البدء ودون مواربة لولااعتبارات كان لابد للانجليز من مراعاتها . فما كان للسودانيين ان يرضوا بحكام كالانجليز ، وهم كانوا بالامس قد ثاروا على الاتراك واخرجوهم من بلادهم ، وهم كانوا يتطلعـــون الى إقامة دولة اسلامية ربما تمتد حتى تشمل العالم العربى كله . فان اشراك مصر فى الحكم سوف يخفف من وقع الاحتلال على السودانيين مهما كانت ثورتهم وغضبهم علـــى المصريين فى العهد التركى . ولعل الاضطراب الذى حدث فى العهد الاخير من حكـــم الخليفة قد محا كثيرا وانسى كثيرا من عيوب الحكم التركى فى السودان ، ولم تعلـــن انجلترا انها اعادت فتح السودان باسمها وحدها لان ذلك يثير حفيظة الدول الاوربيـــة الاخرى التى كانت تطمع فى السودان . فطمعت ايطاليا وبلجيكا وفرنسا فى احتلال السودان . وقد احتلت القوات الفرنسية نقطة فشودة فى اعالى النيل عام ١٨٩٨م . وليس من شك ان فرنسا كانت تعتبر تلك بداية لقطع جزء كبير من السودان إن لم يكن احتلاله كله . لهذه الاسباب رأت بريطانيا ان تعلن فتح السودان باسم مصر حتى تبدو وكأنها استعادت حقا ثابتا ، ويكون مبررا لبريطانيا التى تحكم مصر والسودان لتوسعها فـــى افريقيا امام منافسيها من الدول الغربية التى أخذت تتكالب على افريقيا فى حمّى الاستعمار التى اصابت أوربا فى تلك الفترة . (٢)

ومن البنود الخادعة فى اتفاقية الحكم الثنائى انها جعلت للسودان حاكما ترشحه بريطانيا وتعينه مصر لان مصر لم تكن تملك من امرها ما ترفض به من ترشحه بريطانيا . وظل الحاكم العام للسودان يتخذ اعوانا من الانجليز يقومون مقام الوزراء فى حكومته

---

(١) المارشال ويفل ، اللنبى فى مصر ، القاهرة ١٩٧٤م ص ٩٤ ترجمة ابراهيم الاقطشى ومصطفى كامل فـــودة .

(2) P.M. Holt, A Modern History of the Sudan, London, 1974, PP. 111-112.

منهم السكرتير الاداري والسكرتير المالي وهكذا . ولم ينل المصريون حظا كبيرا من تلك الوظائف الكبرى ، بل منحوا الوظائف التى تتعلق بتحصيل الضرائب المفروضة على الناس والتى عرضت هؤلاء الموظفين الى سخط الجماهير وغضبها . وسرعان ما انكشف امر تلك الاتفاقية بعد أقصاء مصر عن الحكم فى السودان وادارته بادارة بريطانية بحته . وكانت مصر تظن انها شريكة فى الحكم . فقد صرفت من نفقات على اعادة فتح السودان تقدر بنحو مليون ونصف مليون جنيه ، بينما كانت كل النفقات تقدر بنحو مليونين ، وكان الجيش من المصريين يقوده ضباط من بريطانيا . وظلت مصر تكظم غيظها على هذه الخدعة وابدت ضيقها بذاك المسلك من جانب بريطانيا حين اعلن مصطفى كامل :—

« ان اكبر ايام الشقاء فى تاريخ مصر ، واسوأ تذكار يهيج فى نفوس المصريين الاحرار الالآم والاشجان هو يوم ١٩ يناير ١٨٩٩م ، يوم تذكار اتفاقية السودان ، ذلك اليوم المشئوم الذى اعلنت فيه الحكومة للامة المصرية وللعالم كله ان السودان صار مستعمرة انجليزية بالفعل ، وان المشاق الهائلة والاتعاب الجسيمة والاموال الباهظة ، والدماء الطاهرة التى صرفت فى سبيل استرداده قدمت هدية من مصر للدولة البريطانية ، فما اعظمك يامصر كرما واكبرك بلاءوهماً (١) وقد وضعت هذه الاتفاقية فى بند من بنودها السودان تحت قانون الطوارىء لمدة غير محددة (٢) واستمر هذا القانون مفروضا حتى رحل الاستعمار .

وعلى الرغم من ان اتفاقية الحكم الثنائى جعلت السودان شركة بين مصر وبريطانيا فان كثيرا من السودانيين يعلمون ان الحاكم الفعلى هم الانجليز ، وان ليس لمصر فى السودان سوى الاسم الذى يمثله العلم المصرى المرفوع مع العلم البريطانى على القصر الذى يقيم فيه الحاكم العام . فكانت كل انتفاضة قام بها السودانيون موجهة ضد الاستعمار البريطانى وادارته من الكفرة الانجليز . ولن تجد ذكرا لسيطرة مصر على السودان أو اشارة على انها مشاركة للانجليز فى الحكم . ففى ١٩٠٨ كانت حركة ود حبوبة تحرض الناس على محاربة الادارة الانجليزية . (٣) وكانت مديرية دار فور ممثلة فى سلطانها

---

(١) مكى شبيكة ، السودان عبر القرون ، القاهرة ١٩٦٦م ص ٣٨٩

(2) P.M. Holt, opcit, p. 113.

(٣) احمد ابراهيم دياب ، العلاقات المصرية السودانية وأثرها فى تطور السودان السياسى ، رسالة ماجستير جامعة القاهرة ص ٥٠ .

متصلة بتركيا اثناء الحرب العالمية الاولى ، مؤيدة لتركيا مستنفرة اهل السودان لحرب الانجليز وطردهم من السودان . ولم تستطع السلطات البريطانية السيطرة على دار فور واخضاعها للحكومة المركزية فى الخرطوم حتى عام ١٩١٦ م . وكانت بريطانيا قد وعدت بعض الدول العربية بالاستقلال بعد الحرب العالمية الاولى ، وأظهرت تأييدها لحركة الشريف حسين فى مكة ومطالبته بالاستقلال ، ولكن بريطانيا قلبت للعرب ظهر المجن حين وضعت الحرب أوزارها وانتصرت هى فى الحرب . وهكذا كانت تعامل الشعوب المستضعفة . فليس للاستعمار قيم تحكم تصرفاته بل هى المصلحة المادية ، والقوة الغاشمة التى توجه خطواته . فلا يخضع الا لقوة تفوق قوته ، أو خطر يهدد مصالحه . وقد انخدع العرب بهذه الاساليب وقتا طويلا ولم يعوا الدرس الا بعد ان ذاقوا الامرين من الاستعمار .

وقد عملت بريطانيا منذ ان احتلت السودان على الفرقة بين المصريين والسودانيين فعمدت الى الظروف التى سبقت الاحتلال ايام الحكم التركى ، والظروف الجديدة فى كل من مصر والسودان ، فاستغلتها لتحقيق اهداف السياسة البريطانية . كان كثير من السودانيين فى تلك الفترة يذكرون عهد الادارة التركية حياً فى اذهانهم ، ويذكرون ان المصريين قد اشتركوا فى تلك الادارة . ومن هؤلاء من لايفرق بين المصريين وحكامهم من الاتراك . وان كانت الفترة كلها عرفت فى السودان بالحكم التركى ، فكانت صور الظلم الذى وقع على اهل السودان عالقة بالاذهان . وقد حاول الانجليز جهد طاقتهم ان تظل تلك الصورة حية بل عمدوا الى تضخيمها وتهويلها ، ولم يتركوا مناسبة الا ذكّروا السودانيين ببشاعة الظلم الذى لاقوه من الاتراك والمصريين . فاذا خطب الحاكم العام أو احد وزرائه ، ذكّر الناس بالعهد التركى ، وقارن بين الظلم الذى اصاب الناس فيه والعدل الذى يتمتعون به فى عهد الانجليز ، وحسب كثير من الناس ان ظلم الانجليز عدل حين المقارنة بالعهد التركى .

وقد شهدت بعض المناطق فى السودان ضروبا من الفتنة فى أواخر عهد المهدية جعل الناس فيها يفرحون باى شىء يخرجهم مما كانوا فيه ، حتى ولو كان ذلك الشىء شيطانا كافرا كالانجليز . وهذا يفسر ارتياح بعض القبائل فى السودان للغزو البريطانى واحتلال السودان ، بل ان بعض هذه القبائل قد أعان الانجليز على فتح السودان والسيطرة

عليه ، كانوا فى حالة من الاضطراب واليأس لايقدرها حق قدرها الا من اطلع على الوثائق التى تصف تلك الحالة التى سادت بعض مناطق السودان بعد وفاة المهدى .

أما القبائل التى كانت تذكر فترة الحكم التركى بالسوء هى التى ساندت ثورة المهدى ثم استمروا فى معارضة كل شئ يأتي من مصر . وهؤلاء هم الذين دافعوا عن المهدية في آخر معاركها ضد الغزو البريطاني دفاع المؤمنين ، وابدوا بسالة وأبلوا أحسن بلاء ، ولكن كل الظروف قد اصطلحت على نظام الخليفة فانهزم .

وفى زيارة اللورد كرومر للسودان ٤ يناير عام ١٨٩٩م ، قبيل توقيع اتفاقية الحكم الثنائي ، ألقى خطبة فى أهل ام درمان وردت فيها اشارات تؤكد انفراد بريطانيا بحكم السودان وفصل قضية السودان عن مصر . يقول اللورد كرومر فى تلك الخطبة :

« واعلموا ان الحكومة السودانية لاتستمد احكامها من القاهرة أو من لندن ، بل ان السردار وحده هو الذى سيقوم بالعدل فيما بينكم . فلا يجب التعويل على أحد غيره »(١) كانت تلك هى الخطة التى اعدها الانجليز لتحكم العلاقة بـين مصر والسودان منذ ان أستعادوا فتح السودان . ولم يعدلوا عن هذه السياسة التى لخصها اللورد كرومر آنفا حتى آخر يوم غادروا فيه السودان . ثم عمدوا طول الفترة التى قضوها فى السودان إلى تعميق هذه الفكرة فى أذهان السودانيين من زعماء الطوائف والقبائل ، وممن اتصلوا بهم من المثقفين . فأن التعويل على السردار الذى هو بريطانى فى جميع الامور المتعلقة بالسودان هو انفراد وقطع للصلة بين مصر والسودان .

ثم ماذا عن التناقضات داخل السودان ؟ فلا بد للادارة البريطانية ان تستغل تلك التناقضات الداخلية . نظرت إلى القبائل التى عانت من المهـدية فقربتها ورفعت من شأن زعمائها . ونظرت إلى من نجا من قادة المهدية فساستهم ترغيبا وترهيبا . ثم خلقت التنافس بين طائفتى الانصار والختمية ممثلين فى زعيميهما السيد عبد الرحمن المهدى والسيد على الميرغنى . فوجدت طائفة الختمية التى كانت تعارض المهـدية أن الفرصة سانحة للفوز بمكانة كبيرة فى البلاد بعـد نهاية المهدية . وسعت قيادة الأنصار إلى استعادة ما فقدت من نفوذ بعد فتح السودان .

---

(١) محمد فؤاد شكرى ، المصدر السابق ، ص ٥٦٨

وفى بداية هذا القرن لم يكن الوعى الوطنى سوى جنين فى أحشاء الامة العربية ، وشرارة تحت ركام من رماد تنتظر رياح الثورة العربية لتهب عليها ، وتزيح عنها ذلك الرماد فتشتعل ، كما فعلت فى كل من مصر والسودان فى العقد الثانى من القرن .

وهكذا عملت بريطانيا على ان تفيد من تلك الظروف مع قلة الوعى الوطنى . فسعت لكسب تأييد زعماء الطائفتين الكبريين ، وزعماء القبائل بشتى الوسائل والحيل ففرقت بينهم فى الداخل ، وجمعتهم على تفرقهم لتفرق بين مصر والسودان . فأن فى بعد مصر عن السودان ضمانا لبقاء الاستعمار واضعافا لقوة الشعبين اذا ارادا الثورة على الاستعمار . وتلك أمور لا يمكن ان تخفى على اساطين الاستعمار . فهم يعلمون ان تلك الشعوب المغلوبة على أمرها سوف تنتزع استقلالها وحريتها ان عاجلا أم آجلا ، ولكنهم يعلمون كذلك انهم كلما أخروا هذا الأجل افاد المستعمرون من خيرات البلاد التى احتلوها بقوة السلاح . وسوف نرى ان مواقف هؤلاء الزعماء تتغير بتغير الظروف والاحداث . فمن زعماء وقفوا يصفقون للانجليز مستبشرين بدخولهم السودان أيام الفتح قد وقفوا فى نفس المكان صامدين فى وجه الانجليز ، أو مضرجين بدمائهم يريدون خروج الانجليز ويدفعونهم إلى الرحيل عن السودان دفعا . ومن هؤلاء من روّت دماؤهم سهول السودان دفاعا عنه ، صامدين فى وجه الغزو البريطانى ، قد وقفوا فى آخر الايام يستبقون الانجليز وهم يرحلون عن السودان . وكان لكل ظروفه واسبابه ودوافعه التى ينبغى ان ننظر للوضع كله فى اطارها . فأن فصل هذه المواقف عن ظروفها التاريخية ، واسبابها الموضوعية ، سوف يؤدى إلى ظلم عظيم وتقدير خاطىء لهؤلاء الرجال الذين شاركوا جميعا فى استقلال السودان وتكوينه ، بل فيه ظلم للفترة كلها من تاريخ السودان .

وحين اندلعت الحرب العالمية الاولى وجد الانجليز أنفسهم فى حاجة ماسة إلى كل عون ومساندة يجدونها من أهل السودان . فعمدوا إلى اغراء زعماء الطوائف والقبائل والاعيان ، ليحملوهم على اظهار تأييدهم لبريطانيا فى حربها فى الخارج ، وتمجيد سياستها الرشيدة فى داخل السودان .

وقد جاء فى وثيقة التأييد التى وقع عليها الزعماء :

« حكومتنا العادلة التى لم ير الاسلام والمسلمون منها الا كل خير دينى ودنيـــوى

جميعنا فى استياء من قـيام تركيا فى هـذه الحرب التى نتبرأ منها فأنه لا مصلحة فيها للمسلمين بوجه من الوجوه » .

ثم تصف الوثيقة الحكم التركى قبل الانجليز قائلة :

« اننا شهدنا عيانا ما كان جرى فيما سلف مدة الاتراك من الجور والفجور والاستبداد فى الاحكام بدوام الظلم والتنكيل والتمثيل والقلاقل والاهلاك والاهانة .. تركيا التى حاربنا ظلمها من قبل وتقلبت علينا ادوار كثيرة وحكمنا الاتراك والدراويش وغيرهم فلم نجد عدلا مثل ولاة امورنا الانجليز الحاضرين الوفيين العاملين » . (١)

وعلى الرغم من ان العلماء فى السودان كانوا يعلنون ولاءهم للانجليز بنفس القدر الذى يعلن فيه زعماء الطوائف والقبائل إلا انهم لا يرون مكانا للعلم غير الازهر . وقد اقترحوا مرة فى سذاجة معجبة على ونجت باشا حاكم عام السودان ان يبعث بعدد من السودانيين ليدرسوا العلم فى الازهر . ورد ونجت باشا طلبهم بقوله :

« ان لدى شعورا قويا على الدوام ضد سفر السودانيين للقاهرة لانهم بلا شك سيجدون افكارا تحمل الكراهية لنظام الحكم القائم فى السودان » (٢)

ولكن أنى للانجليز ان يقطعوا الصلة بين مصر والسودان قطعا كاملا . فان التاريخ كله قبل ان يعرف الانجليز السودان بل قبل ان تعرف أوربا أفريقيا أو الشرق العربى ، يؤكد كيف ربطت بين مصر والسودان وشائج القربى ، وآصرة الرحم ، ووحدة فى الدين والحضاره تقف حائلا منيعا دون قطع هذه الصلة بين البلدين ، فلم يكن ذلك امرا سهلا على الانجليز ، بالرغم من القوة المادية التى يتمتعون بها ، وعلى الرغم من ضعف تلك القوة المادية أو عدمها عند الشعبين المصرى والسودانى فى ذلك الحين . وكان الانجليز على علم بتلك الروابط ، وهم على يقين أن فصمها فصما حاسما يكاد يكون مستحيلا، ولكنه كالاستقلال وتقرير المصير سوف يأتى ويتحقق يوما من تلك الايام ، وكل ما يمكن ان يفعلوه ان يضعفوا من الأسباب والوسائل التى تعجل باتصال مصر بالسودان وتوثق تلك الرابطة القائمة فعلا بين البلدين . فكروا فى الوسائل التى تباعد وتفرق بين

---

(١) مكى شبيكه ، المصدر السابق ، ص ٤٧١ .

(٢) احمد دياب ، المصدر السابق ص ١٨

مصر والسودان مثل ما رأينا من الدعاية التى كانوا يطلقونها فى كل انحاء السودان عن مساوىء الحكم التركى الذى يعنون به الحكم المصرى وما يبشرون به من عدل الانجليز والرخاء الذى سوف يعم البلاد فى عهد الانجليز . ولكن لابد من إنشاء مؤسسات تسند هذه الدعاية وتروج الافكار التى يبثها الانجليز ، ثم تحبط كل محاولة لقيام صلة مادية أو ثقافية علمية بين البلدين. وكان من أهم تلك المؤسسات قسم للمخابرات يرصد الحركات الوطنية ، ويتتبع القائمين بها ويمدهم بالمعلومات عن تطور العلاقات بين مصر والسودان .

فى عام ١٩٠٨م أسست حكومة السودان مصلحة للمخابرات فى القاهرة وعينت عليها مسئولا عرف بوكيل حكومة السودان فى مصر . وكان اكبر همّم لهذه الوكالة رصد النشاط المعادى للادارة البريطانية فى كل من مصر والسودان ، والاهتمام بصفة خاصة بالضباط الذين كانوا يحملون افكارا وطنية حتى لا يؤثروا على الضباط فى السودان . وكان اول وكيل لحكومة السودان بالقاهرة سيرلى استاك بين عام ١٩٠٨ وعام ١٩١٤ م وهو الذى أصبح حاكم عام السودان عام ١٩١٨ م إلى أن قتل فى القاهرة عام ١٩٢٤ م .

قضية السودان بين السياسة والأدب

ومنذ الحرب العالمية الاولى أخذ الوعي الوطني في السودان يجد طريقه إلى عقول المتعلمين من السودانيين ، خاصة طلبة كلية غردون الذين كانوا على صلة حميمة بأساتذتهم من المصريين في الكلية . وكان لهؤلاء الاساتذة الذين يدرسون في كلية غردون منذ إنشائها أثر بالغ الخطر في إنتشار ذلك الوعي ، وتعميقه في عقول الناشئة من ذلك الجيل . وكان هؤلاء الاساتذة متأثرين بما يجرى في مصر ، ينقلون أو يعكسون ، ان صح هذا التعبير — كل ما يحدث هناك من أفكار تدعو إلى الحرية والاستقلال وحركات تنادى باعلان حرب ضروس على الاستعمار . وقد صحب هذا نهضة أدبية في مصر قامت قواعدها على أساس من حرية البحث العلمي ، واعمال العقل وإحترام الفكر . فكل هذا كان يجد طريقه إلى حجرات الدرس التي يلتقي فيها الاساتذة المصريون بطلابهم من السودانيين ، وكل هذا يجد من هؤلاء الطلاب قلوبا مفتوحة وآذانا صاغية واستعدادا لاستيعاب ما يلقى اليهم ، وربما العمل به كلما واتت الفرصة .

وظهر هذا الوعي في صور أدبية تعليمية ذلك ان سبيله الاول كان طريق التعليم والثقافة ، فصدرت بعض الصحف اليومية ، وانشئت الاتحادات والجمعيات الادبية ، والنوادى الاجتماعية . وكان لتلك النوادى والجمعيات دور كبير في إنتشار الوعي الوطني وتعاظمه في شتى انحاء السودان. ومن تلك الصحف ما كان يصدر رسميا تحت رقابة الحكومة ويتحدث باسمها ، مبررا للسياسة وداعيا لها ، ومنها ما كان يتعرض احيانا لكشف بعض مساوىء الحكم ، وسياسة الاستعمار في السودان فيلاقي ضروبا من العنت والبطش ، من طرد او تشريد أو سجن . ثم قامت جمعيات ظاهرها الادب والثقافة وباطنها السياسة والعمل على مناهضة الاستعمار . ففي سنار انشئت جمعية من الادباء والمثقفين عام ١٩١٤ سمت نفسها جمعية (روضة الشعر) . كانت تبعث بانتاجها لينشر في صحيفة الرائد . وان في هذا اشارة إلى اتجاه تلك الجمعية . فأن الرائد كانت تدعو إلى نهضة البلاد ، وتحاول ان تفي بحاجات كثيرة في وقت واحد . دعت إلى بعث التراث الاسلامي ، وكانت تنشر قصائد شوقي وحافظ ابراهيم في هذه المعاني التي تتحدث عن تراث العرب

وحضارة الاسلام (١) وقد انشئت صحيفة الرائد هذه فى عام ١٩١٤ م . كانت إجتماعية أدبية فى ظاهرها . وكان يحرر فيها عدد من الأدباء منهم مصريون وسوريون اخرهم عبد الرحمن مصطفى قليلات السورى . وقد ابعد عن السودان اثر مقال كتبه ينقد فيه الادارة البريطانية فى السودان ، ويصف ما تعرض له الاهلون من جوع وشظف بعد الحرب العالمية الاولى ، مقارنا بين حال اهل السودان البائسة والنعمة التى يتقلب فيها الحكام من الانجليز .

وعلى الصعيد الاكاديمى صدرت مجلة باللغة الانجليزية عام ١٩١٨ م يكتب فيها الاداريون الانجليز فى مختلف الموضوعات الاجتماعية والتاريخية المتعلقة بمشكلات الادارة فى مناطق السودان والقبائل والعادات . وعرفت باسم (السودان فى رسائل ومدونات) Sudan Notes and Records واستمرت هذه المجلة فى الصدور بعد الانجليز حتى يومنا هذا .

وفى عام ١٩١٨ م رأى المتعلمون فى الخرطوم وامدرمان ان يتخذوا ناديا يكون مقرا لنشاطهم الادبى والاجتماعى . وقد عرف فيما بعد بنادى الخريجين . ولم يكن فى البدء سوى مكان يجتمع فيه بعض المتعلمين من سكان المدن الثلاث فى كل من الخرطوم والخرطوم بحرى وامدرمان . وفضلوا امدرمان للمقر بوصفها العاصمة الوطنية لكل السودانيين . ولم تكن الادارة البريطانية تخشى مثل هذا النشاط الظاهر ، وكى تؤكد هذا جعلت تشرف على النادى ونشاطه منذ البداية . فافتتح النادى بأذن من السلطات واختير نائب مصلحة المعارف المستر سمبسون رئيسا فخريا للنادى كما انتخب السيد حسين شريف نائباً للرئيس (٢) .

وما كان للسودانيين المتطلعين للحرية والاستقلال من مجال للحركة نحو تحقيق شيء أو عمل فى تلك الايام الا بالحيلة والمصانعة حتى تقوى الحركة الوطنية ، وتتوافر العوامل المادية والمعنوية للمجاهرة بالدعوة إلى الاستقلال ورفض الاستعمار . فأن المجاهرة بحرب

---

(١) محجوب محمد صالح ، الصحافة السودانية فى نصف قرن ، الخرطوم ١٩٧١م ص ٤٢-٤٣
جاء فى كتاب محجوب محمد صالح ان جريدة الرائد صدرت كلحق عربى لصحيفة باللغة الانجليزية Sudan Herald فى يناير ١٩١٣م ص ٤١

(2) K.D.D. Henderson, The making of the modern Sudan, London, 1953,p.536

الاستعمار ربما تعرض الحركة ان يعصف بها اعصار الاستعمار المجنون : فلو أحس الانجليز ان ذلك النادى سيكون نواة لدعوة إلى الاستقلال والحرية لما سمحوا بانشائه ، والاستعمار ذو سطوة وجبروت رهيب فى تلك الايام .

ولعله يبدو من المضحك الآن ان ننظر إلى جمعية سودانية رئيسها انجليزى يمكن ان يرجى منها اى خير للسودان . ولكن هذا النادى قد تحول مع تطور الحركة الوطنية وتقدم الوعى المتعاظم إلى قلعة للمناضلين من طلائع الحركة الوطنية فى السودان ، وكانت الشرارة أبدا تندلع من ذلك النادى ضد المستعمرين حتى حمل الاستعمار عصاه ورحل عن السودان . وكان هذا النادى كما وصفه الاستاذ محمد محمد على اعلاناً عن ظهور طبقة جديدة تتطلع للقيادة وتجعل منه منبرا لمخاطبة الجماهير . (١) ولم تستطع هذه القيادة ان تخاطب الجماهير من ذلك المنبر الا بعد صراع مرير مع الاستعمار انتزعت فيه الاعتراف بها انتزاعا . وكان خريجو تلك المدارس التى سمى النادى باسمها هم الطبقة التى نالت حظا من التعليم جعلها مستعدة لتقبل الافكار القومية عن الحرية والاستقلال فى اطار جديد، متأثرة بافكار حديثة أخذت تصل إلى العالم العربى وتنتشر فيه .

يرى المارشال ويفل أن من أسباب نمو الوعى الوطنى فى مصر حرية الفكر والرخاء الذى جلبه الاحتلال البريطانى لمصر . وقد تأثر هذا الوعى بمذاهب تقرير المصير وحق الامم الصغيرة فى تقرير هذا المصير ، تلك الافكار التى نادى بها الرئيس ويلسون وقد أساء المصريين واحزنهم أن سمحت بريطانيا لعرب الصحراء بحضور مؤتمر السلام لعرض قضيتهم كما سمح للقبارصة والسوريين ، ولم يسمح لمصر وهى أحق واكثر تحضرا من أولئك جميعاً . وأصبحت الطبقة المتعلمة من المصريين منافسة للانجليز فى الوظائف الحكومية ، فكان المصريون يحسبون كل موظف انجليزى مغتصبا لحق من حقوقهم بعد ان نالوا الكفاءة والتعليم للقيام بتلك المهام التى كان يؤديها الانجليز . أما طبقة الفلاحين فقد ازداد عليها الضغط والقهر فى أقبح صوره ، باكراههم على العمل فى الجيش وسد حاجاته من الغذاء «فراحوا يجندون الناس رغم ارادتهم فى فرقة العمال، وأخذوا يستولون على حيواناتهم ومحصولاتهم حتى كانت تؤخذ منهم اموالهم احيانا باسم اكتتاب للصليب الاحمر » (٢) .

---

(١) محمد محمد على ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠

(٢) المارشال ويفل ، المصدر السابق ، ص ٣٦–٣٧ .

وبالرغم من هذا القهر تحدث المارشال ويفل عن حرية الفكر والرخاء الذى جلبه الاستعمار البريطانى لمصر !!

وكان السودانيون فى كل هذا على صلة بمصر ، وعلى علم بما يحدث فيها من تطلع إلى الاستقلال ومطالبة بتقرير المصير ، واستعداد للثورة التى توافرت لها الاسباب ضد الاستعمار . فأن النقاش فى البرلمان المصرى لم ينقطع عن قضية السودان ، وارتباطها بقضية مصر . وحين تفجرت الثورة عام ١٩١٩ م كانت تنادى بالجلاء عن مصر والسودان وتهتف الجماهير مطالبة بوحدة وادى النيل . وتردد صدى تلك الثورة فى السودان ، وخشيت الادارة البريطانية ان يحدث فى السودان ما حدث فى مصر . فلجأت إلى زعماء الطوائف والقبائل طلبا للتأييد، لتوهم المصريين ان السودانيين راضون بحكم الانجليز. وأصرت الادارة البريطانية ان ينص هذا الاعلان الذى يصدره الزعماء على أن يبقى السودان تحت الوصاية والرعاية البريطانية حتى يبلغ الرشد وهذا ما عنيناه حين ذكرنا ان الاستعمار البريطانى كان يعمل على تأجيل أمر لا محالة واقع ، فهم يعلمون أن السودان سوف يتحرر من الاستعمار ،ولكن بعد أمد يتحدث عنه الاستعمار فيصفه ببلوغ الرشد. كانوا ينظرون إلى الشعوب المستضعفة كأنهم أطفال يقومونهم ويحضرونهم . فتكّون وفد من هؤلاء الزعماء وسافر الى انجلترا مهنئا الملك فى لندن بالانتصار فى الحرب ومعلنا ذلك التأييد .

ولما عاد الوفد السودانى من لندن تعرض لهجوم عنيف من الصحف المصرية . وغاظ هذا الهجوم الانجليز وازعج الزعماء الذين أعلنوا تأييدهم لبريطانيا ، وأدوا فروض الطاعة والولاء . وفكر الزعماء فى الرد على ذلك الهجوم بهجوم مثله تبريرا لما قاموا به من عمل يحسبونه من مصلحة السودان . فكان لهم فى صحيفة الحضارة وسيلة للرد على هذا الهجوم الذى تعرضوا له سواء فى مصر ام داخل السودان . وكان رئيس تحرير « الحضارة » السيد حسين شريف ، واصحاب امتيازها السيد عبد الرحمن المهدى والسيد محمد الخليفة شريف والشيخ عثمان صالح ، وعبد الرحمن جميل والشيخ حسن أبو . وحقا ان فكرة هذه الصحيفة كانت تراود السيد حسين شريف منذ عام ١٩١١ م . فكان يدعو إلى انشاء صحيفة سودانية خالصة . وقد كتب عن هذا فى صحيفة الرائد . فلما توقفت الرائد عن الصدور عام ١٩١٨ م اصبحت الحاجة ماسة والظروف مواتية لاصدار

صحيفة سودانية جديدة (١) ورسمت جريدة الحضارة لنفسها منهاجا تسير عليه فى سياستها كما يقول رئيس تحريرها :

« اما سياستها الداخلية فستدير رحاها على قطب الاصلاح الوطنى الحقيقى القائم على ركن التوفيق بين الحاكم والمحكوم ، والخالى من أى تسرع وخيال ، والمراعى فيه سنن الكون ونواميس الاجتماع والعمران ، فنهتم بتكوين رأى يصح الاستناد عليه والسير به إلى الامام ، وذلك بما تطرقه من مواضيع تستدعى الاهتمام العام وتستلزم اشتراك الآراء والاقـــلام » . (٢)

فهى اذن صحيفة توفيقية ، تريد أن توفق بين الحاكم والمحكومين . وهذا ما كان يريد الاستعمار . وكتب السيد حسين شريف عام ١٩٢٠ عن قضية السودان : « ما هى المسألة السودانية ؟ وكيف تكونت ؟ سؤالان قد يخطران على بال الكثير من القراء عندما يقع نظرهم على هذا العنوان ، فيودون لو قرأوا اجوبتها قبل الانتقال بهم إلى بسط أوجه المسألة وادلتها للدفاع عنها والحجج لها ، ومعرفة الحق فيها وترجيح أحد طرفيها .

« فالمسألة السودانية التى يتجاذبها القطران اليوم هى محاولة حل ذلك العقد الذى أبرمه اتفاق ١٨٩٩م سواء أكانت تلك المحاولة من جانب السودانيين بقصد تخليص بلادهم من هذا الموقف الحالى ، وبغرض توحيد الحكومة فى شخص أقدر الشريكين وأرقاهما ، واخبرهما بقواعد الحكم ، وطرق الاصلاح ، وارسخهما فى أساليب تربية الامم وارشاد الشعوب ، حتى يستطيعوا ان يبلغوا سن الرشد الاجتماعى ، غير متنازع فى ميولهم ولا متجاذب فى شئونهم ، أم كانت من جانب المصريين لينفردوا بالسودان ، بدعوى انه جزء متمم لمصر ، وعضو حيوى فيها ، وقطر أخضعه سيفها ورمحها وفتحه جيشها وجندها وأظله ملكها الخالص أعواماً تزيد على الستين . وسترى فيما يلى اى الكفتين ارجح وأى الدعوتين أصح » (٣) .

وكم كانت المسألة بسيطة لو نظرنا اليها كما نظر اليها السيد حسين شريف وحللها . فـــأن القضية أكثر تعقيدا من هذا وأعمق . وهو لا شك يساند الفريق الاول . وان فرضه

(١) محجوب محمد صالح ، المصدر السابق ، ص ٥٣–٥٥

(٢) المصدر نفسه ص ٦٩

(٣) المصدر نفسه ص ٧٦

الاول خطأ والثانى يحتاج إلى شىء من التفصيل . أولا ان مصر لم تشارك الانجليز فى حكم السودان الا اسما وأن وصف الانجليز بانهم اخبر الناس بقواعد الحكم وطرق الاصلاح وأساليب تربية الامم وارشاد الشعوب ، صفات لا يجدون هم أنفسهم الجرأة ليصفوا بها أنفسهم . وهذا جهل بطبيعة الاستعمار ونواياه فى سياسة الشعوب . وان ما يقول الكاتب لا يمثل اجماع السودانيين بل ان قطاعا كبيرا يخالفه الرأى ، ويحسب ان السودانيين اقرب إلى المصريين منهم إلى الانجليز . وأن الانجليز اذا انفردوا بحكم السودان لن يستطيعوا ان يخرجوهم منه . وان فى انشاء علاقة مع مصر قوة وسنداً للسودان ، تعينه على القضاء على الاستعمار . وقد اختلف السودانيون فى طبيعة تلك العلاقة أو الصيغة المثلى التى يمكن ان تكون عليها . فمنهم من يرى الاتحاد الكامل مع مصر، ومنهم من يرى استقلال السودان بنوع من الصلة بمصر . اما الحديث عن انفراد مصر بالسودان بدعوى انه قطر اخضعه سيفها ورمحها ، فهذا ان كان رأى بعض المصريين ، فلم يكن رأى السودانيين . فلا يمكن لجماعة من اقليم بعينه أن تدعو إلى الاتحاد مع اقليم آخر ليخضعوا خضوعا كاملا لذلك الاقليم . ان هذا ضد طبيعة الاشياء كما يقولون . وقد صدّقت الايام هذا حين اجمع السودانيون على استقلال السودان فى آخر المطاف .

وكانت زيارة وفد السودان إلى لندن بداية الصراع الحق الذى دار بين انجلترا ومصر على الصعيد الخارجى ، وبين السودانيين أنفسهم على الصعيد الداخلى . وظل هذا الصراع يحكم العلاقات كلها بين مصر والسودان ، ويوجه السياسة البريطانية والسياسة المصرية نحو السودان ، ويحدد العلاقة المادية والثقافية ويكونها منذ عام ١٩١٩ م إلى ان نال السودان استقلاله عام ١٩٥٦ م . ولهذا جعلنا عنوان البحث محددا بهذا التاريخ فهو فى رأيى بداية الصراع ، ولحظة الوعى لكل من المصريين والسودانيين . وهو الذى مهد لكل ما حدث فى السودان منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا . فأن السياسات التعليمية التى رسمها الانجليز فى السودان ، والثقافة التى نشروها ، كان لها ابلغ الاثر فى تكوين الشخصية السودانية واتجاهات المثقفين فيه . وان العلاقات بين مصر والسودان كانت كلها تدور حول هذا المحور . ولم يكن اثر هذا الصراع وقفا على السودان وحده ، بل قد شمل مصر بطريقة سلبية . إذ اخذ كثير من قادتها ومثقفيها يحاولون ان يثبتوا — وهم فى هذا كأنما يخاطبون الانجليز — ان السودان محافظة من محافظات مصر ، فقدوها

لفترة وهى تعود اليهم الآن بعد اعادة فتح السودان . وهذا ما اشار اليه السيد حسين شريف فى مقاله عن مسألة السودان .

ولم تكن للفريق الآخر الذى لا يرى رأى زعماء الطوائف والعشائر من صحيفة تنشر رأيه أو من حرية للتعبير . فلجأ إلى العمل فى الخفاء باصدار منشورات توزع على الناس بليل ، تشرح لهم القضية وتبصرهم بها . ولما كان هذا الفريق على علم بمكانة أولئك الزعماء فى نفس الشعب السودانى ، أخذ يبرر موقف زعماء الطوائف ويظهرهم كأنهم مكرهون على موقفهم ذلك من تأييد الانجليز . فقد جاء فى احد المنشورات السرية : « ان الانجليز بدأوا بسياسة التفريق بيننا ولكننى واثق من أن هذه السياسة غير مجدية ولقد سخروا لهذه السياسة جريدة الحضارة التى قد أظهرها القوم هذه الأيام لاغراض لا تجهلونها ، خدمة لمآربهم الخرقاء . ومما يؤسف له الأسف الشديد أنهم يستخدمون لاغراضهم العلماء الثلاثة زعماء الدين ، لما لهم من المكانة فى نفوسنا . ويعلم الله ان سياسة هذه الجريدة على غير ارادتهم ولكنهم مرغمون على السكوت بالنظر لاحكام السودان الظالمة » (١)

واتسع الخلاف بين السودانيين أنفسهم على طريق الاستقلال ومحاربة الاستعمار. وفى تلك الفترة بعد عودة الوفد السودانى من لندن ظهرت الجمعيات السرية . فقامت جمعية الاتحاد السودانى عام ١٩٢٠ – ١٩٢١ م (٢) ترفض ما اعلن الزعماء من تأييد لسياسة بريطانيا فى السودان. وكان عملها سرا تصدر المنشورات التى تكشف مساوىء الحكم وتدعو إلى وحدة وادى النيل . وكانت فى كل ذلك على صلة بالحركة الوطنية فى مصر تتأثر بها حينا وتنسق حينا آخر. وكان من اعمال هذه الجمعية تشجيع هجرة الطلبة السودانيين للدراسة فى مصر. ولم تكن السلطات البريطانية تسمح للطلبة السودانيين بالذهاب إلى مصر خشية ان يتأثروا بما يجرى فيها من أفكار وحركات تدعو إلى محاربة الاستعمار والمطالبة بالاستقلال . فساعدت هذه الجمعية عددا من الطلبة سرا فهاجروا إلى مصر . ولم يكن ذلك امرأ سهلا ولا سفرا قريبا بل كانت مغامرة يحفها الخطر وتحول دونها الأهوال. فان الاستخبارات الانجليزية كانت تراقب تلك الجمعية التى تعين الطلبة على الهرب ، وان اولئك الطلبة الذين يتسللون فى جنح الظلام كانوا عرضة للهلاك اما بأيدى السلطات

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٧١

(٢) يرجح الدكتور شبيكة أن الجمعية قد كونت عام ١٩٢١م من بعض الموظفين وطلبة كلية غردون والشبان من التجار ، السودان عبر القرون ، ص ٤٨٧

الغاشمة وأما من غول الطريق وبعده. ولكنهم كانوا على قدر كبير من العزم والاصرار. كانوا على علم بكل تلك الاهوال وبالرغم من كل ذلك صارعوا الامواج نحو ما يعتبرونه شاطىء النجاة . من هؤلاء الطلبة توفيق البكرى وبشير عبد الرحمن والدرديرى احمد اسماعيل ، كلهم تركوا كلية غردون حين ضاقت بهم وضاقوا بها . وسوف يأتي الحديث عن كلية غردون فى مكانه من هذا الكتاب .

ومن نشاط جمعية الاتحاد السودانى مراسلة الصحف فى مصر ، تكتب عن قضية السودان ، ومدى ارتباطها بقضية مصر . وكانت تجلب بعض تلك الصحف الصادرة فى مصر الى السودان سراً . ومن شعاراتهم :

« السودان للسودانيين والمصريون أولى بالمعروف » وهذا يؤكد ما اسلفنا من ان السودانيين لم يفكروا يوما فى التبعية الضعيفة لمصر ، ولم ينادوا بضم اقليم السودان الى مصر باعتبارها محافظة كانت تخضع لها يوما من الايام بل كانوا ينظرون الى المصريين نظرة الاخوة والاهل . وهم اولى بالمعروف . ولم يكن هذا شيئا جديدا طرأ فى العقد الثانى من القرن العشرين وانما كان ذلك منذ القرن الثامن قبل الميلاد ايام بعنخى بن حريحور (١)

ومن ابرز اعضاء جمعية الاتحاد السودانى عبيد حاج الامين ، الامين على مدنى ، ابراهيم بدرى ، توفيق صالح جبريل ، سليمان كشه ، عثمان محمد هاشم ، عابدين عبد الرؤف وخلف الله خالد . وكان ممن تعاون مع هذه الجمعية عبد الله خليل الذى اهدى الجمعية (مطبعة بالوظة) يطبعون بها منشوراتهم السرية . (١)

وهكذا اخذت تتكون الجمعيات السرية تعد لمقاومة الاستعمار باسلوب جديد فرضته الظروف وأملته الضرورة . فقد ايقن هؤلاء الزعماء الجدد أن الحوار مع الاستعمار غير مجد ، وأن لابد من دفع الحركة الوطنية دفعة قوية يستشعرها الناس جميعا ، ولا يكون ذلك الا بالمقاومة المسلحة . ولابد لتحضير واعداد لمثل تلك المواجهة . فانسلخ عبيد حاج الامين من جمعية الاتحاد السودانى بعد ان رأى انها لاتقوى على صدام مسلح مع الانجليز . ثم إنضم الى على عبد اللطيف مؤسس جمعية اللواء الابيض التى قادت ثورة

---

(١) وولتر امرى ، المصدر السابق ، ص ٢١٧–٢٣٠

(٢) احمد دياب ، المصدر السابق ، ص ٦٠–٦٢

١٩٢٤م فى السودان .[١]

وهكذا يتفاقم الامر ويزداد حـــدة وتعقيدا فى قضية السودان لم يعد الأمر شيئا بين مصر وبريطانيا وإنما دخل عنصر جديد أقض من مضاجع الأنجليز فى السودان ، ذلك هو هؤلاء الزعماء من الطلائع الذين يعملون على مواجهة الادارة البريطانية بقوة السلاح. فكان ارسال الوفد الذى ذهب الى لندن مهنئا الملك ردا من الانجليز على الوفد المصرى الذى ذهب يطالب بالاستقلال لمصر والسودان فى وحدة تامة بين البلدين . وفى مصر تـــكون حزب الوفد الذى تجسدت فيه آمال مصر فى الحرية والاستقلال ، وتعاق بهذا الحزب كثير من السودانيين الذين كانوا يتطلعون الى مايأمل فيه الوفد . فنادوا بما نادى به الوفد وعارضوا كل من نـــاوأه فى السودان . وتبين لهذه الطبقة من السودانيين سواء كانوا مثقفين ام ضباطا فى الجيش وحدة المصير والهدف المشترك فى السر والعلن .

واشتدت الحملة التى قادها سعد زغلول فى عامى ١٩٢٠ و ١٩٢١ ضد الانجليز فى مصر . فقرر أللنبى أن يعتقل سعد وخمسة من رفاقه فى ٢٣ ديسمبر ١٩٢١ . ونقل سعد الى عدن وظل هناك الى أول مارس عام ١٩٢٢. ومن هنالك نقل الى جزائر سيشل. وزاد نفى سعد الامور تعقيداً فى مصر، فلم تقبل الجماهير بغير سعد زعيما أو بديلا. ووجدت بريطانيا عنتا شديدا فى تكوين وزارة ترضى عنها الجماهير التى تعلقت بسعد . واطلق سراح سعد زغلول فى مارس عام ١٩٢٣ م .

وفى عام ١٩٢٢ حين شعر الانجليز بأن مصر جادة فى وضع دستورها والمطالبة بالاستقلال خشيت ان يثير وضع الدستور قضية السودان ووضعه من مصر . فان المصريين سيضعون فى الدستور ان السودان جزء من مصر . وسوف يصرون فيه على وحدة وادى النيل . وان الانتخابات للبرلمان سوف تجرى فى الجزأين : مصر والسودان فى وقت واحد ليجلس كل الاعضاء فى مكان واحد . ولعل من الاسباب التى ادت الى تأجيل وضـــع الدستور فى مصر قضية السودان ووضعه فى المستقبل بالنسبة الى مصر . وليس ببعيد ان يكون الانجليز فى مصر وضعوا كل العراقيل التى حالت دون وضع الدستور كمااراد المصريون. أما فى السودان فقد فعلوا هذا جهارا اذ عمدوا الى حزبهم المؤيد لسياستهم من الزعماء الذين اعلنوا تأيدهم فى زيارتهم لندن . فاستكتبوهم وثيقة أخرى تؤيد السياسة

(١) المارشال ويفل ، المصدر السابق ، ص ٧٠

البريطانية في السودان . ثم قرر اللورد اللنبى المندوب السامى فى مصر ان يقوم بزيارة للسودان لشرح هذه القضية لأهل السودان بنفسه ، فالامر أشد خطرا من ان يكتفى فيه باعلان التأييد أو يترك للحاكم العام وحده فى الخرطوم . فوصل اللورد أللنبى الخرطوم واقيم له حفل فى سراى الحاكم العام يوم ٢٦–٤–١٩٢٢ (١) جمع له من الاعيان والمؤيدين لسياسة الانجليز عدد غير قليل .

وعلى اثر هذه الزيارة كتب على عبد اللطيف مقالا تحدث فيه عن مطالب الامة ثم نفى ان يكون زعماء الطوائف والقبائل الذين اعلنوا ولاءهم للسياسة البريطانية فى السودان ممثلين للشعب السودانى ، متحدثين باسمه ومعبرين عن آمالـه . ودفع بهذا المقال الجرىء الى جريدة الحضارة السودانية يطلب نشره . وما كان من جريدة الحضارة الا ان رفعت المقال الى المستر ولس مدير المخابرات . فلم ينشر المقال ، وقبض على كاتبه . ثم قدم للمحاكمة فحكم عليه بالسجن سنة كاملة قضاها فى سجن الخرطوم بحرى . ولكن المقال وجد طريقه الى الصحف المصرية فنشر بكل مافيه . وحاول بعض المؤرخين ان ينفى عن رئيس تحرير الجريدة (جريدة الحضارة) أنه اطلع مدير المخابرات على المقال الذى كتبه على عبد اللطيف . فيروى حسن نجيله فى كتابه (ملامح من المجتمع السودانى) ان المستر ولس قد اقتحم مكتب رئيس تحرير الحضارة فى غيابه واستولى على المقال (٢)

كان الانجليز فى صراعهم مع الطرف الثانى الذى تمثله مصر معتمدين على زعماء الطوائف الدينية وزعماء القبائل فى السودان . ولعل الانجليز كانوا يجهلون أو يستبعدون أن يكون للسودانيين غير هؤلاء الزعماء دور فى الخلاف الذى كان بين مصر والانجليز فى وضع السودان وتقرير مصيره . ولهذا صيغت الاتفاقية عام ١٨٩٩م تلك الصياغة الغامضة المتناقضة التى اشرنا اليها آنفا . ولكن المصريين كانوا يدركون الى حد كبير مايمكن ان يكون للسودانيين انفسهم من دور فى ذلك الصراع فى قضية السودان . (٣)

ولعل هذا يوضح لنا سبب اتصال المصريين بالمثقفين من السودانيين سواء كانوا فى كلية غردون ام فى دواوين الحكومة ام فى وسط قـوات الجيش ، واتصالهم بالطبقة

---

(١) احمد دياب ، المصدر السابق ، ص ٦٩

(٢) محجوب محمد صالح ، المصدر السابق ، ص ٩٥

(3) P.M. Holt, op.cit, p.p. 127–131

الواعية على اختلاف مواقعها . وكان هذا الاتصال عاملا مساعدا للحركة الوطنية التى أخذت تتكون فى السودان منذ مطلع هذا القرن . وعلى الرغم من ان هؤلاء المتعلمين من السودانين قد تعلموا ما تعلموا على الطريقة الانجليزية لم يكن هذا حائلا دون وعيهم الوطنى ، أو عائقا لمناهضتهم للاستعمار بل كان تحديا وحافزا لهم لمحاربة الاستعمار بمختلف أشكاله. ولعل من الخطأ ان نحسب ، كما ظن الاستاذ هولت ان معارضة السودانيين للحكم البريطانى فى السودان هو نفوذ مصرى فى السودان ، أو ان السودانيين كانوا مجرد وسائل لمطامع القوميين فى مصر . فان اتصال السودانيين بمصر واحساسهم بالمصير المشترك بدأ قبل غزو الانجليز للسودان ، فان ثورة المهدى فى السودان كانت على صلة بثورة عرابى فى مصر وعلى هذا الوجه وبهذا الاحساس تجاوبت جميع الانتفاضات والثورات التى اندلعت فى كل من مصر والسودان . فان الحركة الوطنية المصرية التى ناجزت الاستعمار البريطانى وناصبته العداء منذ الحرب العالمية الاولى عانقت الحركة الوطنية السودانية فى جميع مراحلها . ومنذ ان احتل الانجليز السودان عمل السودانيون على محاربة الاستعمار وطرده من بلادهم . ولعل الحركة الوطنية فى السودان كانت فى أول ايامها ، قبل حركة اللواء الابيض ، تدعو الى استقلال السودان . وكانت مصر فى تلك الفترة تحت الاحتلال البريطانى المباشر . ولكن حين اعلن استقلال مصر — ولو اسما — عام ١٩٢٢ وأصبح فؤاد ملكا على مصر سعى السودانيون الى نوع من التنسيق والتعاون مع المصريين لطرد الانجليز من كل الوادى شماله وجنوبه ، وتحقق نوع من الوحدة بين البلدين ، وحدة وادى النيل ، فانك تجد ان الحركة الوطنية كانت قبل عام ١٩٢٢ تدعو الى استقلال السودان ثم تحول على عبد اللطيف بعد عام ١٩٢٢م الى الدعوة الى وحدة وادى النيل . وظل الاتصال بمصر والسودان منذ عام ١٩٢٢م كفاحا مشتركا ، اختلفوا على نوع الوحدة التى يريدون ولكنهم لم يختلفوا على طرد الاستعمار . ثم اجمع السودانيون أو كادوا على اعلان السودان جمهورية مستقلة فى يناير عام ١٩٥٦ م .

ثوره ١٩٢٤م وأثرها على الرباط الثقافى

قد مهدت لثورة ١٩٢٤ ظروف متشابهة فى كل من مصر والسودان . احـــس قطاع كبير من السودانيين المهتمين بمحاربة الاستعمار ان لابد من الاعلان عن مساندة مصر للسودان . وقد شجع هؤلاء الذين ارادوا الجهر بالتعاون مـــع مصر وزاد من آمالهم قيادة سعد زغلول وازدهاره فى مصر . فكان سعد معقد الآمال ومحط الرجاء فى كل من مصر والسودان .

تكون وفد من السودانيين عام ١٩٢٤م ليذهب الى القاهرة ، يعلن تأييد السودانيين ووقوفهم معها ومساندتهم لها فى كل مطالبها وكفاحها ضد الاستعمار . كانوا يرون ان قضية مصر هى قضية السودان . فمصر الحرة المستقلة ، حتى لو انفصلت عن السودان هى سند له ، وظهير على كل ما يطمح اليه السودانيون ويأملون فى تحقيقه . وكـــانت الثورة فى مصر قد أخذت تنظم صفوفها مرة اخرى بعد ان فرقها الاستعمار عام ١٩١٩م. ثم عادت الى الثورة الروح واشرق الامل بعد ان اطلق سراح زعيمها سعد زغلول . وخشيت السلطات البريطانية فى السودان إن هى سمحت للوفد بالذهاب الى مصر ان يكون هذا اعترافا منها بتمثيل الوفد للسودان . ولاسبيل الى منع الوفد بطريق غير مباشرة فلا مناص اذن من اصدار قرار بمنع الوفد الذهاب الى مصر . وقد احدث خبر منع الوفد زيارة مصر غضبا شديدا فى كل من مصر والسودان . ففى مصر اثير الموضوع فى البرلمان فى مجلس النواب ١٩٢٤/٦/٢٣ م حيث استنكر سعد زغلول ذلك العمل الذى (من شأنه ان يفصل السودان عن مصر) (١) .

وفى السودان اثار منع الوفد الذى تأهب للسفر الغضب وخرج الناس مستقبلين اعضاء الوفد بالهتاف بحياة الشعبين المصرى والسودانى ، ونادى بعضهم بوحدة وادى النيل وطلب الجلاء عن مصر والسودان ، ثم هتفوا بحياة الملك فؤاد ملك مصر والسودان .

وكان لتولى سعد زغلول رئاسة الوزارة المصرية عام ١٩٢٤م أكبر الاثر فى تعاظم الشعور الوطنى واشتداد الحملة ضد الاستعمار . وقد اثيرت قضية السودان من جديد

---

(١) عبده بدوى ، الشعر الحديث فى السودان ، القاهرة ١٩٦٢م ص ٣٩٢

باعتبارها جزءاً لاينفصل عن قضية مصر.

وفى هذا الوقت كانت جمعية سرية قد تكونت فى السودان برئاسة على عبد اللطيف فى مايو ١٩٢٤م. وقد عرفت تلك الجمعية بجمعية اللواء الابيض. كان اسمها مأخوذاً من شعارها. وهو لواء ابيض عليه خارطة النيل من منبعه الى مصبه. وكان اعضاء هـذه الجمعية على صلة واصلة وثيقة بمصر، يكتبون فى الصحف المصرية ويتبادلون الرسائل بمختلف الوسائل، وينسقون كفاحهم المشترك لطرد الاستعمار. كتب عبيد حاج الامين مقالا فى صحيفة الاهرام بتاريخ ١٦ يوليو عام ١٩٢٤م تحدث فيه عن مطالب السودان مؤكدا انها هى مطالب مصر وان قضية السودان لاتنفصم عن قضية مصر.

وكان عام ١٩٢٤م كله ثورة، انتفاضة اثر اخرى. ففى اغسطس من نفس العام خرج طلاب المدرسة الحربية فى مظاهرة مسلحة، فقبض على الطلبة ثم اودعوا السجن. وكان من نتائج تلك المظاهرة اغلاق المدرسة الحربية فى الخرطوم.

وفى نوفمبر من عام ١٩٢٤م نزل سير لى استاك حاكم عام السودان فى القاهرة وهو فى طريقه للخرطوم من لندن. وفى اثناء اقامته فى القاهرة اغتاله بعض المصريين فى شارع من شوارع القاهرة. وعلى اثر مقتل استاك تقدمت بريطانيا بمطالب الى مصر تعويضا لها عن استاك، وتحقيقا لرغبتها فى تنفيذ سياستها فى السودان. فمن تلك المطالب ان تدفع الحكومة المصرية مبلغا قدره مليون جنيه، واخراج الجيش المصرى من السودان فى ظرف اربع وعشرين ساعة، ثم إجلاء المصريين المدنيين الموظفين فى السودان. وكان هـذا المطلب الثالث يشمل أولئك الاساتذة المصريين الذين يدرسون فى كلية غردون التذكارية منذ انشائها. وسوف احدثك عما كان لهؤلاء الاساتذة من اثر فى نشر المعرفة والوعى والثقافة بين الطلاب السودانيين فى كلية غردون عند الحديث عنها. فكانوا هدفا لسهام الاستعمار منذ ان أحسوا بأن الوعى اخـذ يدب فى قلوب الطلاب داخل اسوار الكلية وربما تسلل احيانا من تلك الاسوار الى خارجها، ولم يكن غائبا عن الانجليز حين افتتحوا الكلية ذلك الخطر الذى يمكن ان ينشأ عن وجود مثل أولئك الاساتذة فى بلد كالسودان، ولكن لم يكن ممكنا ان تقوم الدراسة فى بلد عربى باساتذة انجليز فى ذلك الوقت. فهنالك مشكلات اللغة والبيئة التى جعلت تعيين الاساتذة المصريين أمرا لا مفر منه. وحين طرد الانجليز هؤلاء الاساتذة اضطروا ان يخلفوهم بآخرين من البلاد العربية

ولكن ليس من مصر. ومنذ ذلك الحين أخذ الانجليز يحاربون التعليم المصرى فى السودان سواء كان متمثلا فى الاساتذة المصريين الذين يدرسون فى كلية غردون ام البعثات الى خارج السودان . فأن القليل من الطلبة الذين بعثوا الى الدراسة بالخارج كانوا يرسلون الى الجامعة الامريكية فى بيروت .

ورفضت الحكومة المصرية التى كان يرأسها سعد زغلول تلك الطلبات التى تقدمت بها بريطانيا . وقدم سعد استقالته احتجاجا عليها . ثم جيىء بحكومة زيور باشا لينفذ ما طلبت بريطانيا .

وفى الخرطوم رفض قائد الطوبجية المصرية ان يترك السودان الا أن يأتيه امر مباشر من ملك مصر ، لأن الجيش المصرى فى السودان يمثل مصر وليس انجلترا . وأبى ان يقبل اى امر من غير مصر . ولم يتوان الملك تحت ضغط الانجليز حين علم بموقف قائد الجيش المصرى فى الخرطوم فأرسل مبعوثا خاصا يأمره باجلاء الجيش المصرى عن السودان . وبينما يستعد القائد المصرى وجنوده للعودة الى مصر وصل الى سمع الضباط السودانيين خبر رفض القائد المصرى الانصياع الى اوامر الانجليز وتحديه لهم ، فاشعل هذا الموقف نار الحماسة فى صدورهم ، فهبوا لمساندة اخوانهم المصريين من الضباط والجنود . فاخذوا اسلحتهم فى ايديهم وساروا مسيرتهم المشهورة لينضموا الى صفوف الضباط المصريين الذين ظنوا انهم قد احيط بهم . وتصدى لهم الجيش البريطانى الذى كان يحتل كلية غردون وحال دونهم والضباط المصريين . ووقعت على شاطىء النيل الازرق معركة غير متكافئة استمرت يوما وليلا وثانيا وأبلى فيها السودانيون احسن بلاء فاستشهد عبد الفضيل الماظ حين «سقط فى المعركة وهو ممسك بمدفعه الرشاش ، وكبدواالبريطانيين خسارة كبيرة ولو لاأن ذخيرتهم نفدت لصمدوا وقتا طويلا مضحين بأرواحهم. وقبض على الضباط الثوار واعدموا . وهم المغفور لهم سليمان محمد وحسن فضل المولى وثابت عبد الرحيم، وحل وثاق الضابط على البنا فى اللحظة الاخيرة قبل اطلاق الرصاص عليه»(١)

وهكذا اتخذت بريطانيا مقتل استاك ذريعة لتصفية كل اثر مصرى فى السودان وقطع العلاقة بين مصر والسودان . فبعد ان تم اجلاء الجيش المصرى عن السودان أتبعته السلطات البريطانية فى السودان بحملة تصفية ، طرد بموجبها الاساتذة المصريون من كلية

(١) مكى شبيكه ، المصدر السابق ، ص ٤٣٧

غردون تنفيذا للمطالب الثالث الذى تقدمت به بريطانيا الى مصر ، كما طرد كثير من الموظفين المصريين الذين كانوا يعملون فى دواوين الحكومة فى السودان . ثم منعت الصحف والمجلات والكتب التى تصدر فى مصر دخول السودان . وبدأت السلطات البريطانية فى السودان سياسة قمع وارهاب ، واشاعت الخوف فى نفوس الطلاب ببث الجواسيس والمراقبة الصارمة . ينقل الاستاذ محمد محمد على عن (موت دنيا) لمحمد احمد محجوب وعبد الحليم محمد كيف كانت تحرم عليهم الصحف والمجلات المصرية فى كلية غردون . « وكنت ترى انت كيف نعامل فى تلك السنين ، ألم يحرم علينا ان نقرأ الصحف والمجلات الادبية ؟ وكم من عنت لقينا وكم اصابنا من لغوب ونحن نحاول ان ندرس جريدة السياسة الاسبوعية والبلاغ الاسبوعى والهلال » (١) وكان من يضبط متلبسا بجريمة قراءة صحف مصرية أو حيازتها يعاقب بالجلد أو الطرد احيانا من الكلية . هكذا تصبح قراءة الصحف المصرية فى السودان جريمة يعاقب عليها القانون .

كانت حملة انتقامية من الانجليز على ما حدث ويحدث فى كل من مصر والسودان فى تلك السنين الثائرة . وعلى الرغم من ان الانجليز قد خططوا لفصل السودان عن مصر منذ ان وضعت اتفاقية ١٨٩٩م الا انهم لم يجدوا فرصة سانحة للعمل بطريقة مباشرة سافرة كالفرصة التى وجدوها فى حادث مقتل سيرلى استاك. وقد فرح الانجليز بالنتائج التى تحققت على اثر مقتل استاك . فما كانت بريطانيا تحلم ان يتحقق جلاء الجيش المصرى عن السودان بهذه السرعة وقبل ان يحصل السودان على استقلاله لولا تلك الصدفة النادرة .

وكانت الازمة بين مصر وبريطانيا قد بلغت مداها حول قضية السودان ووضعه قبل مقتل استاك بقليل . وقد اشار المارشال ويفل الى هذا الموقف . « اما من وجهة النظر البريطانية فقد حل ذلك القتل العلاقات الانجليزية المصرية عندما تهددت بخلق ازمة حقيقية حتى ليمكن القول بان جثة السردار كانت تهيئة من الاقدار لحل موقف لم يكن يطاق» (٢)

وفى السودان عملت الحكومة البريطانية على محاربة التعليم لانها ايقنت ان من اسباب ثورة ١٩٢٤ م انتشار الوعى وزيادة عدد المتعلمين فى المدن والقرى . ولكن الادارة كانت بحاجة الى سودانيين يخلفون من طردت من الموظفين المصريين فى شتى مرافق الحياة. لذا كانت السياسة التعليمية التى وضعها الانجليز تقوم على اعداد مثل هؤلاء

---

(١) محمد محمد على ، المصدر السابق ص ٢٨٠

(٢) المرشال ويفل ، المصدر السابق ، ص ١٢٦

الموظفين وليس الهدف منها العلم أو المعرفة بمعنى رفع الجهل عن الناس وارتفاع مستواهم العقلى ، بل كان الطالب يتعلم مبادىء تعده لوظيفة يؤديها فى دواوين الحكومة . فكانت المدارس ، خاصة كلية غردون يتخرج فيها الكتبة والحاسبون والمدرسون والقضاة ثم يوزعون على المصالح حسب الحاجة اليهم . واستمرت تلك السياسة توجه التعليم فـــى السودان الى وقت قريب . وكل من تفوق على تلك الظروف وثقف نفسه كان يفعل ذلك بكفاحه واعتماده على الاطلاع الخارجى . وكان هؤلاء هم طلائع الحركة الوطنية فى السودان .

وأوقع هذا الوضع الحكومة البريطانية فى تناقض شنيع ، فقد وجدت نفسها مكرهة على قبول عدد من الطلاب فى كلية غردون لسد حاجتها من الموظفين بينما أوقفت التوسع فى التعليم فى المراحل الاولية. «فنجد ان عدد الطلبة فى المدارس الاولية فى عام ١٩٢٤م نحو ٨٢٩٦ طالبا وبلغ عدد الطلبة فى تلك المدارس عام ١٩٣٠ م نحو ٨٣٨٨ طالبا بزيادة اثنين وتسعين طالبا فقط فى ست سنوات . وفى المرحلة االوسطى كان عدد الطلبة فى عام ١٩٢٤ م نحو ١١٥٣ طالبا بينما يبلغ عدد الطلبة فى هذه المدارس عام ١٩٣٠م نحو ١٢٧٦ بزيادة مائة وثلاثة وعشرين طالبا فقط فى ست سنوات . اما فى كلية غردون فالوضع مختلف جدا . فقد أدت الحاجة الى زيادة مطردة فى عدد الطلاب فيها . فكان عدد الطلبة عام ١٩٢٤ م نحو ٢١١ طالبا وبلغ عدد الطلبة عام ١٩٣٠م نحو ٥٥٥ خمسمائة وخمسة وخمسين طالبا » . (١)

وكان من سياسة السلطات البريطانية فى السودان قبل ثورة ١٩٢٤م العمل على كسب بعض المثقفين السودانيين كى يقوى بهم صف الزعماء من الطائفية والعشائر فى تأييدهم لحكم الانجليز ، ولكن تبين لها انها لم تقطع شوطا بعيدا فى هذا الاتجاه فانقلبت عـــلى المثقفين تفرض عليهم القيود وتشك فى كل ما يصدر (٢) عنهم ،تحرم الكلام أو الخوض فى السياسة ، وتبث العيون فى كل مكان . فطردت منهم من طــــردت من الوظائف وأقصت من قربت . واخذت الحكومة الانجليزية منذ ذلك الوقت تعتمد على الزعماء الذين أيدوا حكمها منذ عام ١٩١٩ م . فمنحت زعماء القبائل سلطات قضائية وادارية

---

(١) محجوب محمد صالح ، المصدر السابق ، ص ١١٤

(2) P.M. Holt, op. cit, p. 139

واسعة ، ووزعت البلاد توزيعا قبليا يمكن هؤلاء الزعماء من السيطرة على القبيلة ويعود على الحكومة بنوع من الامن والاستقرار. وقد ظن بعض المؤرخين لهذه الفترة ، واكثرهم من الغربيين ، ان ثورة ١٩٢٤ م في السودان ، بل كل ما حدث من معارضة للحكم البريطاني في السودان ، كان من دسائس المصريين وبتأثير منهم على السودانيين . يقول المارشال ويفل عن المظاهرة الحربية التي قام بها الطلبة السودانيون في اغسطس عام ١٩٢٤م « ولم يكد يبتدىء اغسطس ١٩٢٤ م حتى كانت الدسائس المصرية في السودان قد أثمرت ثمارها السامة ، فقام طلاب المدرسة الحربية في الخرطوم بمظاهرات مسلحة الا انها اخمدت في الحال وبغير ضحايا ، بينما قامت فرقة السكة حديد المصرية في عطبرة بمظاهرات خطيرة اطلقت عليهم فيها النار من بعض الجنود السودانيين بقيادة ضابط مصري وسقط بسببها بعض الضحايا » (١) ورأى مثل ما رأى ويفل الأستاذ هولت كما ذكرنا آنفا .

تصدى الدكتور مكي شبيكة لمثل هذا التقييم المجحف للحركة الوطنية في السودان من جانب هؤلاء المؤرخين فقال « لو كانوا اذيالا للحركة المصرية بأجر يتقاضونه منها حسب رأى الانجليز وخصومهم من السودانيين لما وضعوا وظائفهم بل ارواحهم في كفة القدر ولما وصلوا إلى درجة الاصطدام المباشر بسيطرة الانجليز والتعرض لارهابهم وكبتهم وتعذيبهم . ولو لم تكن هذه النزعة نحو الحرية والخلاص من السيطرة الانجليزية نابعة من قلوبهم وبدافع من وطنيتهم لأحنوا رؤوسهم للعاصفة وآثروا السلامة لأن الاغراء بالمال لم يكن يوما من الايام دافعا للتضحية بالراحة والنفس . فالذين ماتوا منهم في المعركة والذين عجلت ظلمات السجون بنهايتهم والذين قضوا مدة السجن وخرجوا بعد ان فقدوا وظائفهم لهم منا اسمى آيات التقدير والاعجاب وهم الذين وضعوا اسس الحركة الوطنية التي ادت في نهايتها للحرية والاستقلال وجنينا ثمرة ما غرسوه ، وان ما قام به بعضهم من تحول وتنكّر لماضيهم او استغلال مشين لمساهمتهم في تلك الحركة (ثورة ١٩٢٤ م) لا يجب ان يصرفنا عن جوهرها وانها لا زالت بداية الانطلاقة » (٢) ذلك هو التقييم الحق للحركة الوطنية في السودان . ولم يعهد في الدكتور شبيكة هذا الاسلوب العاطفي الذي يظن كثير من المؤرخين والذين يتحدثون عن الموضوعية وهم أبعد الناس عنها ، انه

---

(١) المارشال ويفل ، المصدر السابق ، ص ١١٣

(٢) مكي شبيكة ، المصدر السابق ، ص ٤٣٩

يجافى الموضوعية والطريقة العلمية . وليس من شك ان الدكتور شبيكة قد حمل على هذا حملا لما وجد من تحامل وتشويه من الانجليز للدوافع الوطنية الصادقة التى أدت إلى كل الانتفاضات والثورات فى السودان على الاستعمار .

وخذ مثالا واحدا ، تلك المظاهرة المسلحة التى خـــرج فيها طلبة الكلية الحربية بسلاحهم إلى الشوارع فى أغسطس عام ١٩٢٤ م ، حركة معروفة عواقبها وما من شك فى نتائجها . اذ كيف يرجّى انتصار حفنة قليلة من الطلبة على قوة من الجنود والضباط الانجليز ، قوة يسندها الاستعمار بكل ثقله وقوته الباطشة وعجرفيته الطائشة . ولكنها مهما اخطأتها الحسابات المادية من تقدير اسباب القوة فلم يجانبها التوفيق فى حساب التاريخ ذلك انها اثبتت صدق الدوافع وان للمكافحين خطوة لابد ان يمشوها . حركة ابدوا فيها من الجرأة والاستخفاف بالحياة والاستعمار ما اصبح زادا لكل ما لحق بها من إنتفاضات وثورات حتى اكره المستعمر على الرحيل عن السودان .

واستمر الصراع السياسى بعد ثورة ١٩٢٤ م فى داخل السودان بين الاحزاب التى اخذت تتكون بصفة غير معلنة ، ممثلة للطبقة من زعماء الطوائف والعشائر التى تؤيد الانجليز وتستبقيهم فى الحكم وتدعو إلى انفرادهم بحكم السودان ، وبين الطبقة الواعية من المتعلمين وصغار التجار وبعض ضباط الجيش التى تنادى بالتعاون مع مصر ، بالكفاح المشترك ، وتطالب بجلاء الجيوش الانجليزية عن مصر والسودان .

قصدنا ان نحدثك هذا الحديث الطويل حتى مللت ، واخذ منك الضيق به كل مأخذ ، قصدنا ان نطلعك على طبيعة ذلك الصراع الذى كان يحكم العلاقات كلها بين السلطة البريطانية فى السودان ومصر ، حتى ترى دون عجب او استغراب ما سنروى عليك من قصة العلاقات الثقافية بين مصر والسودان فيما يأتى من فصول . فما كان حديثنا هذا الذى طال الا مقدمات لنتائج لابد واقعة كما يعقب الميلاد كل حمل او يسبق كل ميلاد حمل .

قصة التعليم المصرى فى السودان (١٩٢٢ - ١٩٥٦ م)

لم تشترك مصر بنصيب كبير فى إنشاء المدارس فى السودان بعد فتح السودان فى بداية القرن ، اذ كانت عاجزة امام الاحتلال البريطانى وجيوشه المرابطة فى كل من مصر والسودان ، لم يكن ميسورا لها ان تقوم بمبادرات فى مجال التعليم فى ذلك الوقت .

وقد عمد الانجليز منذ احتلالهم السودان إلى التعليم فوضعوه تحت اشرافهم وبتخطيط من عندهم.تفتح المدارس وتغلق بأمرهم ولم تسمح لأى عمل تعليمى او ثقافى الا ما وقع فى قبضتهم . فضمت المدرستان المصريتان اللتان انشئتا منذ العهد التركى فى سواكن وحلفا إلى مصلحة المعارف السودانية . وهكذا اكتفت مصر فى مجال التعليم بارسال بعض المدرسين للتدريس فى كلية غردون التذكارية التى انشأها الانجليز احياء لذكرى غردون باشا الذى قتله انصار المهدى فى الخرطوم عام ١٨٨٥ م . ولم يكن لمصر الدولة ان تسعى بطريقة جادة لانشاء مدارس مصرية فى السودان او الاشراف على المدارس القديمة التى قومتها مصر فى العهد التركى قبل الثورة المهدية . ولعل الحوادث المتلاحقة التى حدثت فى كل من مصر والسودان منذ بداية هذا القرن جعلت مسألة التعليم أمرا ثانويا لا يشغل مصر حين يقارن بالمشكلات السياسية من الثورات الشعبية والعسكرية فى مصر والسودان . ولم يكن فى حسبان المصريين ان الاستعمار سيطول مكثه فى مصر والسودان بعد ثورة ١٩١٩م وبعد ان ولدت الثورة قائدا من قادتها عظيم ، أعنى سعد زغلول الذى قاد ثورة ١٩١٩ م الشعبية فى مصر .

ولكن التعليم المصرى بعد فتح السودان بدأ بصفة غير رسمية بمدارس الاقباط باشراف من الكنيسة القبطية . وقد سمحت السلطات البريطانية بهذه المدارس لانها لا تخشى منها خشيتها من تلك المدارس التى تشرف عليها الحكومة المصرية . وكانت تلك المدارس القبطية تشمل كل المراحل الأولى من التعليم ، ابتدائية وإعدادية وثانوية موزعة فى الخرطوم ، وامدرمان ، وعطبرة ، والابيض ، وبورسودان . ولما كانت المدرسة القبطية هى المدرسة المصرية الوحيدة فى الخرطوم اضطر كثير من المصريين المسلمين ان يرسلوا ابناءهم للتعليم فى تلك المدرسة . وآخرون من الموظفين المصريين والأساتذة

فی كلية غردون كانوا يرسلون ابناءهم للتعليم فی كلية غردون ذلك ان بعض هؤلاء يجد حرجا فی ارسال ابنائه إلى مدرسة قبطية . ولعل هذه المدارس القبطية قد انشئت فی السودان فی اوائل العشرينات من هذا القرن وقد شارك فی إنشائها مصريون وسودانيون. ورد فی المذكرة التی رفعها بعض اعضاء الجالية المصرية فی السودان للحاكم العام بشأن اصلاح المدارس القبطية ، جاء فيها ان كلية الاقباط انشئت عام ١٩٢٣ م بتبرع من المصريين ، مسلمين ومسيحيين ، وكان يمد الكلية بالمساعدة المادية والمعنوية الامير عمر طوسون باشا والسيد عبد الرحمن المهدی والسيد علی الميرغنی والشريف يوسف الهندی وان نسبة الطلبة المسلمين فيها من مصريين وسودانيين نحو خمسة وسبعين فی المائة (١).

وظل المصريون المقيمون فی السودان يعتمدون على هذه المدارس فی تعليم ابنائهم خاصة من كانوا يقيمون فی الخرطوم منذ العشرينات . واستمرت الجالية المصرية فی السودان تطالب باصلاح تلك المدارس ورعايتها لانها كانت تسد حاجتهم لتعليم ابنائهم . وفی عـــام ١٩٣٤ م اخذت الحكومة المصرية تهتم شيئا فشيئا بأمر تلك المدارس فبدأت بارسال لجنة خاصة لتطلع على مستوى المدارس القبطية وتقدم تقريرا عنها . وقد بحثت اللجنة المكلفة الموضوع بعد ان زارت المدارس وكتبت تقريرا بما تراه من تقييم لمستوى المدارس وما تقترح من مساعدة لها تكفل لها الاستمرار أولا والمحافظة على المستوى المطلوب ثانيا . وعلى أثر هذا التقرير وبناء عليه قررت الحكومة المصرية ان تدفع اعانة للمدارس القبطية فی السودان قدرها ثمانمائة وعشرون جنيها كل عـام .

ولم ترض الحكومة المصرية عن سياسة المدارس القبطية فی السودان ولا عن مستواها العلمی كثيرا . ثم جاء اعلان اتفاقية ١٩٣٦ م فأحدث زعزعة فی ثقة الحكومة المصرية فی المدارس القبطية ولاحت بارقة امل فی امكان افتتاح مدارس مصرية فی السودان تكون تحت اشراف الحكومة المصرية كما كان الحال فی العهد التركی . ففكرت مصر فی إنشاء مدارس تكون بدلا عن المدارس القبطية أو تؤدی ما كانت تؤديه تلك المدارس وربما بصورة أجدی وانفع . ولعل من الأسباب التی دعت إلى التفكير فی إنشاء مدارس مصرية حكومية فی السودان ذلك النوع من التفهم والتقارب الذی حدث بين مصر والجلترا

---

(1) SA/56-13-B-B 1,vol. II, p.198

المذكرة التی رفعت للحاكم العام من الجالية المصرية فی الخرطوم .

فى عام ١٩٣٥ م وكانت نتيجته اتفاقية ١٩٣٦ م .

وكان السودانيون فى كل هذا على علم والمام تام بما يحدث فى مصر من خلاف او اتفاق مع بريطانيا . فانهم يعلمون ان كل هذا يؤثر تأثيرا مباشرا على السودان وقضية السودان . فقد كتبت مجلة الفجر عن هذا التقارب الذى ذكرنا بين مصر وانجلترا تحت عنوان « فى القطر الشقيق » .

« ان الموقف الذى تسلكه مصر الآن هو ما يحتمه عليها مركزها الجغرافى وحالتها السياسية من جهة وما يلزمها به الواجب الانسانى والعطف المتبادل بينها وبين الحبشة وقد حملت الصحف على الوزارة وتساءلت عن مركز مصر السياسى بالنسبة للامبراطورية البريطانية أهى حليفة لبريطانيا ام من الاملاك الحرة ام حماية ، ونحن لا نعبأ بالاسماء ما دامت النتيجة واحدة ولكنا نجزم بأن مصر وزعماءها خصوصا بعد ما جاء خطاب رئيس الوفد مؤيدا للوزارة انما يسلكون أجدى الطرق ويؤدون اكبر برهان عملى على قيمة صداقتهم لانجلترا ويبرهنون على استعدادهم لمد يد المساعدة والاتفاق مع بريطانيا وقد تكون نتيجة هذا البرهان العملى من احسن النتائج الايجابية لحل القضية المصرية التى ما زالت معلقة » (١) .

كان هذا عشية الحرب العالمية الثانية التى تجمعت كل السحب فى سمائها لتصب على العالم نارا حارقة كادت تمس كل ارجاء الدنيا . وقد بدأ الطليان فى الاعتداء على الحبشة للاستيلاء عليها . ولا شك ان بريطانيا حين احست بالخطر على حدود مستعمراتها فى أفريقيا سعت إلى تحسين علاقتها بمصر فى ظل شبح الحرب . وكان ذلك بدء التقارب بين مصر وانجلترا الذى فتح الباب لمصر كى تصل ما انقطع بينها وبين السودان منذ عام ١٩٢٤ حين قتل سيرلى استاك وانفجرت ثورة ١٩٢٤ م فى السودان وخرج الجيش المصرى من السودان على أثرها . وما كان لهذا الاتصال الجديد بين مصر والسودان الا ان يكون ثقافيا علميا اذ ان المجالات الاخرى فى المشاركة ، مثل الادارة على ضعفها ، او عودة بعض وحدات الجيش المصرى إلى السودان لم تعد ممكنة ولم تسمح حكومة السودان بالعودة اليها بعد ان جربت خطرها .

---

(١) مجلة الفجر ، مجلد ثانى ، عدد ثانى ١٩٣٥م ص ٦٢

على الرغم من ان اتفاقية ١٩٣٦ م تركت موضوع السودان على ما هو عليه في اتفاقية ١٨٩٩ م فيما يتعلق بالسيادة وتقرير المصير الا انها قد اضيفت اليها بعض الفقرات في ملحق الاتفاقية خفضت من القيود التي كانت تحد من حركة المصريين الذين يرغبون في الذهاب إلى السودان او العمل فيه . وأدت بالمثل إلى فتح باب الهجرة إلى مصر وكان اكثر الوافدين إلى مصر من السودانيين من طلاب العلم ، ومنهم آخرون يلجأون إلى مصر طلبا للنجاة من عيون السلطات البريطانية التي كانت تحصى من خطواتهم وتضيق عليهم الخناق . وكانوا يجدون في مصر قسطا من الحرية فيعبرون عن افكارهم ويكتبون عن قضية السودان وينشرون في صحف مصر ما يتسرب اليهم من اخبار عن الحكم في السودان .

وينبغي ان ننظر إلى هذه التغييرات التي حدثت في العلاقة بين بريطانيا ومصر وهذا التنازل من جانب بريطانيا في ضوء الحقائق التالية :

أولا : قد تبين لانجلترا انه لم يعد بامكانها وقف تقدم التيار الوطني والوعي المتعاظم الذي كاد يقتلع كل ما يقف في سبيله ، فانها كلما امعنت في الارهاب وافتنت في وسائل القمع زاد السودانيون وعيا وتنظيما في مقاومتهم وإصراراً على المضي في طريقهم.

ثانيا : ان ميزان القوى العالمية تغير تغيرا ليس في مصلحة بريطانيا . فقد احتلت ايطاليا الحبشة ، فايطاليا قوة أوربية منافسة لانجلترا ولها ذات المطامع الاستعمارية في افريقيا ثم ان الحبشة التي احتلتها ايطاليا متاخمة للسودان . (١)

فلا بد لانجلترا ان تراجع خططها وتعيد النظر في سياستها في الداخل والخارج. وعلى اثر اتفاقية ١٩٣٦م والتغييرات التي حدثت في العالم العربي منذ بداية القرن العشرين من ازدياد عدد المتعلمين وإنتشار الوعي وارتفاع صوت العرب بالدعوة إلى الاستقلال في كل ارجاء الوطن العربي فكر الانجليز في سياسة التقرب من السودانيين وسعوا إلى كسب بعض المثقفين. وظهرت هذه السياسة في الاتجاه الذي كان يمثله المستر سايمز حاكم عـام السودان . التفت المستر سايمز إلى المتعلمين من السودانيين يدنـي بعضهم اليـه ويغرى بعضاً آخر بالسلطة فاشرك هذا البعض في المجالس البلدية في المدن الكبرى . ويرى مكي شبيكة ان المستر سايمز كان يرمي بذلك الاسلوب وتلك السياسة إلى « خلق

(1) P.M. Holt, A Modern History of the Sudan, London, 1974, p.141

امة سودانية لها كيانها » (١) وتلك وسيلة من الوســائل الخادعة فى سياسة الانجليز فى السودان . وقد جازت على كثير من السودانيين المثقفين فى أول أمرها . فأن الانجليز لم يفكروا فى السودان كأمة مختلفة عن العرب ولم يسعوا إلى تكوين هذه الامة بمقوماتها الاصيلة وتنميتها حتى تكتمل لها عناصر الأمة الواحدة بل انهم كانوا ينظرون إلى السودان من الناحية الجغرافية ، قطعة ارض واسعةفى وسط افريقيا ، موضع استراتيجى فريد يمكنهم من السيطرة على بقية مستعمراتهم التى تحيط بالسودانفى باقى افريقيا . ولكن حين ايقنت بريطانيا ان الاستعمار ذاهب مع رياح التغيير التى اخذت تهب من كل جانب عمدت إلى ترويج دعوة الكيان السودانى المنفصل عن مصر .

والحق ان فكرة الكيان السودانى والأمة بمعناها الاصيل قد نشأت بين المتعلمين من السودانيين . فان الانجليز اتوها مكرهين ، اخف الضررين . اشار هندرسون إلى هذا فى كتابه عن السودان الحديث . فانه يرى ان انعقاد مؤتمر الخريجين عام ١٩٣٨ م كان نتيجة من نتائج اتفاقية ١٩٣٦ م بين مصر وبريطانيا . فقد احس المثقفون من السودانيين ان لابد من المشاركة فى تقرير مصير بلادهم والا يتركوا الامر يقضى بين طرفين ، بريطانيا ومصر ، دون الأخذ برأى السودانيين انفسهم . (٢)

اما فكرة الكيان السودانى المنفصل عن مصر التى شجعها الانجليز هى جزء من سياسة اشمل لتحقيق أهداف كبرى فى العالم العربى كله . فبريطانيا تسعى إلى تجزئة العالم العربى وتقسيمه إلى دويلات صغيرة متنافرة . وقد فعلت هذا فى التقسيم الذى فرضته على العالم العربى بعد الحرب العالمية الاولى . لابد لبريطانيا ان تحول دون اى نوع من الاتحاد بين دولة عربية وأخرى ، ذلك ان الاتحاد بين دولتين عربيتين ، وفى تلك الحالة ، بين مصر والسودان يجعلهما قوة فى وجه الاستعمار . وكان لابد من الفصل بينهما حتى لو أدى ذلك إلى الاسراع بخروج الاستعمار عن كليهما .

وقد وجدت الدعوة إلى خلق كيان سودانى مستقل هوى فى نفوس كثير من السودانيين لان تلك كانت فترة ظهور القوميات وتعلق الشعوب بها . وكانت بداية التحرر من الاستعمار والثورة عليه .

---

(١) مكى شبيكة ، المصدر السابق ، ص ٥٠٤

(1) K.D.D. Henderson, The Making of The Modern Sudan, London, 1953, p.536.

المدرسة المصرية في الخرطوم

فكرت حكومة النحاس باشا عام ١٩٣٨ م فى إنشاء مدرسة مصرية فى الخرطوم . ثم أصدر وزير المعارف المصرى بعد موافقة مجلس الوزراء على مشروع انشاء المدرسة مذكرة يقول فيها :

« ان حكومة الشعب ، دعما للعلاقات بين مصر والسودان قررت ان تفتح مدرسة ثانوية فى الخرطوم لتكون نواة لنشر التعليم المصرى الاولى والحرفى وقد وافق مجلس الوزراء ان يؤخذ المبلغ لانشاء المدرسة من البند المخصص لنشر الثقافة المصرية فى السودان (١).

وظل هذا البيان الذى اعلنته حكومة النحاس باشا بما حدد من المهمات التى ينبغى ان تؤديها المدرسة المقترح انشاؤها وثيقة هامة والتزاما لن تستطيع اى حكومة سواء كانت وفدية ام من احزاب الاقلية ان تحيد عنه . ولكن ورود عبارات مثل نشر الثقافة المصرية فى السودان كان يدعو الانجليز إلى الشك فى نوايا الحكومة المصرية فى السودان بل فسروه على انه يرمى إلى نشر النفوذ المصرى فى التحليل النهائى .

وأخذ النحاس باشا على عاتقه مهمة اقناع السفير البريطانى فى القاهرة بمشروع انشاء المدرسة ولكن مخاوف السفارة البريطانية كانت اكبر من كل محاولة . فاعترضت السفارة على المشروع واضطر النحاس باشا إلى تأجيل الموضوع حتى تواتى الظروف .

فى ١٣ يونيه ١٩٣٨ م كونت الحكومة المصرية لجنة لتنظر فى إنشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم . ولما علم وكيل حكومة السودان فى القاهرة هذا النبأ كتب فورا إلى السكرتير الادارى فى الخرطوم بتكوين اللجنة خاصة ان الخبر قد نشر فى الصحف المصرية. ثم بعث وكيل حكومة السودان إلى مدير الامن العام فى السودان المستر J. Penney صورة من خطابه إلى السكرتير الادارى . (٢)

---

(1) SA/17. D.3. p.103.

هذه ترجمة مأخوذة من النشرة التى اعدتها السفارة البريطانية فى القاهرة عن حقيقة انشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم .

(٢) خطاب وكيل حكومة السودان بتاريخ ١٩٣٨/٦/١٧م بتوقيع المستر C.E. Fouracres.

وقد أبدت السفارة البريطانية فى القاهرة هذه المرة موافقتها على إنشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم . وقدرت تكاليف بناء المدرسة ومرتبات المدرسين بمبلغ قدره واحد وخمسون الف جنيه مصرى . وعلى الرغم من موافقة السفارة البريطانية على إفتتاح المدرسة فى الخرطوم الا ان خوفها مما يمكن ان يحدث من إتصال مصر بالسودان كان عظيما جدا . وكان للصحف المصرية دور كبير فى اثارة مخاوف الانجليز من نتائج فتح المدرسة المصرية فى الخرطوم.فأخذت هذه الصحف تنشر حينا بعد حين اخبارا عن الاغراض والاهداف التى يرجى ان تحققها تلك المدرسة . ففى ٢٧ اكتوبر ١٩٣٩ م نشرت الصحف المصرية خبرا عن المدرسة يفيد ان مبانى المدرسة سوف تحتوى على مسرح يمثل فيه الطلبة والأساتذة. وكتبت جريدة المصرى فى نفس الشهر تقول ان مصر ستعين مستشارا للثقافة فى السودان وهو الذى سيكون ناظرا للمدرسة المزمع انشاؤها فى الخرطوم .

وقد اضرت الصحافة المصرية بقضية التعليم والثقافة بين مصر والسودان بعد ان سنحت الفرصة لاعادة العلاقة الثقافية بعد انقطاعها زمنا طويلا . فكثيرا ما كانت تلك الصحف تنشر اخبارا تزيد من حجم تلك المدرسة وتضفى عليها من الخيال ما لم يخطر على قلب المسئولين الذين يخططون لانشائها . ولكن التنافس بين الاحزاب فى مصر كان يدفع بتلك الصحف التابعة لها إلى نشر الاخبار بطريقة ترى انها ربما ترضى أولئك المتطلعين إلى عودة الصلة بين مصر والسودان . فأن قضية السودان كانت على رأس قائمة برنامج كل حزب فى مصر لا يمكن لأحد ان يغفلها . وكانت وكالة حكومة السودان فى القاهرة تنقل كل ما تنشر الصحف عن السودان إلى الخرطوم فلا تملك السلطات البريطانية فى السودان الا ان تأخذ ما تنشره الصحف مأخذ الجد والقصد من الحكومة المصرية .

وكانت الحكومة المصرية قد وضعت الاعتماد الخاص ببناء المدرسة فى الخرطوم فى ملحق ميزانية ١٩٣٩ – ١٩٤٠ م ، مقدرة ان يتم بناء المدرسة وافتتاحها فى اكتوبر عام ١٩٤٠ م . ولكن هذا الاعتماد حذف وتعطل العمل بسبب الحرب العالمية (١) الثانية التى نشبت عام ١٩٣٩م . وكان الخبير الاقتصادى المصرى عبد الله فكرى اباظة هو

(١) عبد الله فكرى اباظة ، بحوث اقتصادية عن السودان ، القاهرة ١٩٤٠م ، ص ٢٦ الطبعة بدون تاريخ ولكن لا بد ان تكون بعد عام ١٩٤٠م

صاحب الاقتراح ببناء مسرح مدرسى يؤدى أغراضا تعليمية للمدرسة كما يمكن ان تمثل عليه الفرق القومية القادمة من مصر . (١)

وخشيت الحكومة البريطانية فى السودان ان يتسع نشاط المدرسة المصرية بخاصة ان توافر وسائل اخرى تلحق بالمدرسة مثل المسرح وغيره سوف تتيح للمصريين فرصة لنشر ما يريدون من افكار ربما تكون لها نتائج لا تريد لها حكومة السودان ان تتحقق .

وعلى اثر تلك الاخبار التى اخذت تتواتر عن عزم مصر على فتح المدرسة الثانوية فى الخرطوم كتب المستر نيوبولد السكرتير الادارى فى السودان مذكرة ضافية عن تاريخ المدارس المصرية فى السودان منذ العقد الثالث من هذا القرن . ثم أبدى اعتراضه على انشاء مدرسة مصرية فى الخرطوم مركزا حجته على نقطتين اساسيتين : الاولى سياسية والثانية تعليمية . ولم يدع المستر نيوبولد مجالا للشك او اللبس فيما يريد ان يقول . انه يرفض قيام المدرسة المصرية على اساس سياسى وتعليمى Political and Educational (٢)

يقول السكرتير الادارى لحكومة السودان فى مذكرته ان هذه المدرسة اذا سمح بانشائها ستكون « نوعا من مراكز الثقافة المصرية الموجهة من القاهرة كالافلام والمسرحيات والمناظرات » .

فى هذا الوقت الذى اخذت فيه الاتصالات المصرية البريطانية بشأن انشاء المدرسة شكلا جادا وحاسما شعر أبونا يوحنا سلامة رئيس لجنة مدارس الأقباط بأن مدارسه أصبحت مهددة بخطر داهم . فـأن افتتاح مدارس مصرية فى السودان تحت اشراف الحكومة المصرية سوف يؤدى إلى اضمحلال مدارسه ان لم ينته بالغائها . فالحكومة المصرية سوف تركز على مدارسها وتوجه العناية كلها لها. ثم اتصل يوحنا سلامة بحكومة السودان يطلب منها ان توقف هذا العمل الذى من شأنه ان يقوض مدارسه . وكانت الحكومة المصرية تعيد النظر فى كلية الأقباط فى ذلك الوقت . فكلفت السيد عوض ابراهيم بك وكيل وزارة المعارف المساعد فى شتاء ١٩٣٩ م ان يفتش الكلية ويكتب تقريرا عن مستواها وحاجاتها حتى تتمكن الحكومة المصرية من سد حاجة الكلية . وبعد هذا التقرير

(١) مذكرة المسز نيوبولد بتاريخ ١٩٣٩/١١/١٥م . انظر المذكرة فى ملحق الكتاب .
(٢) المذكرة السابقة .

أنضم إلى مجلس ادارة الكلية عبد القوى احمد بك مفتش عام الرى المصرى فى الخرطوم ومندوب من مصلحة المعارف السودانية وعبد الله فكرى اباظة الخبير الاقتصادى المصرى فى الخرطوم . (١)

وليس من شك ان الانجليز كانوا يعطفون على مدارس الاقباط فى السودان ويتمنون ان لو استطاعت تلك المدارس ان تفى بحاجة التعليم لكل المصريين الموجودين بالسودان ذلك ان تلك المدارس تقبل ان يشرف عليها الانجليز اشرافا مباشرا فى جميع اوجه نشاطها ومناهج تعليمها ، ولا تخشى منها السلطات البريطانية فى السودان خشيتها من تلك المدارس التى تشرف عليها الحكومة المصرية .

---

(١) عبد الله فكرى اباظة ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

المدرسة المصرية بين القيود والاستقلال

رفع المستر نيوبولد السكرتير الادارى مذكرته عن انشاء المدرسة المصرية فـى الخرطوم الى الحاكم العام وقد دعمها بكل حجة يمكن ان يفكر فيها ، وكلها ترفض انشاء مثل تلك المدرسة جملة وتفصيلا ، ولكن مهما كانت قوة تلك الحجة والبراهين التى وردت فى تلك المذكرة ضد قيام المدرسة فكيف لحكومة السودان ، خاصة السفارة البريطانية فى القاهرة ان تبرر رفضها انشاء المدرسة وهى تدعى بانها فتحت أبواب التفاهم بينها وبين مصر بعد توقيع اتفاقية ١٩٣٦م .

لم تستطع حكومة السودان اذن ان ترفض إنشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم بطريقة مباشرة فلتلجأ الى وضع الصعاب والمعوقات فى سبيل إنشائها من الناحية العملية وكانت أول تلك المعوقات ان وضعت حكومة السودان شروطا تقوم بموجبها المدرسة وتحكـم سياستها فى مستقبلها . ومن اهم الشروط التى اقترحها المستر نيوبولد :-

١ - ان يتقدم القائمون بانشاء المدرسة الى مدير التعليم فى السودان تحت قانون المدارس الاهلية وان اى اتجاه لجعل هذه المدرسة حكومية ينبغى ان يرفض .

ويبرر المستر نيوبولد هذا الشرط بانه لاتوجد فى السودان سوى حكومة واحدة فـردة هى حكومة السودان الممثلة فى الحاكم العام ، وأى مدرسة تنشئها الحكومة البريطانية أو الحكومة الاغريقية يجب ان تكون مدرسة اهلية non-governmental فان المدرسة الحكومية تعنى تلك المدرسة التى تنشئها الحكومة الانجليزية فى السودان ولاشىء غير هذا .

٢ - ان يقوم مدير التعليم الانجليزى فى حكومة السودان بوضع جميع الشروط التى تضمن لحكومة السودان تجنب كل النتائج التى تخشاها من إنشاء المدرسة المصرية فـى الخرطوم .

ومن الشروط التى وضعها مدير التعليم فى السودان ان تكون المدرسة مقصورة على الطلبة من ابناء المصريين المقيمين فى السودان فقط وتحديد عدد المقبولين من السودانيين فى المدرسة بقدر الامكان . وان تخضع المدرسة لاجراء تفتيش دورى من مدير المعارف

فى الخرطوم . (١)

وقد اثار الشرط بوقف المدرسة على الطلبة من المصريين دون السودانيين جدلا طويلا وغضبا احيانا فى الاوساط السياسية فى مصر . واتهمت المعارضة الحكومة بالضعف والخضوع لضغط الانجليز واستنكرت ان يحرم السودانيون من التعليم فى مدرسة مصرية فى الخرطوم . ولذا لم تكن حكومة السودان مطمئنة كل الاطمئنان للوعد الذى قطعته الحكومة المصرية بأن تكون المدرسة مقصورة على ابناء المصريين . ويبدو ان الحكومة كانت تصرف الوعود للسفارة البريطانية وتخشى ان تواجه الشعب بما اتفقت عليه معها . وترجو الحكومة المصرية ان تترك بعض المشكلات للزمن عله يأتى بحل لاتقدر عليه هى فى تلك الظروف. واستمرت الصحف المصرية تنشر الاخبار عن المدرسة . فى مارس ١٩٣٩م نشرت الصحف اخبارا عن المدرسة تفيد ان المدرسة ستقبل الطلبة المصريين والسودانيين وانها سوف تكلف ٥١٫٠٠٠ واحدا وخمسين الف جنيه . واعترضت حكومة السودان محتجة على هذا الخبر وحسبت ان هذا ماتضمره الحكومة المصرية وتنطوى عليه فى نفسها وانها تقول للانجليز شيئا وتفعل شيئا آخر . ثم إتصـــل وكيل حكومة السودان فى القاهـــرة بالسلطات المصرية مستفسرا عن حقيقة هذا الخبر ومذكرا بالوعد الذى قطعته الحكومة المصرية بأن تكون المدرسة مقصورة على الطلبة المصريين .

وجاء رد الحكومة المصرية بتفسير جديد لاينفى الخبر ولايؤكده. اذ قالت الحكومة المصرية ان الطلبة السودانيين الذين سوف يقبلون فى المدرسة هم أولئك الطلبة الذيـــن ينوون مواصلة دراستهم فى الجامعة المصرية بعد اكمالهم المدرسة الثانوية فى مدرســة الخرطوم المصرية. وهذا يجعلهم يسيرون فى منهاج واحد وتعليم واحد . ولم تعد السلطات البريطانية بخاصة فى السودان تثق فيما تقول الحكومة المصرية عن المدرسة فكانت المذكرات تترى من الخرطوم على مكتب وكيل حكومة السودان فى القاهرة تطلب اليه ان يطلع الحاكم العام على نوايا الحكومة المصرية ودوافعها الحقيقية من انشاء مدرسة ثانوية فى الخرطوم . وكثيرا ما اقترحت عليه السلطات البريطانية فى الخرطوم ان يسلك سبيلا غير الطريق الرسمى للحصول على تلك المعلومات التى يريدها . ولم يأل وكيل حكومـــة

(1) SA/17. D.3, Egyptian Secondary School, 8.4.1943, p.36

السودان جهداً فى السعى للحصول على المعلومات بشتى الوسائل كما سنرى بعد حين .

وتصدر الصحف المصرية مرة اخرى باخبار تزيد من قلق الانجليز فى السودان وتؤكد لهم ما كانوا يخشون من نوايا الحكومة المصرية . نشرت جريدة الوفد فى عدد ابريل ١٩٣٩م خبرا فهم منه ان المدرسة المصرية ستكون مفتوحة لجميع السودانيين .

ثم نشأ خلاف بين الحكومة المصرية وحكومة السودان حول الموقع الذى يمكن ان تقوم عليه مبانى المدرسة المقترح إنشاؤها . واستغرق هذا الخلاف زمنا طويلا رفعت فيه المذكرات وتبادل فيه السكرتير الادارى مع الحكومة المصرية كثيرا من الرسائل والخطابات. اصبحت سياسة التسويف هى السياسة المعلنة للانجليز فى علاقتهم بمصر فى كل ما يتعلق بالسودان فعلى الرغم من تحسين العلاقات نوعا ما بين مصر وانجلترا بعد عقد اتفاقية١٩٣٦ الا ان الامور ظلت بعيدة عن الاخذ فيها برأى قاطع . فالحرب العالمية الثانية قد نشبت فى عام ١٩٣٩م ولا يدرى احد ماذا تلد الايام الحبلى من الزمان. وقد حرص الانجليز واكدوا فى كثير من مذكراتهم المتبادلة بين الحاكم العام فى الخرطوم والسفارة البريطانية فى القاهرة انه لا ينبغى ان تثار اى مشكلة عن السودان فى البرلمان المصرى حتى لا يؤدى ذلك الى اثارة قضية السودان كلها . وعلى هذا النهج وبتلك السياسة سارت الحكومة المصرية والبريطانية . فاذا لم تستطع ان ترفض إنشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم تضع فى سبيلها كل ما يمكن ان يحول دون انشائها . قل هى كالسياسة التى اتبعتها فى السودان عن تقرير مصيره . فالانجليز يعلمون علم اليقين ان الاستقلال آت عاجلا ام آجلا فليختاروا اخف الامرين ، التأجيل ولو الى حين . وهكذا عمدت السلطات البريطانية فى السودان الى مناقشة التفاصيل عن تحديد مكان المدرسة وابدت من الملاحظات والخلافات ما لا يناسب حجم المشكلة .

وحين تلكأت السلطات البريطانية فى تنفيذ إنشاء المدرسة واخذت تضع العراقيل فى سبيل العمل ضاق الناس ذرعا بهذا وبدأت الضغوط تأتى من كل جانب فى كل من مصر والسودان . كتبت جريدة الوفد المصرى بتاريخ ١٩٤٢/٢/٢٩م ان مئات من الموظفين المصريين فى السودان قد بعثوا بمذكرة الى وزارة المعارف المصرية يطالبون فيها

الوزارة بافتتاح المدرسة المصرية فى الخرطوم . ثم اضافت الجريدة ان الحكومة المصرية بحثت الامر مع حكومة السودان وتم الاتفاق على الموقع الذى ستبنى فيه المدرسة وسوف تبدأ فى تنفيذ المشروع قريبا . (١)

تحت ظروف الضغط والاحتجاج هذه كتب وكيل حكومة السودان المستر روزفير Roseveare الى السكرتير الادارى يلفت نظره للاشارات والاخبار المتكررة التى ظلت تنشرها الصحف المصرية عن افتتاح المدرسة فى الخرطوم بالسرعة المطلوبة . يقول المستر روزفير فى خطابه للسكرتير الادارى :—

(بما ان للموضوع اهمية سياسية كبرى فاننى اقترح ان يناقش الامر فى اقرب وقت) (٢)

وعلى الرغم من حدة الصراع بين الحكومة المصرية والحكومة الانجليزية فى السودان حول سياسة التعليم ومعارضة الانجليز للتعليم المصرى فان بريطانيا كانت تتقرب الى حكومة احزاب الاقليات التى ظلت تتولى الحكم فى مصر من حين إلى حين . فقد دعا الحاكم العام فى الخرطوم السيد على ماهر رئيس وزراء مصر فى فبراير عام ١٩٤٠م لزيارة السودان فلبى الدعوة . وفى اثناء وجوده بالخرطوم لبى دعوة لحفل تكريم اقامه له اعضاء مؤتمر الخريجين وكانت بعض الحكومات المصرية بدأت تشك فى نوايا مؤتمر الخريجين خاصة ان بعض اعضائه اخذ يجهر بالدعوة الى الاستقلال الذى كان يعنى الانفصال عن مصر . وقد وقف على ماهر فى تلك المناسبة بنفسه على صدق-وطنية مؤتمر الخريجين بعد ما كان يظن انه ربما يكون دسيسة من الانجليز تحقق فى نهاية المطاف اهداف الانجليز (٣) ومنذ ذلك الوقت عادت ثقة الحكومة المصرية بمؤتمر الخريجين حتى انها اقترحت فى أكتوبر عام ١٩٤٢م ان تقدم طلبات التحاق السودانيين بالمدرسة المصرية فى الخرطوم عن طريق لجنة مؤتمر الخريجين .

وفى هذا الاثناء صدر توجيه من حكومة السودان الى وكيلها فى القاهرة ان يعمل كل ما يستطيع ليلقى فى روع الحكومة المصرية ان تنفيذ مشروع انشاء المدرسة غير ممكن

---

(١) من ملخص الصحف المصرية الذى بعث به وكيل حكومة السودان فى القاهرة بتاريخ ٤٢/١/٢

(٢) خطاب المستر روزفير بتاريخ ١٩٤٢/٢/٢٤م

(3) P.M. Holt, A Modern History of the Sudan, London, 1974, p.143–44

من الناحية العملية . وكان وكيل حكومة السودان فى القاهرة قد كتب الى السكرتير الادارى فى الخرطوم يخبره بان الحكومة المصرية رصدت مبلغ ٨٫٧٠٠ ثمانية الآف وسبعمائة جنيها مصريا فى ميزانيتها لانشاء المدرسة . وعلق وكيل حكومة السودان على هذا الخبر بأن المبلغ المعتمد لانشاء المدرسة لن يزيد على مرتبات المدرسين ناهيك عن بناء المدرسة. وعمل وكيل حكومة السودان على ارجاء العمل فى انشاء المدرسة بشتى العوامل . منها انه متى ما اثير الموضوع فى الدوائر الرسمية فى القاهرة يذكر لهم صعابا جمة كالحصول على مواد البناء والموقع الذى يمكن ان تقوم عليه المبانى . (١)

وضع مدير المعارف فى حكومة السودان بتوجيه من السكرتير الادارى شروطا خاصة لانشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم . ولكن الحكومة الانجليزية كانت تخشى ان تعلن تلك الشروط على الملأ . تخشى ان تتخذها الحكومة المصرية والمعارضة بخاصة فى المناقشات التى كانت تدور فى البرلمان المصرى عن قيام المدرسة ذريعة للهجوم عليها فان الحكومة المصرية سوف تعلن فى البرلمان انها مستعدة لفتح المدرسة الآن ولكن حكومة السودان قد وضعت شروطا مستحيلة لافتتاح المدرسة ، وهكذا ترددت حكومة السودان كثيرا فى اختيار الوسيلة التى يمكن ان تبلغ بها الحكومة المصرية تلك الشروط التى رأت انها تجعل المدرسة تحت اشرافها وتجنبها ما كانت تخشاه من انشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم . هل تبلغها عن طريق وكيل حكومة السودان فى القاهرة ام تنتظر حتى ترسل مصر مندوبها للتفاوض معه فى الخرطوم . وكانت الحكومة المصرية قد عينت محمد رفعت بك المدير العـــام للتعليم ليذهب الى الخرطوم ويبحث موضوع المدرسة مع المسئولين فى الخرطوم (٢)

وكانت حكومة السودان تأمل ان يقضى التسويف والاهمال على الموضوع برمته فترتاح منه، ولكن اطرافاً اخرى وعوامل كثيرة جعلت ترك الامر مستحيلا ، فالمعارضة مافتئت تتهم الحكومة بالتقصير والمماطلة فى تنفيذ مطلب شعبى خوفا من مواجهة الانجليز الذين يقفون فى طريق المشروع . انكشف امر السياسة البريطانية فى معارضتها للتعليم المصرى وارتبطت فى اذهان كثير من الناس بانها جزء من سياسة شاملة تريد بها بريطانيا ان تباعد بين مصر والسودان . اصبحت قضية وطنية . وهذا زاد من حدة الصراع .

(١) خطاب وكيل حكومة السودان بتاريخ ١٩٤٣/٣/٥م .

(2) SA17. D.3, 20.4.1943

طلبت الحكومة المصرية من محمد رفعت بك ان يسافر للخرطوم ليطلع على الامر بنفسه ثم يوافيها بمذكرة ضافية عن امكان انشاء المدرسة من الناحية العملية التى يدعـى الانجليز انها هى العقبة الوحيدة التى تحول دون إنشاء المدرسة . ولعل الزيارة تتيح له فرصة ليرى مدى اقبال السودانيين وقبولهم لانشاء مثل تلك المدرسة. ثم يطلع على نوايا السلطات البريطانية ما امكن ذلك . وتنفيذا لقرار الحكومة المصرية بالسفر الى الخرطوم اتصـل محمد رفعت بك بشركة الخطوط الجوية البريطانية ليحجز مقعدا فى الطائرة الى الخرطوم. وحين علم المسترساندرز وكيل حكومة السودان فى القاهرة بعزم محمد رفعت بك على السفر الى السودان اتصل بمدير شركة الخطوط الجوية البريطانية ليعمل على تأجيل سفر محمد رفعت بك بكل وسيلة . وما كان من مدير الشركة الا ان استجاب لطلب وكيل حكومة السودان . ثم إتصل مدير الشركة بالسيد محمد رفعت بك وبلغه أنه لايوجد مكان فى الطائرة الى السودان حتى شهر يوليو (١). وكان طلب محمد رفعت بك للسفر الى السودان فى شهر ابريل . وعرف محمد رفعت طبيعة المشكلة والاسباب الحقيقية التى ادت الى تأجيل سفره ، فقرر ان يستقل القطار الى السودان ووصـل الخرطوم فى ٨ مايو ١٩٤٣ م .

وكانت من اهم النقاط التى اشتد عليها الخلاف بين حكومة السودان والحكومة المصرية فى الشروط التى تقدمت بها حكومة السودان مسألة قبول الطلبة السودانيين فى المدرسة المصرية . بدأت حكومة السودان برفض قبول اى طالب سودانى فى تلك المدرسة ثم تنازلت عن هذه الشروط قليلا واقترح مدير المعارف فى حكومة السودان ان يقبل فى المدرسة بعض الطلبة السودانيين بشرط ان تعرض اسماء المتقدمين أولا على مدير المعارف وان يكونوا من اولئك الطلبة الذين يريدون الالتحاق بالجامعة المصرية بعد تخرجهم فى المدرسة المصرية وان يدفعوا مصروفات لاتقل عن المصروفات التى يدفعها الطلبة المصريون لان مثل هذه المصروفات سوف تحد من الاقبال على المدرسة . (٢)

اعترضت الحكومة المصرية اشد اعتراض على الشرط الذى يفرض على المدرسة

---

(1) SA 17. D.3, 9.4.1943.

(٢) مذكرة مدير المعارف للسكرتير الا دارى بتاريخ ١٩٤٣/٣/٢٨م .

SA/17. D.3,

تقديم اسماء الطلبة السودانيين الى مدير المعارف للموافقة على قبولهـم . وتمسكت حكومة السودان بشرطها الاساسى بان تخضع المدرسة خضوعا تاما لمدير المعارف فى كل شيء ، فى قبول الطلبة الجدد من السودانيين نوعا وعددا وان تقبل التفتيش متى ما اراد مدير المعارف ، وان يكون له سلطة اغلاق المدرسة اذا دعت الظروف الى ذلك .

كانت مسألة افتتاح المدرسة المصرية اختبارا لنوايا مصر نحو السودان من ناحية وامتحانا للادارة البريطانية في السودان من ناحية اخرى . فاذا تركت مصر امر اشراف المدرسة لمدير المعارف البريطانى فى الخرطوم فهذا يؤكد السياسة التى اعلنها الانجليز من ان السلطة الوحيدة فى السودان هى تلك السلطة التى يمثلها الحاكم العام وليست مستمدة من القاهرة أو لندن كما ورد فى خطاب المستر نيوبولد السكرتير الادارى للحاكم العام. فينبغى لأى مؤسسة تنشأ فى السودان ان تكون خاضعة خضوعا كاملا لتلك السلطة . وهذا مالا تقبل به الحكومة المصرية وتقر عليه السلطات البريطانية وان لم تجهر بهذا كل الجهر .

واقترح محمد رفعت بك مدير التعليم المصرى ان يعدل صيغة الشرط المتعلق بقبول الطلبة السودانيين بحيث يقرب الشقة بين حكومة السودان والحكومة المصرية ، اقترح ان يقدم ناظر المدرسة المصرية فى الخرطوم اسماء الطلبة من غير المصريين الى مديرالمعارف البريطانى بعد قبولهم كل عام .(٢) وهذا ماكانت تخشاه حكومة السودان ذلك أن الغرض من عرض اسماء الطلبة على مدير المعارف ان يتيح له الفرصة لرفض من يرى رفضه وان يحدد العدد المقبول من الطلبة السودانيين . فان تقديم الاسماء بعد القبول هو مجرد اعلان عن نتيجة يمكن ان يطلع عليها فى اى صحيفة من الصحف. ثم ان هذا التعديل فى الشرط يرفع عنه صفة الاشراف على المدرسة التى هى اساس القضية وسبب الخلاف .

واستقر الرأى اخيرا فى الدوائر الرسمية المصرية فى القاهرة ان تفتح المدرسة فى أكتوبر ١٩٤٣ م مؤقتا فى مبان كانت حكومة السودان اعطتها للحكومة المصرية مساكن لبعض موظفيها فى الخرطوم . فان الحكومة المصرية اصبحت تواجه ضغطا متعاظما من الرأى العام فى كل من مصر والسودان فى هذا الموضوع . وقد ارجأت افتتاح المدرسة أكثر مما ينبغى وليس امامها الآن الا ان تفتح المدرسة بأى وسيلة وقبل ان يتم الاتفـــاق النهائى على الشروط المقترحة والتى طال الجدال حولها . وحين علمت حكومة السودان

(2) SA/17–D.3, dated 15.6.1943.

بنية الحكومة المصرية وعزمها على فتح المدرسة فى تلك المساكن كتب مدير الخرطوم الى السكرتير الادارى معترضا على استعمال تلك المبانى للدراسة . ثم ذكر ان حكومة السودان اعطت الحكومة المصرية تلك المبانى دون مقابل لتستعمل سكنا فاذا ارادت الحكومة المصرية ان تتخلى عنها ستعود الى حكومة السودان، ولايجوز ان تستعمل لغرض اخر غير السكن . بمعنى آخر فان حكومة السودان لن تسمح بافتتاح المدرسة المصرية فى تلك المبانى . ثم عزز مدير الخرطوم اعتراضه على انشاء المدرسة بما سمعه يتردد من احاديث بين المصريين فى الرى المصرى بالخرطوم . فمن تلك الاحاديث التى يرويها مديرالخرطوم ان المدرسة المصرية سوف تكون اول خطوة فى تنفيذ سياسة متفق عليها بين مصر وبريطانيا تسلم بريطانيا بموجبها وادى النيل لمصر مقابل مساعدة مصر لبريطانيا فى الحرب الاخيرة كحليفة لها . يذكر هذا بسخرية واستهزاء شديدين .

There has been a certain amount of loose talk in Egyptian Irrigatian circles to the effect that this school will be the first step towards implementing a policy agreed by great Britain to hand over gradually the Nile Valley to Egypt in return for her excellent (passive) assistance as an ally.(1)

وظلت الصحف المصرية على عادتها تنشر اخبار مختلفة عن مستقبل المدرسة وبرامجها وما يمكن ان تقوم به من مهام فى مجال التعليم ونشر الثقافة . ولم تكن كل تلك الاخبار رسمية بل ربما كانت من تصور الكاتبين الحادبين على المدرسة ولكن الدوائر الرسمية فى الخرطوم كانت لاتميز بين ما تعتزم الحكومة المصرية عمله فعلا وما تتمنى تلك الصحف التى كانت تتمتع بقدر كبير من الحرية يمكنها من نشر ماتريد. وكثيراً ما ارغمت الحكومة على تنفيذ مايريد الشعب . ففى كل مرة تنشر الصحف مثل تلك الاخبار يسرع وكيل حكومة السودان فينقلها الى الخرطوم وفى كل مرة تصل تلك التقارير من وكالة حكومة السودان الى الخرطوم تتخذها السلطات البريطانية دليلا على عزم الحكومة المصرية فى نشر الثقافة المصرية فى السودان تمهيدا للاستيلاء عليه فى نهاية المطاف . ثم تشتد معارضة حكومة السودان لنشر الثقافة والتعليم المصرى لهذه الاسباب وتلك المخاوف .

---

(1) SA/17. D.3. dated 26.6.1943. p.53

ذكر لى الاستاذ محمد عبد الهادى ناظر مدرسة الخرطوم الثانوية ان المدرسة قد افتتحت فى مبان جديدة ولم تستعمل مبانى قديمة .

نشرت صحيفة الاهرام بتاريخ ٥ يوليو ١٩٤٣م خبرا عاما ذكرت فيه ان المدرسة ستكون مركزا لنشر الثقافة المصرية فى السودان (١) وازعج هذا الخبر وكيل حكومة السودان الذى اتصل فورا بالسيد حسن فائق بك مساعد وكيل الدولة فى وزارة المعارف المصرية ليذكره بان الاتفاقية بين حكومة السودان والحكومة المصرية بخصوص إنشاء المدرسة المصرية لم توقـع حتى الآن ، وطالبه بـأن لا تسمح الحكومة المصرية للصحف بالحديث عن المدرسة بتلك الصورة التى تفترض ان المدرسة قد قامت فعلا وانتهى امرها. وطلب المستر ساندرز وكيل حكومة السودان توضيحا رسميا من الحكومة المصرية لما نشرته صحيفة الاهرام من حديث عن المدرسة كما طلب مقابلة وزير المعارف المصرى هلالى باشا فى ذلك الوقت ليبلغه احتجاج حكومة السودان واستياءها مما نشرت صحيفة الاهرام .

وما كانت الحكومة فى مصر تدرى كيف تفعل، فهى فى وضع لاتحسد عليه. فالرأى العام يطالب بالاسراع بافتتاح المدرسة ونشر الثقافة والتعليم فى السودان والحكومةالبريطانية تضغط على الحكومة المصرية من ناحية وتطالبها من ناحية بالانصياع لشروطها التى تؤجل من فتح المدرسة وتحد من نشر الثقافة والتعليم،والحكومة تحاول ان ترضى كلا من الرأى العام وبريطانيا وهو امر أصعب من الجمع بين الماء والنار.

وحين جاء المستر ساندرز لمقابلة هلالى باشا وزير التعليم المصرى وجد معه الدكتور طه حسين . لعل هلالى اراد لطه حسين ان يحضر مقابلة المستر ساندرز. وصف المستر ساندرز الدكتور طه حسين فى التقرير الذى بعث به الى الخرطوم بعد هذه المقابلة ، وصف طه حسين بأنه شديد الاهتمام بالتعليم فى السودان ، وانه من الداعين الى انشـاء كرسى للسودان فى الجامعة المصرية . وطاب المستر ساندرز من هلالى باشا تفسيرا لما ورد فى صحيفة الاهرام من ان المدرسة ستكون مركزا للثقافة المصرية فى السودان. فأوضح هلالى باشا أن المقصود بذلك ان يلقى الاساتذة الذين يزورون المدرسة فى السودان محاضرات عن التعليم والثقافة والادب . واعترض المستر ساندرز على هذا النشاط واصر ان تقتصر وظيفة المدرسة على تدريس الطلبة فقط . وما كان من هلالى باشا الا ان يوافق على ما طلب

(2) SA/17. D.3, 15.7.1943

المستر ساندرز (١) وهكذا تضطر الحكومة المصرية ان تقول للرأى العام شيئا تحسب انه يرضى الرأى العام وتقول لبريطانيا شيئا آخر . وتلك حال الحكومات الضعيفة ، تريد التوفيق بين مطالب الشعب ومطالب الاستعمار ، ولا يقوى على الصراحة والرفض الا رجل كسعد زغلول الذى رفض المطالب التى تقدمت بها بريطانيا إلى الحكومة المصرية بعد مقتل سيرلى استاك عام ١٩٢٤ م . لم يكن لسعد ان يستجيب لتلك المطالب وتنحى عن الحكم ليأتى غيره ممن لا يجدون حرجا بل لا يقوون على رفض طلب بريطانيا .

ظل الشرط الذى فرضته حكومة السودان لقبول الطلبة السودانيين حجر عثرة فى طريق الوصول إلى اتفاق بين الحكومتين لانشاء المدرسة . فكانت المعارضة والصحف ترى ان قبول السودانيين فى المدرسة سيكون كسبا لفكرة وحدة وادى النيل . وكانت الحكومة المصرية تخشى ان تستغل المعارضة هذه النقطة إن هى خضعت للشرط الذى تريده حكومة السودان . فأن المعارضة تحب بل تنادى بأعلى صوتها فى البرلمان المصرى ان قبول هذا الشرط الذى يحرم السودانيين من التعليم فى المدرسة يقوض الغرض الذى من اجله انشئت المدرسة . (٢)

المواجهة بين الحكومة المصرية وحكومة السودان :

اصطلحت كل تلك الاسباب حتى جعلت المواجهة بين الحكومة المصرية وحكومة السودان امرا لا مفر منه . فقد راوغت الحكومة المصرية حتى نفدت كل الحيل وظلت المعارضة تكشف اساليب الحكومة فى دأب معجب . فلم يكن بد مما ليس منه بد .

اصرت حكومة السودان على شرطها بأن تخضع المدرسة المصرية خضوعا كاملا لاشراف مدير المعارف فى السودان وان يكون الحاكم العام هو الفيصل وصاحب الكلمة الاخيرة فى اى خلاف ينشب بين ناظر المدرسة ومدير المعارف فى السودان. ثم كتب المستر نيوبولد مذكرة حلل فيها نظرة الحكومة المصرية وما اتخذت من مواقف فى موضوع المدرسة . فاتهم المستر نيوبولد الحكومة المصرية بانها تسعى إلى تقويض سلطة الحاكم العام بين السودانيين ولا تريد لهذه السلطة ان تظهر للرأى العام السودانى فى اى مظهر . ثم كرر واكد ما سبق ان ذكر فى مذكرته السابقة من ان كل التعليم فى السودان ينبغى ان يكون

---

(1) SA/17–D.3, 15.7.1943. نفس الخطاب .
(2) SA/17.D.3, 4.8.1943.

تحت اشراف حكومة السودان وان رأس السلطة الدستورى فى السودان هو الحاكم العام.(١)

ولعل هذه اول مرة تجهر فيها السلطات البريطانية بأن مصر تحاول ان تغوض من سلطة الحاكم العام فى السودان . وهذه لغة جديدة لم تعهدها الحكومة المصرية من بريطانيا منذ ان حدث ذلك النوع من التقارب بين البلدين بعد اتفاقية ١٩٣٦ م . ولكن ينبغى ان نذكر اننا الان فى نهاية عام ١٩٤٣ م وان الحرب قد اوشكت على نهايتها ، وان نجاح الحلفاء فى الحرب قد وضح ولاحت بشرى الانتصار لبريطانيا وحلفائها . وللانتصار لغة غير لغة الضعف والهزيمة فلا بأس ولا عجب ان تبدو من بريطانيا مثل هذه اللغة فى تلك الظروف .

ولما رأت الحكومة المصرية ان حكومة السودان مصممة على التمسك بذلك الشرط كما وضح من مذكرة السكرتير الادارى حاولت ان تشرك السفارة البريطانية فى القاهرة فى هذا الخلاف الذى طال عليه الامد . وكانت الحكومة المصرية على امل ان تقنع السفارة البريطانية فتؤثر بدورها على حكومة السودان فتعدل عن رأيها . وكان الوسيط بين الحكومة والسفارة البريطانية فى هذا الموضوع امين عثمان باشا الذى كان على صلة خاصة ببعض الانجليز فى القاهرة . فهو متزوج بانجليزية وله علاقات وثيقة بهم . زار امين عثمان وكيل حكومة السودان فى مكتبه وأبدى اعتراضه على موقف حكومة السودان من إنشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم . واشار فى اثناء حديثه مع وكيل حكومة السودان انه سوف يتصل بالسفارة البريطانية ليتحدث مع المسئولين فى هذا الامر . ولما بلغ وكيل حكومة السودان المستر نيوبولد فى الخرطوم بما دار بينه وبين امين عثمان ركبه الفزع ورد على وكيل حكومة السودان يأمره بالاتصال بالسفارة البريطانية قبل ان يتصل بهما امين عثمان ليطلع السفارة على تاريخ القضية وان يوضح رأى حكومة السودان بل واصر على ذلك الشرط المتعلق بمنع السودانيين من الدراسة فى تلك المدرسة . (٢)

وازدادت خشية حكومة السودان فى الخرطوم من تدخل السفارة البريطانية فى القاهرة تخشى ان تضغط عليها السفارة حتى تتنازل عن ذلك الشرط الذى تراه مهما لسياستها فى السودان . فأن السكرتير الادارى فى الخرطوم لم يعد ينتظر حتى يأتيه تقرير

---

(١) المصدر السابق .

(2) SA/17.D.3, 16.8.1943

وكيل حكومة السودان بما يجرى فى القاهرة أو ما تنشر الصحف المصرية عن الموضوع بل كان كثيرا ما يرسل بأوامره إلى وكيل حكومة السودان . فأن بعض الأخبار كانت ترد اليه من طرق أخرى . فكتب السكرتير الادارى إلى وكيل حكومة السودان بأنه سمع بطريقة خاصة ان الحكومة المصرية قد عينت ناظرا للمدرسة المصرية الجديدة وستة عشر استاذا . ثم يوجه الوكيل بأنه اذا أتى أى من هؤلاء المدرسين إلى الوكالة يطلب الذهاب إلى السودان ان يوضح له عدم وجود المساكن لهم وان يثبط من همتهم وعزمهم على السفر إلى الخرطوم بكل وسيلة يراها . (١)

وكان السكرتير الادارى يؤكد فى كل مذكراته عن موضوع انشاء المدرسة ان السلطات البريطانية فى السودان هى خير من يقيم الوضع فى السودان وعلاقته بمصر . وان السفارة البريطانية فى القاهرة لا تعرف عن تلك الاوضاع بقدر ما يعلم اولئك المسئولون من الحاكم العام ومساعديه فينبغى على السفارة ان تقبل رأى الحاكم العام وحكمه فى مثل تلك الامور البعيدة عن السفارة . فأن ما تحسبه السفارة البريطانية فى القاهرة هينا ليس هو بهين فى تقييم حكومة السودان فى العلاقة بين مصر والسودان . ان محاضرة يلقيها أحد الاساتذة المصريين فى الخرطوم عن الدين او القومية او ارادة الامة سيكون لها اثر كبير بين السودانيين وربما تكون الشرارة التى تشعل نار حريق يصعب اطفاؤه .

اتصل امين عثمان بالسفارة البريطانية وبلغ المسؤولين فيها برأى الحكومة المصرية بشأن الشروط التى وضعتها حكومة السودان لانشاء المدرسة خاصة ذلك الشرط الذى اختلف عليه فى قبول الطلبة السودانيين ووضع المدرسة تحت اشراف مدير المعارف فى حكومة السودان . وعلى اثر هذه المقابلة بين امين عثمان والمسئولين فى السفارة البريطانية اتفق على عقد اجتماع يحضره هلالى باشا وزير المعارف المصرى فى حكومة الوفد ومساعد السكرتير فى السفارة البريطانية ووكيل حكومة السودان بالقاهرة . كان اجتماعا حاسما وصريحا بحث فيه ثلاثتهم موضوع المدرسة المصرية بكل ابعاده وجوانبه ولكنهم لم يصلوا إلى اتفاق حول نقطة الخلاف التى تتعلق بشرط قبول الطلبة السودانيين فى المدرسة . فقد صدرت الاوامر صريحة لوكيل حكومة السودان من السكرتير الادارى فى الخرطوم بأن حكومة السودان مصرة على موقفها فى هذا الشرط مهما كلفها الامر . ولم يتنازل

(1) SA/17.D.3, 26.8.1943.

هلالى باشا عن موقف حكومته ورأيها الذى اعلنته والتزمت به فى البرلمان امام الرأى العام كله . ثم اختتم هلالى باشا الاجتماع بقوله انه فعل كل ما يمكن ليقنع حكومة السودان ويدعوها لتحكم العقل وتقبل طلب الحكومة المصرية ولكنها لم تفعل . فلذا ليس من سبيل الا ان نترك الامور تأخذ مجراها الذى تأخذه فى مثل تلك الحال. وذكر هلالى باشا كلا من ممثل السفارة البريطانية ووكيل حكومة السودان بأن موقف حكومة السودان هذا سوف يؤدى إلى استياء شديد فى دوائر حزب الوفد وسوف يثير اكبر ضجة فى البرلمان بمجرد انعقاده فى الدورة المقبلة . وكانت حكومة الوفد قد اعلنت فى البرلمان ان المدرسة سوف تفتح ابوابها للطلبة فى اكتوبر ١٩٤٣ م فى مبان مؤقته إلى ان يتم بناء المبانى الجديدة ولكن حكومة السودان تشترط بناء المدرسة اولا . وتوعد هلالى باشا بأنه اذا لم تسمح حكومة السودان بفتح المدرسة فى المبانى المؤقتة عليها ان تتحمل المسؤولية وذكر مرة أخرى بما يمكن ان تثيره هذه القضية من مشكلات أخرى تعلمها السلطات البريطانية فى السودان وتخشاها السفارة البريطانية اشد خشية. وكان أخوف ما تخافه السفارة البريطانية فى القاهرة ان تثار المشكلة فى البرلمان لان ذلك ربما يؤدى إلى اثارة وضع السودان برمته . ثم نصحت السفارة البريطانية حكومة السودان بأن بحث مثل هذه القضية فى البرلمان المصرى سيكون له عواقب وخيمة وليس الوقت مناسبا لاثارة قضية السودان . (١) وكتب وكيل حكومة السودان إلى السكرتير الادارى فى الخرطوم بما نصحت به السفارة البريطانية وبما رأت بعد بحث المشكلة . ثم اقترحت السفارة ان تفتح المدرسة فى يناير ١٩٤٤ م . هكذا اخذت السفارة البريطانية تهتم بالمشكلة حين خشيت ان تثار قضية السودان وبدأت توجه الحاكم العام فى السودان وتنصحه بالتنازل عن بعض الشروط التى ترفضها الحكومة المصرية . فعدلت السفارة من صياغة الشروط التى اختلفوا فيها بطريقة ترضى الحكومة المصرية ولكنها لم تغير فى المضمون كثيرا . فأن الشرط الذى يقضى بأن تكون الكلمة الاخيرة للحاكم العام فى الفصل فى اى خلاف بين ادارة المدرسة ومدير المعارف الذى كانت ترفضه الحكومة المصرية قد عدلت باقتراح من السفارة البريطانية بحيث حذفت منها كلمة اخيرة Final لأنها مفهومة ضمنا ، ذلك ان الحاكم العام فى السودان هو ممثل السلطة الأوحد وواضع القانون ومنفذه . (٢)

(1) SA/17.D.3. 17.9.1943
(2) SA/17.D.3. 8.10.1943

هكذا تضطر حكومة السودان الى التنازل عن بعض الشروط بعد تدخل السفارة البريطانية . فأن حكومة السودان ترى مالا تراه السفارة فى تقويم السياسة المتعلقة بالسودان وتنظر السفارة وتخطط لسياستها في شمول لا يمكن ان تراه السلطات البريطانية في الخرطوم . ولكن المستر نيوبولد السكرتير الادارى فى الخرطوم ما يزال فى شك قاتل من نوايا مصر فى إنشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم . المدرسة فى رأيه خطة سياسية من الحكومة المصرية لنشر نفوذها فى السودان وكسب السودانيين لوحدة وادى النيل التى ترفضها بريطانيا ، كان الصراع سياسيا فى المكان الاول .

تلك هى الظروف والصعاب التى حالت دون تنفيذ انشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم فى الوقت الذى حدد لها فى عام ١٩٣٩ م وليست هى الظروف الدولية التى فرضتها الحرب كما ذكر عبد الله فكرى اباظة فى كتابه [١] فأن مشروعا مثل هذا لا يحتاج إلى مبلغ كبير كالمشروعات الاخرى التى اوقفتها الظروف الاقتصادية فى وقت الحرب . وانما هى سياسة صريحة وضعها الانجليز لقطع الصلة الثقافية والفكرية التى هى اخطر الصلات واقواها بين شعب وآخر . فقد رأينا ان الجيوش تحتل بلدا ما حقبة من الزمن ثم تجلو عنه فى يوم وليلة ولم يبق من اثر سوى ذلك الاثر الخفى اثر الثقافة والفكر ووجدنا أخطر ما خلفه الاستعمار فى البلاد التى رحل عنها هذا الفكر وتلك الثقافة التى جعلت كثيرا من تلك الشعوب ما تزال تعبد تلك الاصنام بعد تحطيمها وتتخذ طريقة المستعمرين طريقة لحياتهم فى الفكر والحياة المادية .

---

(١) عبد الله فكرى اباظة ، المصدر السابق ، بدون تاريخ ، ص ٢٣٢

التعليم السياسي والسياسة التعليمية

كان اساس الصراع حول التعليم بين مصر والحكومة البريطانية فى السودان سياسيا. فأن الانجليز يعتبرون التعليم المصرى فى السودان قضية سياسة وان المدارس التى سوف تنشئها الحكومة المصرية فى السودان لن تكون سوى مسرح سياسى يدعو فيه الداعون لمصر ويناهض منه المناهضون الحكم القائم فى السودان . ويجد فيه كل من يعادى هذا النظام الفرصة لنشر تلك العداوة بين الناس . وقد افصحت عن تلك المخاوف السلطات البريطانية فى السودان منذ ان فكرت الحكومة المصرية فى إنشاء المدرسة بعد اتفاقية ١٩٣٦ (١) وحين وضعت الادارة البريطانية فى السودان سياستها التعليمية فى السودان اخذت فى الاعتبار ان يكون التعليم من اجل الوظيفة ، تخرج المدارس موظفين يشاركونا لانجليز فى ادارة شئون البلاد لا أكثر من هذا . وكان امرا مفهوما ان ترفض حكومة السودان اى نوع من التعليم لا يخضع لهذه السياسة . فالمعرفة من اجل المعرفة ضرب من الترف وخطر لا يمكن ان يجد الرضا عند الانجليز حتى لو دفعت له حكومة اخرى . ولعل التعليم فى مصر كان ايضا يرمى إلى تأهيل مثل هؤلاء الموظفين فى دواوين الحكومة ولكن مخاوف الانجليز من اتصال مصر بالسودان كانت كبيرة جدا .

وكان رأى الحكومة المصرية وسياستها — وهى مقيدة ايضا — فى انشاء المدارس المصرية فى السودان ان تعيـد تلك الصلة التى انقطعت بقيـام الثورة المهدية ونهاية الحكم التركى فى السودان . وليس من شك ان الحكومة المصرية كانت تأمل ان تؤدى تلك الصلة إلى اتحاد كامل بين مصر والسودان فى نهاية الامر . ولعلها كانت تعمل على ان يتلقى الطلبة فى تلك المدارس نوعا من الثقافة وان يلموا بما يجرى فى مصر خاصة من الفكر والثقافة والسياسة . وقد اشرنا إلى اثر الاساتذة المصريين الذين كانوا يعماون فى كلية غردون التذكارية من قبل .

وحين وقفت حكومة السودان فى طريق تنفيذ مشروع انشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم واصرت الحكومة المصرية على المضى فى تنفيذ المشروع تدخلت السفارة البريطانية

---

(١) راجع مذكرة المستر نيوبولد SA/17.D.3.

كما رأينا فى الفصل السابق واستمر هذا التدخل حتى وافقت حكومة السودان على انشاء المدرســـة .

وتلخص السفارة البريطانية فى القاهرة اهداف الحكومة المصرية من إنشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم فى الآتي :

١ — وجود عدد من المدرسين المصريين لنشر الثقافة المصرية فى السودان .

٢ — ان يشعر المصريون الطلبة السودانيين بأنهم مساوون للطلبة المصريين فى المعرفة .

٣ — خلق منافسة بين المصريين والانجليز فى كسب تقدير السودانيين لهم .

٤ — تشجيع اكبر عدد من السودانيين ليدرسوا فى الجامعة المصرية . (١)

بعد الاتفاق (٢) الذى تم بين الحكومة المصرية وحكومة السودان على الشروط التى تفتح بموجبها المدرسة عينت الحكومة المصرية السيد محمد عبد الهادى بك ناظـــرا للمدرسة المصرية الجديدة فى الخرطوم ، ثم غادر محمد عبد الهادى القاهرة متجها إلى السودان يوم ٩ نوفمبر ١٩٤٣ م ولحق بناظر المدرسة تسعة من المدرسين فى ديسمبر من نفس العام للتدريس فى المدرسة.

واخذت حكومة السودان تراقب وترصد كل نشاط او عمل يجرى داخل المدرسة فى حجرات الدرس او خارجها . راقبت ناظرالمدرسة والمدرسين ، وكانت تنظر فيما يوضع من مقررات للمدرسة وما يقول المدرسون للطلبة وكيف توضع الامتحانات . ولم يمض وقت طويل حتى تحققت مخاوف الانجليز من ان تلك المدرسة لن تكون وقفا على تعليم الطلبة لا تتعداها كما أرادوا وكما وعدت الحكومة المصرية بهذا. بل لابد ان تجد السياسة إلى حجراتها السبيل وان عز . ففى مايو عام ١٩٤٤ م وضعت المدرسة امتحانا لطلابها وردت فيه بعض العبارات التى ظنها السكرتير الادارى عملا سياسيا لا ينبغى ان يدور فى حجرات المدرسة ويلقى على الطلبة فيها ، ثم كتب إلى وكيل حكومة السودان مذكرة بين فيها الجوانب السياسية فى الاسئلة التى وضعت للطلبة فى مدرسة الخرطوم .

(١) وصفت هذه المعلومات بانها سرية جدا وقد حصلت عليها السفارة من عميل يدعى EMERY

(٢) وقد قدمت الا تفاقية فى ثلا ث صيغ : أ ، ب ، ج قبلت منها الصيغة الثانية . SA/17.D.3. p.106

وطلب السكرتير الادارى من وكيل حكومة السودان ان يرفع مذكرته للسفارة البريطانية وطالب الحكومة المصرية ان تتحمل المسئولية الكاملة عن هذا العمل الخطير . (١)

لم أجد النص العربى الذى أخذ عنه السكرتير الادارى وهاهى ترجمة للاسئلة التى ابدى اعتراضه عليها :

Question (5):

The Sudanese and the Egyptians are one *nation*, made by God to inhabit one valley and given by Him *one* language, one religion and similar characters. Because of these ties the Egyptian *Government* has founded this year a secondary *school* in Khartoum which will, we hope, be successful in *spreading* learning in the Sudan.

(a) Parse the underlined words.

(b) Write complete sentences to answer the following two questions, making use of the above paragraph

(1) What things do the Egyptians and the Sudanese have in common?

(2) Why did the Egyptian Government found a secondary school? (1)

وترجمة هذا السؤال :

السؤال الخامس :

« ان السودانيين والمصريين شعب واحد خلقه الله ليسكن واديا واحدا واعطاه لغة واحدة ودينا واحدا وخصائص مشتركة متشابهة . ومن أجل هذه الروابط أنشأت الحكومة المصرية هذا العام مدرسة ثانوية فى الخرطوم نأمل ان تنجح فى نشر العلم فى السودان .

(أ) صرف الكلمات التى تحتها خط .

(ب) اكتب جملا مفيدة لتجيب عن السؤالين الآتيين مستفيدا من الفقرة السابقة.

١ ــ ما الأشياء المشتركة بين المصريين والسودانيين .؟

٢ ــ لماذا أنشأت الحكومة المصرية مدرسة ثانوية ؟ »

بينما يجرى وكيل حكومة السودان اتصالاته بالسفارة البريطانية مبلغا اوامر السكرتير الادارى لتتحمل الحكومة المصرية نتائج ذلك العمل الذى أخل بالشروط التى اتفقوا عليها ، بينما يفعل الوكيل هذا فى القاهرة اتصل مدير المعارف فى الخرطوم بالسيد

(1) SA/17.D.3. 22.6.1944.

محمد عبد الهادى ناظر المدرسة وسأله بعض الأسئلة عما ورد فى ورقة الامتحان لطلبة الصف الثانى من العبارات التى اعترض عليها السكرتير الادارى فى مذكرته لوكيل حكومة السودان . فاجاب محمد عبد الهادى بأن الاسئلة للامتحان وضعت فى القاهرة وانه لم يطلع على اوراق الامتحان الا عند توزيعها على الطلبة فى قاعة الامتحان . ثم اضاف بأن الاستاذ الذى وضع الاسئلة استاذ قديم لم يعرف بميول سياسية من قبل ، وربما يكون أورد تلك العبارات كنوع من المدح للمدرسة . ووعد محمد عبد الهادى مدير المعارف البريطانى انه سوف يحرص على الا ترد مثل تلك العبارات فى الامتحانات مستقبــلا . (١)

فى سبتمبر عام ١٩٤٤ كتب المستر نيوبولد مذكرة شديدة اتهم فيها بريطانيا بالغفلة واهمال السودان ، ثم قارن بين اهتمام الصحافة المصرية والبرلمان المصرى بالسودان واهمال الصحافة البريطانية والبرلمان للسودان . وحذر المستر نيوبولد بريطانيا بأنه اذا لم تفعل شيئا فأن كل ما فعلت الادارة الانجليزية فى السودان « لتقود السودان نحو مستقبل صحيح فى السياسة والاقتصاد سوف تبطله الدعاية المصرية التى اخذت تتسلل الى السودان » (٢) واستدل على رأيه وتقييمه لتدهور السياسة البريطانية فى السودان بما كان يسمع من بعض المثقفين فى الخرطوم .

"We admire British culture and justice, but what do we get out of the British connection?

We fought for Britain in two world wars, but what interest does Britain take in us?

Egypt takes a Iot. (3)

ثم يمضى فيقول :

" I think great Britain must wake up to the Sudan or she may find it slipping from her grasp."

ترجمة هذا :

« نحن المثقفين السودانيين ــ نعجب بالثقافة والعدالة الانجليزية ولكن ماذا نجنى

---

(١) قال لى السيد محمد عبد الهادى حين سألته عن هذه الواقعة ان مدير المعارف كان المستر روزفير وان روزفير لم يكن شديد الاهتمام بالدرجة التى ابداها السكرتير الادارى بل كان يستخف بالاهتمام بها .

(2) K.D.D. Henderson, the making of the modern Sudan, London, 1953, p.399

(3) Ibid. p. 399

من العلاقة بانجلترا ؟ فقد دخلنا حربين عالميتين من أجل بريطانيا ولكن اين أهتمام بريطانيا بنا ؟ ان مصر تهتم بنا كثيرا . » ثم يقول المستر نيوبولد :

« الرأى عندى انه يجب على بريطانيا ان تلتفت إلى السودان بيقظة والا سوف تجده قد انزلق وتخلص من قبضتها . »

اقترح مدير المعارف في الخرطوم على السكرتير الادارى ان يكتفى بالتوضيح الذى سمعه من ناظر المدرسة المصرية فلا داعى لاثارة الموضوع او عرضه على وزير المعارف المصرى . وكان الموضوع قد وصل إلى وزير المعارف هلالى باشا فى القاهرة فاحال وكيل حكومة السودان إلى ناظر المدرسة محمد عبد الهادى . وإنتهى الامر عند هذا الحد . وظلت السلطات البريطانية تراقب المدرسة فى تنفيذ ما اتفق عليه من شروط . وفى عام ١٩٤٥ م اصدرت حكومة السودان أوامر فرضت على اى طالب يريد الذهاب إلى مصر ان يحمل معه وثيقة من مدير مدرسة فاروق الثانوية بانه قبل فعلا فى المدارس المصرية الاميرية . (١)

تميزت الفترة بين عام ١٩٤٤ وعام ١٩٤٦ م بهدوء نسبى فى المدرسة المصرية ولم نجد فى الوثائق شيئا كثيرا عنها فى تلك الفترة . ولعل هذه كانت فترة تفاهم وتقارب بين الحكومة المصرية وبريطانيا . هى فترة الحوار الذى كان يدور بين مصر وبريطانيا ثم انتهى بعقد اتفاق صدقى – بفن بين البلدين .

عرف الانجليز منذ القرن التاسع عشر بانهم أقدر الناس على صياغة الاتفاقيات الغامضة التى تقبل أكثر من تفسير وتأويل منذ اتفاقية الحكم الثنائى ١٨٩٩ م إلى قرار مجلس الامن ٢٤٢ الصادر فى نوفمبر عام ١٩٦٧ م . وبذلك يجد كل طرف انه قد حقق شيئا مما يريد وانه فى ذات الوقت سيجد فى الاتفاق ما يعطيه الحرية ان اراد التحلل منها . من تلك الاتفاقيات الغامضة والفريدة اتفاقية الحكم الثنائى التى ابرمت بين مصر وبريطانيا عام ١٨٩٩م واتفاقية صدقى – بيفن فى اكتوبر عام ١٩٤٦م . ففى الاخيرة نصت الاتفاقية على وحدة سياسية بين مصر والسودان ولكن هذه الوحدة ستكون تحت التاج المصرى . ان السياسة التى اتبعتها بريطانيا ومصر فى السودان ستكون اضمن لاطار الوحدة بين مصر والسودان تحت تاج مصر المشترك وان هذه السياسة «« ستضمن رفاهية السودانيين وتنمية

---

(١) جلال الدين الحمامصى ، ماذا فى السودان ، القاهرة ١٩٤٥م ص١٥

مصالحهم واعدادهم بصورة فعالة للحكم الذاتي ،وبالتالي الحق في اختيار وضع السودان في المستقبل إلى ان يستطيع الفريقان الساميان المتعاقدان باتفاق تام مشترك تحقيق هذا الهدف الأخير ، وبعد التشاور مع السودانيين ستستمر اتفاقية ١٨٩٩ م . » (١)

فانت ترى انه في الفقرة الاولى قد اشارت الاتفاقية الى سيادة مصر على السودان. وفي الفقرة الثانية اصبح الامر كما كان في اتفاقية ١٨٩٩م بان مصير السودان في يدى الشريكين بريطانيا ومصر .

وعلى الرغم من هذه الاتفافية التي تدل في ظاهرها على تحسن العلاقات بين مصر وبريطانيا والتفاهم في قضية السودان ظل الانجليز يعملون بكل قوة على محاربة اى نوع من النفوذ أو الاثر المصرى في السودان خاصة في التعليم .

وعلى اثر هذا الاتفاق سافر وفد من حزب الامة الى انجلترى يعارض اتفاقية صدقى بيفن وفي لندن قابل عبد الله خليل الامين العام لحزب الامة ومحمد احمد محجوب المسؤولين لمناقشة ذلك الموضوع . يقول محمد احمد محجوب (بحثت اتفاقية صدقي مع مستر هكتور مكنيل وزير الدولة للشئون الخارجية ومازلت اذكر كلماته : (لن يستمر هذا) وقد كان لصدقي اليد العليا لانه كان اشهر رجال الدولة المصريين في ذلك الوقت (٢) ويمضى المحجوب فيقول (نجحت حملتنا المركزة ، وهزمت اتفاقية صدقى – بيفن الواقع ان مسودة الاتفاقية رميت اخيرا الى الشيطان) (٣) ثم اعقب هذا الهدوء توتر وصراع عنيف بين بريطانيا ومصر حول قضية السودان منذ عام ١٩٤٦م حتى عام ١٩٥٢م . وانعكس هذا التوتر في العلاقات المصرية البريطانية على المؤسسات التعليمية المصرية فيالسودان فازدادت معارضة حكومة السودان وخشيتها من انتشار النفوذ المصرى في السودان وازداد اصرار الحكومة المصرية على تنفيذ مشروعاتها التعليمية في السودان .

على الرغم من أن الدراسة قد بدأت في المدرسة المصرية في ٨ يناير ١٩٤٤م لم تفتتح المدرسة رسميا حتى يناير ١٩٤٦م . كان افتتاح المدرسة المصرية في الخرطوم مناسبة كبرى اضفت عليها السياسة والصراع الذى كان على أشده مظهر المظاهرة السياسية في

---

(١) محمد احمد محجوب ، الديمقراطية في الميزان ، بيروت ١٩٧٣م . ص ٤٧

(٢) نفس المصدر ص ٤٨

(٣) نفس المصدر ص ٤٩

كل من مصر والسودان . قرر وزير المعارف المصرى السنهورى باشا ان يذهب بنفسه الى الخرطوم يصحبه وزير الاشغال لحضور افتتاح المدرسة الثانوية واهتمت الصحافة المصرية أكبر اهتمام بتلك المناسبة وابدت حرص مندوبيها على السفر للسودان لحضور الافتتاح . ثم تقدم مندبو الصحافة الى وكيل حكومة السودان يطلبون الاذن بالذهاب الى الخرطوم . ولكن لابد لوكيل حكومة السودان ان يرسل الاسماء أولا الى مدير البوليس فى الخرطوم للموافقة عليها . (١)

نشب الخلاف مرة اخرى بين الحكومة المصرية وحكومة السودان عام ١٩٤٦ م حين عينت الحكومة المصرية مصطفى بك الابحر ناظراً للمدرسة المصرية الثانوية فى الخرطوم خلفا للسيد محمد عبد الهادى بك الذى ترقى الى وظيفة مراقب التعليم . وكانت حكومة السودان تتوقع ان تأخذ الحكومة المصرية رأيها فى الشخص الذى يخلف محمد عبد الهادى ولكن الحكومة المصرية لم تفعل شيئا مما توقعت حكومة السودان، بل عينت مصطفى الابحر وغادر القاهرة الى الخرطوم ليشغل الوظيفة الجديدة دون ان تعلم حكومة السودان عنه رسميا . وحين وصل مصطفى الابحر الى الخرطوم ناظرا على المدرسة المصرية وعلمت حكومة السودان بهذا ارسلت برقية شديدة تحتج فيها على تصرف الحكومة المصرية وطلبت من وكيل حكومة السودان فى القاهرة ان يبلغ هذا للسفارة البريطانية . (٢)

وكانت حكومة السودان منذ ان تدخلت السفارة البريطانية فى ايجاد صيغة للاتفاق بين الحكومة المصرية وحكومة السودان بشأن إنشاء المدرسة المصرية ، كانت تحرص فى كل مرة ان تطلع السفارة على ما يقع من خطأ فى تصرف الحكومة المصرية وكأنها تشير بهذا الى ما وقعت فيه السفارة من خطأ فى تقدير الامور حين رفضت تحليل حكومة السودان وتقييمها لنوايا الحكومة المصرية ، وهى فى ذات الوقت تشير من طرف خفى الى سلامة موقف حكومة السودان حين عارضت إنشاء المدرسة وفرضت مافرضت من

---

(1) SA/17.D.3. 28.11.1945

(٢) روى لى السيد محمد عبد الهادى ناظر مدرسة فاروق الذى شهد حفل الا فتتاح ان السيد عبد الرحمن المهدى قد حضر الحفل ولم يحضر السيد على الميرغنى . وهو يفسر ذلك بأن السيد على كان على وفاق مع المصريين فلا يحتاج الى تأكيد هذا بحضور مثل هذا الحفل بينما يحتاج السيد عبد الرحمن ان يؤكد انه ليس ضد التعليم المصرى أو مصر وكان محمد عبد الهادى على صلة وثيقة بكليهما .

(2) SA/17.D. 3. 8.10.1946

شروط وقيود على المدرسة . وما كانت السفارة البريطانية فى القاهرة تجهل شيئا من كل هذا الذى تذكرها به حكومة السودان، ولكن الظروف القاهرة اضطرتها الى لين الجانب والموازنة بين ما يحدث فى كل من مصـــر والسودان والعالم كله ، لتفادى مشكلات أكبر قــد يؤدى اليها عناد حكومة السودان واصرارها على التمسك بالامور الصغيرة . مثل ما رأينا فى اعتراضها على ما ورد فى أسئلة امتحان المدرسة .

والحق ان السلطات البريطانية فى السودان قد واجهت منذ أوائل الاربعينات ضغطا متعاظما من الحركة الوطنية فى السودان، فادى هذا الى ازعاجها واهتمامها بكل كبيرة وصغيرة بل وفزعها من اى بادرة تحرك ضد النظام فى السودان خاصة ما كان متصـــلا بمصر . ولعل كثيراً من النشاط المعادى للاستعمار فى السودان كان متصلا بمصـــر فى تلك الفترة بشكل من الاشكال .

شهد عام ١٩٤٧م اهتماما اكبر من الحكومة المصرية بانشاء مزيد من المدارس فى السودان. ومع هذه النية من الحكومة المصرية اتسع الخلاف بينها وبين حكومة السودان التى كثيرا ما ابدت اشفاقها من ازدياد النفوذ المصرى فى السودان تحت ستار التعليم والثقافة . ورأت الحكومة المصرية فى أول عام ١٩٤٧م ان تعيد النظر فى سياستها التعليمية فى السودان بحيث لا تقتصر الخطة التعليمية المصرية على شمال السودان بل لابد ان تصل الى الجنوب ايضا . فجـــاء فى صحيفة الاهرام بتاريخ ١٩٤٧/١/٢٣م ان اللجنة الثقافية فى وزارة المعارف قد اجتمعت لتنظر فى مختلف الامور التى تتعلق بتعليم السودانيين فى المدارس المصرية . وبحثت اللجنة فيما بحثت اقتراحا بانشاء مدرسة ابتدائية تلحق بالمسجد فى مدينة جوبا فى جنوب السودان . وقررت اللجنة ان يرصد لانشاء تلك المدرسة مبلغ قدره الف جنيه، كما كلفت السيد محمد عبد الهادى بزيارة جنوب السودان وتقديم تقريره عن المدرسة بعد معاينة المكان والاتصال بالناس هناك . وكان محمد عبد الهادى عضوا فى تلك اللجنة التى تخطط للتعليم المصرى فى السودان .

كتب المستر هيزلدن وكيل حكومة السودان فى القاهرة الى مدير المعارف فـــى الخرطوم يطلعه على كثير مما دار فى اجتماع تلك اللجنة وبما نشرته الصحف المصرية عن نشاط اللجنة الثقافية . (١)

(1) SA/17.D.3. 24.1.1947

يحدث هذا على اثر اتفاق صدقى ــ بيفن الذى فهم منه فى مصر انه اعطاها السيادة على السودان . وقد اختلف الانجليز مع الحكومة المصرية فى تفسير ذلك الاتفاق وفهمه، فلجأت الحكومة المصرية الى الامم المتحدة كما فعل الشيء نفسه معارضو الوحدة مع مصر من السودانيين. وتفاقم الامر واحتد الصراع فى داخل السودان واشتعل لهب الثورة ضد الاستعمار حتى اصبحت الحكومة فى وضع لاتحسد عليه كما وصفه المستر هندرسون :

"A situatin arose in which for a politician to admit any good in the government was tantamount to political suicide."(1)

فى ٢٦ يونيه من عام ١٩٤٧م كتب محمد عبد الهادى مراقب التعليم المصرى وناظر مدرسة فاروق سابقا مقالا نشرته مجلة المصور حمل فيه على سياسة حكومة السودان التعليمية وكشف معارضتها للتعليم المصرى فى السودان . وحين علم السكرتير الادارى فى الخرطوم بما كتب محمد عبد الهادى أمر بترجمته الى اللغة الانجليزية . ثم بعث به الى السفارة البريطانية فى القاهره يطاب رأيها فيما اذا امكن ارسال احتجاج رسمى من حكومة السودان الى الحكومة المصرية يستنكر ما ورد فى المقال من هجوم على الحكومة ونقد لسياستها . وشفع السكرتير الادارى هذا الطاب برأيه فى المقال وما يمكن ان يؤدى اليه من نتائج فى السودان. فأنه يرى ان فى المقال هجوما وتحاملا على سياسة حكومة السودان وأنه لايستند الى حقائق مؤكدة . ثم يرى فى التحليل النهائى ان مثل هذا المقال سيكون البداية لتقويض هيبة حكومة السودان اذا ترك دون حساب . واختتم السكرتير الادارى خطابه بأن المقال الذى كتبه محمد عبد الهادى ونشاطه فى الماضى يبرران طلب نقل محمد عبد الهادى وابعاده عن السودان . (٢)

ردت السفارة البريطانية على خطاب السكرتير الادارى باسهاب وتفصيل يدل على ان المسئولين فيها قد درسوا الموضوع دراسة وافية وفكروا فى الامر جيدا . فجاء فى رد السفارة انهم يوافقون السكرتير الادارى فيما ذهب اليه من ان ماكتب محمد عبد الهادى يجب الا يترك دون تعليق ولكنهم لايرون ان يخاطب السكرتير الادارى الحكومة المصرية

---

(1) K.D.D. Henderson, op. cit, p.452.

(2) SA/17.D. 3. 12.7.1947

روى لى محمد عبد الهادى ان الموضوع لم يكن مقالا بالمعنى المفهوم بل كان احد محررى مجلة المصور يسأل ومحمد عبد الهادى يجيب ثم نشرت هذه المقابلة .

فى هذا الامر لسببين :

أولا : اذا كتب السكرتير الادارى الى الوزارة المصرية ربما يهمل خطابه ولايرد عليه احد . فكيف يفعل اذا حدث هذا ؟ وما الخطوة التى يمكن ان يتخذها فى تلك الحال ؟ والاحتمال قائم وكبير جدا فى نظر السفارة البريطانية .

ثانيا : ترى السفارة البريطانية انه لا رئيس الوزارة المصرية ولا وزير المعارف فى مصر بمستطيع ان يؤدب محمد عبد الهادى اذا غدا الامر معلنا للشعب ، ذلك ان مثل هذا الاجراء سيعتبر ضعفا من الحكومة وامتثالا لأوامر السفارة البريطانية وان المعارضة فى البرلمان المصرى سوف تثير هذه المشكلة وتذيعها على أكبر نطاق وأوسعه .

من اجل هذا كله تقترح السفارة البريطانية ان يعالج هذا الموضوع بالاتصال المباشر بين السفارة البريطانية والحكومة المصرية ، بالحديث دون الكتابة التى تقتضى ردا وتكون وثيقة ربما تجد طريقها الى الصحافة المصرية ويعرف عنها الشعب والمعارضة . ونصحت السفارة ان يتصل وكيل حكومة السودان فى القاهرة بالسيد محمد عبد الهادى فيطلب منه ان يكتب الى مدير المعارف الانجليزى معتذرا عما كتب فى مجلة المصور ، وان يؤكد لمدير المعارف انه لن يعود لمثلها أبدا . ثم ليوضح وكيل حكومة السودان للسيد محمد عبد الهادى انه اذا لم يفعل ما طلبه منه فان حكومة السودان سوف تطالب من الحكومة المصرية ابعاده عن السودان .

وبعد ان عرضت السفارة البريطانية رأيها فى الموضوع وعبرت عن مخاوفهـا وتوقعاتها تركت لحكومة السودان حرية التصرف بالطريقة التى تراها لمعالجة الموضوع مع الحكومة المصرية. فلعل لحكومة السودان من الاسباب ما يدعوها الى أتخاذ طريق غير الطريق الذى اقترحت السفارة البريطانية لانها أعلم بطبيعة الاحوال فى السودان وأشد مباشرة وأول مسئول عنها . ثم ان السفارة البريطانية شعرت بانها اكثرت من التدخل فى أمور ترى حكومة السودان انها لاتعرف عنها كثيرا ولاينبغى لها ان تدخل فيها .

استدعى وكيل حكومة السودان محمد عبد الهادى الى مكتبه يوم ٢٢–٨–١٩٤٧م ثم دار بينهما حوار طويل طلب فى نهايته وكيل حكومة السودان من محمد عبد الهادى ان يعتذر عن المقال الذى كتبه فى مجلة المصور ينتقد فيه سياسة حكومة السودان وان

يتعهد بان يتجنب الكتابة فى الموضوعات السياسية مستقبلا . ولما لم يجد من محمد عبدالهادى استجابة لطلبه بالاعتذار عما كتب توعده بان حكومة السودان سوف تطلب ابعاده عن السودان بصفة رسمية . ورفض محمد عبد الهادى ان ينصاع لهذا الوعيد واصر على موقفه. وكتب وكيل حكومة السودان الى الخرطوم بكل مادار بينه وبين محمد عبد الهادى من نقاش (١)

رأى السكرتير الادارى ان يكتب الى رئيس الوزراء المصرى محتجا على مقال محمد عبد الهادى فكتب بتاريخ ٢٨ اغسطس ١٩٤٧ م .

His Excellency,
The President of the Council of Ministers, Sir,

I have the honour to bring to your Excellency's notice an article written by Muhammed Abdel Hadi Bey, the headmaster of the King Farouk School, in al-Mussawar of 26 th. June.

The article comprises a malicious attack, based on false and distorted premises, on the educational policy of the Sudan government and on the general intentions of the Government towards the Sudanese. I am confident that your Excellency will share my surprise and regret, not only that an official of the seniority and standing of Abdel Hadi Bey should hold such views, but also that he should so transgress the customary limits of official decorum as to contribute an article of this nature to the press.

The many and manifest dangers attendant on the introduction of political activities into educational institutions are well known to your Excellency. They have been proved to be detrimental both to good teaching and to good Government. The Sudan Government are therefore concernd to find that the headmaster of the King Farouk School not only holds views inimical to this Government but expresses them to the public at large. This concern has not been lessened by the activities of two other members of the school staff, Abdel Hamid Eff. Zedan and Saleh Eff. Abdu, both of whom have publicly expressed sentiments incompatible with the undertakings they have given, as teachers, not to indulge in political propaganda.

It is, therefore, with regret that I find myself compelled to request your Excellency to arrange for the transfer of Muhammed Abdel Hadi Bey, of Abdel Hamid Zeidan and of Saleh eff. Abdu to posts elsewhere than in the Sudan. I also wish to express to your Excellency my hope that the King Farouk School will, after their removal, be enabled to pursue its normal scholastic

(1) AS/17.D.3. 4.11.1947.

functions unhampered by political distractions.

I avail myself of this opportunity to renew to your Excellency the assurance of my very high consideration.

(Sgd) J.W. Robertson
Acting Governor General of the Sudan.

رأيت أن أورد نص الخطاب باللغة الانجليزية لمن يريد ان يطلع على الأصل وهذه ترجمة الخطاب :

صاحب المعالى رئيس مجلس الوزراء :

سيدى

أتشرف بان الفت نظر معاليك الى مقال كتبه محمد عبد الهادى بك ناظر مدرسة الملك فاروق فى المصور بتاريخ ٢٦ يونيه .

فان المقال يحتوى على هجوم شرس قائم على اسس مزيفة معوجة على سياسة حكومة السودان التعليمية والنوايا العامة للحكومة نحو السودانيين . وانى على ثقة ان معاليك سوف تشاركنى دهشتى وأسفى فى ان موظفا له مكانة محمد عبد الهادى بك تكون له مثل هذه الآراء ثم يتعدى الحدود التقليدية للوظيفة فيكتب مثل هذا المقال فى الصحف .

ان المخاطر الكثيرة الواضحة فى ادخال النشاط السياسى فى المعاهد التعليمية معروفة جدا لدى معاليكم . لقد جربت فوجدت انها عائقة لكل من التعليم الجيد والحكومة الجيدة . لهذا فان حكومة السودان قد ازعجها ان تجد ان ناظر مدرسة الملك فاروق لايحمل آراء مسيئة لهذه الحكومة فحسب بل يعبر عنها وينشرها على عامة الناس . وان هذا الانزعاج لم يقلل منه نشاط عضوين آخرين من هيئة التدريس فى المدرسة هما عبدالحميد افندى زيدان وعبده افندى صالح ، فكلاهما قد عبر عن مشاعر لاتتفق مع ماتعهدا به كأساتذة بأن لا ينغمسا فى الدعاية السياسية .

لذلك فانى أجد نفسى ، بكل أسف ، مضطراً ان أطلب من معاليك ان تعمل على نقل محمد عبد الهادى بك وعبد الحميد افندى زيدان وعبده افندى صالح الى وظائف فى بلد آخر غير السودان . وارجو كذلك ان اعبر لمعاليك عن أملى فى ان مدرسة الملك

فاروق ، بعد ابعاد هؤلاء سوف تتمكن من مواصلة مهامها الاكاديمية المعتادة دون ان تعوقها الشطحات السياسية .

وانتهز هذه الفرصة لاجدد لمعاليكم أكيد فائق تقديرى .

إمضاء ج . و . روبرتسون

نائب حاكم عـــام السودان . (١)

وقد حدث ما توقعت السفارة البريطانية حين حذرت حكومة السودان من الدخول فى خطابات رسمية توجه الى الحكومة المصرية فى هذا الموضوع . فلم يرد النقراشـــى باشا رئيس مجلس الوزراء على خطاب السكرتير الادارى الذى طلب فيه نقل محمـــد عبدالهادى وعبد الحميد زيدان وعبده صالح . ولما حان موعد بدء الدراسة فى المدرسة فى سبتمبر عاد عبد الحميد زيدان وعبده صالح الى الخرطوم لمباشرة عملهما فى المدرسة . وهنا تميز المستر روبرتسون نائب الحاكم العام من الغيظ . فان خطابه الذى بعث به الى رئيس الوزراء يطلب فيه ابعاد المعلمين الثلاثة قد اهمل وعاد اثنان منهم تحديا له واهمالا لرغبته . وما كان من المستر روبرتسون إلا ان يكتب مرة اخرى الى النقراشي باشا مشيرا الى خطابه السابق ومذكرا رئيس الوزراء بما ورد فيه من طلب بنقل أولئك المدرسين من الخرطوم ثم جدد طلبه مرة اخرى بنقلهم فورا من السودان . (٢)

وبعد فترة من إرسال ذلك الخطاب نقل عبد الحميد زيدان من مدرسة فاروق الثانوية وبقى عبده صالح فى مكانه . فاثـــار هذا التحرك البطىء غضب المستر روبرتسون وامر بطـــرد عبده صالح من السودان . وهكذا تدهورت العلاقة بين مصر وحكومة السودان حتى بلغت مبلغـــا خطرا من التوتر وعـــدم الثقة ، واخذت حـــكومة السودان تصدر قرارها فى أى موضوع بينها وبـــين الحكومة المصرية دون استشارة السفارة البريطانية فى القاهرة أو الحكومة المصرية ، بل انها تفعل ما تفعل ثم تطلب من وكيل حكومة السودان فى القاهرة ان يبلغ ما تصدر من قرارات لكل من السفارة البريطانية والحكومة المصرية لمجرد العلم .

بعث المستر روبرتسون بعد ايام قليلة من ارساله للخطاب الثانى بطلب نقل المعلمين

---

(1) SA/17.D.3. 28.8.1947

(1) SA/17.D.3. 24.9.1947.

من مدرسة فاروق الثانوية برقية الى وكيل حكومة السودان يخبره بانه أصدر أمرا يمنع محمد عبد الهادى وشيخ محمود خليفة مدرس الشريعة بكلية غوردون دخول السودان. ثم حذر أن أياً من هذين الرجلين اذا ظهر فى السودان سوف يقبض عليه ويعاد الى القاهرة مطرودا . بلغ وكيل حكومة السودان السفارة البريطانية نص البرقية الواردة من المستر روبرتسون ولكنه كتب صيغة أخرى بلغ بها محمد عبد الهادى وشيخ محمود خليفة حذف منها العبارة التى تؤكد انه سوف يقبض عليهما ويعادان الى القاهرة ان حاولا دخول السودان . (1) وعرف محمد عبد الهادى عن منعه دخول السودان من وزير المعارف المصرى .

لابد اذن للحكومة المصرية من التفكير فى شخص يكون خلفا لمحمد عبد الهادى الذى منعه الحاكم العام دخول السودان وأصر على قراره . ثم لم يرجع الحاكم العام فى اتخاذ هذا القرار الى السفارة البريطانية كما جرت العادة فى مثل هذه الاحوال . فهمت الحكومة المصرية انه قرار لارجعة فيه . ورأت الحكومة المصرية ان الفرصة مواتية وهى بصدد تعيين خلف لمحمد عبد الهادى ان تعيد النظر فى مهام مدير التعليم المصرى فى السودان وعلاقته بمدير المعارف فى السودان . فكانت الحكومة المصرية ترى ان يكون لمدير التعليم المصرى فى السودان مشاركة كاملة فى وضع السياسة التعليمية والتخطيط لها فى كل السودان . وكان من رأى حكومة السودان ان يقتصر مدير التعليم المصرى على الاشراف على المدارس المصرية فقط بل ان تكون تلك المدارس خاضعة لاشراف ومراقبة مدير المعارف فى حكومة السودان .

وفى هذه الاثناء حدث تغير كبير فى السياسة الداخلية للسودان . فكرت حكومة السودان فى وضع نظام جديد تقوم بموجبه جمعية تشريعية من السودانيين تساعد الحاكم العام فى التشريع لمستقبل السودان وحكمه . وسعت بريطانيا سعيا جادا لاقناع الحكومة المصرية بضرورة قيام تلك الجمعية . وقد انتهت المفاوضات بين مصر وبريطانيا بشأن الجمعية التشريعية إلى الاتفاقية التى ابرمها وزير خارجية مصر احمد خشبة وسفير بريطانيا المستر كامبيل Campbell فى مايو ١٩٤٨م . وقد خصص لمصر مقعدان فى المجلس

(1) SA/17.D.3. 29.9.1947.

التنفيذى فى هذا الاتفاق . (١) .

اقترحت الحكومة المصرية على حكومة السودان ان تكون العلاقة بين مدير التعليم المصرى ومدير المعارف فى السودان كالعلاقة بين جامعة فؤاد فى القاهرة وكلية غردون التذكارية فى الخرطوم . فكان لجامعة فؤاد ممثل فى مجلس كلية غردون يشارك فى وضع برامج الدراسة ويتحدث فى شئون الكلية المختلفة متى ما اتيحت له الفرصة لهذا . وحين عرضت الحكومة المصرية هذا الاقتراح على وكيل حكومة السودان استحسنه وكتب بما يرى فيه إلى الخرطوم . فمن رأيه انه اذا وجد الرجل المناسب فى وظيفة مدير التعليم المصرى فسوف تتاح له الفرصة لزيارة كثير من الاماكن فى السودان. وفى زياراته تلك سيواجه كثيرا من المشكلات التى ربما تحد من الافكار الخيالية التى تحملها وزارة المعارف المصرية عن نشر التعليم فى السودان بانشاء مدارس جديدة فى اماكن غير مناسبة . ثم اقترح هيزلدن وكيل حكومة السودان انه اذا ظهر ان الشخص الجديد سيء وغير متعاون فيمكن ان يرسل إلى اماكن نائية فى السودان العريض فتضيع جهوده سدى فى تلك الاصقاع . (٢)

وكانت الحكومة المصرية قد قررت انشاء مدارس جديدة فى مناطق عدة فى السودان وأرسل رئيس الوزراء المصرى رسالة إلى الحاكم العام بتاريخ ٢٧ر١٠ر١٩٤٨ م يعلن فيها ان الحكومة المصرية قررت فتح المدارس الآتية :-

١ - مدرسة ثانوية فى الابيض .

٢ - مدرسة ابتدائية فى كل من كسلا وبورسودان .

٣ - مدرسة ابتدائية فى كل من واو وبور فى جنوب السودان .

رد الحاكم العام على رسالة رئيس وزراء مصر مغضبا يقترح فيها على الحكومة المصرية ان تفتح حسابا لحكومة السودان تدفع ما عليها من دين بدل فتح مثل هذه المدارس التى تنوى فتحها . ولكن السفارة البريطانية فى القاهرة منعت تسليم الرسالة للحكومة المصرية بعد ان علمت من وكيل حكومة السودان بورودها اليه. وظلت تؤجل تسليم الرسالة

(1) K.D.D. Henderson, op. cit., p. 454.
(2) SA/17.D.3. 13.10.1949.

إلى ان سقطت حكومة النقراشي باشا وخلفه ابراهيم عبد الهادى . (١)

وتردت العلاقات بين مصر وبريطانيا مرة أخرى إلى هوة سحيقة من عدم الثقة والصراع . لم ترض الحكومة المصرية عن قانون الجمعية التشريعية. وتفاقم الامر فى داخل السودان حتى اصبح أى نوع من الصلة بالانجليز مدعاة للاحتقار وربما العقاب، كما جاء فى مذكرة السكرتير الادارى عن الوضع فى السودان .

"The answer seems to be that any one who dares to drink tea with us would loose his job"(2)

« يبدو ان اى شخص يجرؤ على شرب الشاى منعا سوف يفقد وظيفته » .

فى اواخر عام ١٩٤٩ م رشحت الحكومة المصرية محمد فريد ابو حديد ضابطا لشئون التعليم المصرى فى السودان خلفا لمحمد عبد الهادى بك . ولم تكن حكومة السودان سعيدة بترشيح محمد فريد ابو حديد ، فحاولت كثيرا ان تؤجل وصوله السودان . (٣) وكان من مهام محمد فريد ابو حديد ان ينفذ سياسة الحكومة المصرية من زيادة عـــدد المدارس المصرية فى السودان .

ما زالت حكومة السودان مصرة على ان تتجنب المدرسة المصرية كل ما يمس السياسة من قريب او بعيد وكثيرا ما حذرت ادارة المدرسة ومدرسيها من الخوض فى السياسة سواء أكان ذلك جهرا أم شيئا تبثه بثًا فى اثناء الدرس خشية رقابة مدير المعارف . وكانت الحكومة المصرية تتصدى فى كل ذلك لاعتراضات حكومة السودان متهمة اياها بمحاربة التعليم المصرى فى السودان ثـم تنكر أنها تسعى لنشر النفوذ المصري فى السودان عن طريق المدرسة او التعليم عامـة .

وكانت حكومة السودان قد طلبت نقل عبده صالح من المدرسة بعد ان نقل عبد الحميد زيدان. ثم لما ابطأ رئيس وزراء مصر فى الرد على الحاكم العام أعجله الحاكم العام ببرقية يطلب فيها ابعاد عبده صالح من الخرطوم . فارسل النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية برقية للحاكم العام بأن الأسباب التى أبداها فى برقيته بطلب ابعاد عبده صالح

(1) SA/52.A.2/2 p.32 30.3.1950.
(2) SA/52.A.2/9 p.34.
(3) SA/17.D.3. 4.11.1949.

لا تبرر طرده من السودان . وطلب النقراشي من الحاكم العام ان يعيد النظر فى طلبه بنقل عبده صالح . ثم رد الحاكم العام بانه سوف يعيد النظر فى الموضوع اذا تحقق شرطان :ــ

أولا :ــ ان يعده رئيس الوزراء المصرى بأنه سوف ينقل عبده صالح من المدرسة مستقبلا .

ثانيا :ــ ان يتعهد عبده صالح بوقف النشاط السياسى مستقبلا مهما كانت الظروف.

وافق النقراشى باشا على الشرطين اللذين اشترط الحاكم العام. وأمر وزير المعارف المصرى ناظر مدرسة فاروق الثانوية ان يبلغ عبده صالح انه يجب ان يمتنع عن الخوض فى السياسة ما أقام فى السودان . وقبلت حكومة السودان ان يبقى عبده صالح فى السودان ما دام ملتزما بما اشترط الحاكم العام ولكنه ظل مراقبا حتى ترك السودان . (١)

ما زالت حكومة السودان عند قرارها بمنع محمد عبد الهادى بك دخول السودان . فحين قابل السيد كامل سليم بك سكرتير مجلس الوزراء المصرى وكيل حكومة السودان فى موضوع ابعاد عبده صالح ابدى لوكيل حكومة السودان أسفه ان العلاقات بين حكومة السودان والحكومة المصرية قد بلغت تلك الدرجة من التدهور والسوء. وانه لا يفهم كيف تصر حكومة السودان على منع محمد عبد الهادى بك دخول السودان (٢)

وفى هذه الفترة يئست الحكومة المصرية من ايجاد لغة تخاطب بها حكومة السودان وفقد الود بين الحكومتين فقدانا لا أمل فى عودته . واتجهت الحكومة المصرية إلى السفارة البريطانية فى القاهرة تحاول ان تتخذها وسيطا وحكما بينها وبين حكومة السودان فى كثير مما ينشب من خلاف . ولعل من أسباب هذا الاتجاه ان الحكومة المصرية وجدت السفارة البريطانية أكثر استعدادا لتفهم السياسة التعليمية المصرية فى السودان . وليس من شك ان السفارة البريطانيةفى القاهرة أدرى بما يجرى فى مصر من مؤثرات فى السياسة المصرية . فكانت توازن وتقدر الظروف التى تعمل فيها الحكومة المصرية حين تعرض عليها خطة للتعليم فى السودان او زيادة عدد المدارس او تعيين شخص جديد فى وظيفة

---

(١) وصفت التقارير السرية التى كتبت عن نشاط عبده صالح بأنه خطيب يثير الناس ويتحدث عن السياسة فى مناسبة وغير مناسبة وفى حجرات الدرس حتى لو كان الموضوع عن رعاية الطفل .
SA/17.D.3. 2.11.47
(2) SA/17.D.3. 30.10.1949.

فى السودان. وكانت حكومة السودان على النقيض من هذا، شديدة فى مواقفها ومعارضتها للتعليم المصرى فى السودان . لا تقبل المناقشة ولا تثق فيما تقول او تعد الحكومة المصرية . فالسفارة البريطانية فى القاهرة متأثرة بما يحيط بها من ظروف ترى الضغط على الحكومة المصرية وتسمع المناقشات فى البرلمان المصرى وتقرأ الصحف . كل هذا يدعو الحكومة المصرية إلى المضى فى نشر التعليم والثقافة فى السودان . وان كل هـــذا يدعو السفارة البريطانية ان تقدر ما تعانى الحكومة المصرية من هذا الصراع المرير الذى يزيده التنافس بين الاحزاب حدة . فالاحزاب المعارضة تزايد احيانا وتبالغ فى مشروعاتها التعليمية فى السودان . وكان فى الطرف الآخر حكومة السودان فى الخرطوم التى ترى امام عينيها ما يفعل هذا التعليم المصرى مما تخشاه حكومة السودان .

فى عام ١٩٤٩م فكرت الحكومة المصرية التى كان يرأسها ابراهيم عبد الهادى ان تعيد محمد عبد الهادى مراقبا للتعليم فى السودان . وكان محمد عبد الهادى قد ندب لادارة التعليم الابتدائى فى مصر مع إحتفاظه بوظيفته كمراقب للتعليم فى السودان . وحين عزمت الحكومة المصرية على اعادة محمد عبد الهادى إلى عمله فى السودان اتصلت بالسفارة البريطانية لتبلغها رغبتها فى عودة محمد عبد الهادى إلى عمله فى السودان . وكان رأى السفارة الذى اخطرت به حكومة السودان ان يبقى الأمر سرا حتى تعلم السفارة رأى الحكومة المصرية فى قضية السودان ووضعه بصفة قاطعة . ثم اشارت مذكرة السفارة إلى ان من المحتمل ان يرفض محمد عبد الهادى العودة للسودان لسوء صحته وانه الآن مشغول ببحث عن نشاط الطلبة السودانيين فى مصر . (١) وهذا يحدث عن طبيعة هذا الصراع بين الحكومة المصرية وبريطانيا . فالحكومة المصرية لا تجد من وسيلة للصلـــة بالسودان تكسب بها السودانيين لفكرة وحدة وادى النيل سوى هذه الصلة الثقافية، وتريد السفارة البريطانية ان تحصل على بعض المكاسب من الحكومة المصرية فى موضوع المسألة السودانية قبل ان توافق على عـــودة محمد عبد الهادى فى منصبه للاشراف على التعليم المصرى فى السودان . والحق ان السفارة البريطانية كانت تامل أن تؤدى مثل تلك الأشياء الصغيرة إلى موضوعات كبيرة وتحاول ما استطاعت ان تثنى الحكومة المصرية عن تنفيذ خطتها للتوسع فى التعليم المصرى فى السودان بشتى الوسائل . (٢) .

(1) SA/52.A.2/2 p.6

(2) SA/52–A.2/2. Vol.11. 9th Feb. 1950, p.4

عاد حزب الوفد إلى الحكم عام ١٩٥٠ م برئاسة مصطفى النحاس باشا . فأتصلت حكومة الوفد بالسفارة البريطانية واوضحت لها ان على حكومة السودان ان تقبل عودة محمد عبد الهادى إلى عمله فى السودان . وقد حدث قبل هذا اتصال بين الحكومة المصرية ووزير خارجية بريطانيا صرحت فيه الحكومة المصرية برغبتها فى عودة محمد عبد الهادى إلى السودان،وطلب وزير خارجية بريطانيا من الحكومة المصرية ان تترك الامر كله للسفارة البريطانية فى القاهرة . وكان رأى السفارة البريطانية ان موضوع عودة محمد عبد الهادى إلى عمله فى السودان يجب ان يحصر فى نطاق ضيق بقدر الامكان خاصة ان العلاقات بين حكومة الوفد الجديدة وبريطانيا اخذت فى التحسن . ثم فسرت السفارة البريطانية اصرار حكومة الوفد على اعادة محمد عبد الهادى بأنها ارادت ان تبرهن للمصريين والسودانيين ان حكومة الوفد تستطيع ان تحقق ما عجزت عنه حكومة السعديين . (١) وينبغى ان تقيم المسألة وتوضع فى هذا الاطار الداخلى الذى يحكمه الصراع بين الأحزاب فى مصر . ثم اقترحت السفارة البريطانية فى القاهرة على وزير الخارجية ان ينصح حكومة السودان بقبول عودة محمد عبد الهادى إلى عمله خاصة أن وزير الخارجية المصرى قد وعد بأنه سوف يصدر اوامر واضحة لمحمد عبد الهادى بأن يبتعد عن السياسة وان يلزم حدود وظيفته التعليمية لا يحيد عنها قيد شعره (٢) .

وحين علمت حكومة السودان بما دار بين السفارة البريطانية فى القاهرة ووزير الخارجية والحكومة المصرية فى هذا الموضوع كتب المستر روبرتسون نائب الحاكم العام إلى وكيل حكومة السودان يوضح له ان أوامر الحاكم العام صريحة لا تقبل أى تأويل او مراجعة فى موضوع محمد عبد الهادى . انها تخص شخصا غير مرغوب فيه ولن يسمح له بدخول السودان حتى يعتذر عما فعل كتابة ويتعهد بأنه سوف يتعاون مع حكومة السودان تعاونا تاما . ثم طلب المستر روبرتسون من وكيل حكومة السودان ان يبلغ هذا للسفارة البريطانية حتى لا تأخذهم المفاجأة بما تقرر حكومة السودان فى هذا الموضوع . فان محمد عبد الهادى اذا حضر الى السودان سوف يعاد إلى القاهرة بأول طائرة بعد التى جاء فيها . (٣) .

(1) SA/52.A.2/2. 10.2.1950 p.8
(2) Ibid., p.11
(3) SA/52-A.2/2. 13.2.1950 p.10

افرد المستر روبرتسون مذكرة بعث بها إلى وزارة الخارجية البريطانية برأى حكومة السودان فى اعادة محمد عبد الهادى إلى عمله وما تعنيه بالنسبة لحكومة السودان .

يقول المستر روبرتسون فى مذكرته :

"To allow him to return would be a grave blow to us and a victory for the Egyptian propaganda ... we consider this appointment a deliberate attack on the Sudan Government which must be resisted if more are not to follow"(1)

ترجمتها :

« ان السماح له بالعودة ضربة قاضية لنا وإنتصار للدعاية المصرية . اننا نعتبر هذا التعيين هجوما مباشرا على حكومة السودان ينبغى ان يقاوم والا فسوف يتبعه كثير »

ثم زاد الاهتمام بالتعليم المصرى فى السودان حين أصبح الدكتور طه حسين وزيرا للمعارف عام ١٩٥٠ م . فاقت حماسة الدكتور طه حسين لنشر التعليم فى السودان كل تصور يمكن ان تكون عليه العلاقات الثقافية بين مصر والسودان . فقد كون طه حسين لجنة للعلاقات الثقافية بين مصر والسودان برئاسته وعضوية وزير الخارجية الدكتور محمد صلاح الدين . ونشرت الخبر صحيفة الاهرام بتاريخ ١٤ مارس ١٩٥٠ م .

كانت اللجنة على النحو التالى :—

وزير المعارف — رئيسا .

الاعضـــــاء :—

١ — وكلاء الدولة للتعليم .
٢ — وكيل الدولة للتعليم فى السودان .
٣ — سكرتير وزارة المعارف .
٤ — السكرتير العام لجامعة فؤاد .
٥ — مدير الثقافة .
٦ — ضابط الشئون الاسلامية لرئاسة مجلس الوزراء .
٧ — عميد معهد الشئون السودانية .
٨ — المفتش العام للتعليم المصرى فى السودان .

(2) Ibid, p. 14 22.2.1950

٩ ــ ممثل لمؤتمر الخريجين .
١٠ ــ الدكتور محمد صلاح الدين بك وزير الخارجية .
١١ ــ عبد القوى باشا احمد .
٢٢ ــ فؤاد باشا اباظة .
١٣ ــ حامد بك سليمان وكيل وزارة الأشغال .
١٤ ــ عبد الله بك اباظة وكيل وزارة التجارة .
١٥ ــ شيخ حسن مأمون القاضى الاكبر سابقا فى السودان (١)

ويبدو ان حكومة ابراهيم عبد الهادى الذى خلف النقراشى باشا قد أزالت بعض مخاوف الانجليز خاصة فى لندن عن دوافع مصر فى نشر التعليم فى السودان فكتبت صحيفة الاهرام: ان وزير المعارف الدكتور طه حسين مستمر فى بحث توسع التعليم المصرى فى السودان وأن الدوائر البريطانية فى القاهرة ولندن مقتنعة بجهود مصر فى هذه الناحية بعد ان تأكد عندها ان الحكومة المصرية مصممة على ان يكون هذا التوسع فى التعليم بعيدا عن السياسة مقصورا على الاغراض التعليمية البحتة . ثم تضيف الاهرام « ويبقى ان تفهم الدوائر البريطانية فى الخرطوم نوايا مصر فى هذا » (٢) وقد حدد يوم ١٦ مارس ١٩٥٠ موعدا لعقد اجتماع اللجنة الثقافية لتبحث عدداً من الموضوعات التى تتعلق بالبعثات الداخلية والخارجية للسودان وموضوع بيوت الطلبة السودانيين فى مصر .

وكان الدكتور طـه حسين اشـد اصرارا وحرصا من كل سابقيه على تعيين محمد عبد الهادى واعادته لمنصبه فى السودان . فكتب وكيل حكومة السودان المستر هيزلدن بعد لقاء عاصف مع الدكتور طه حسين :

"The fact of the matter is that you cannot deal with a blind man in the same way that you deal with a man who can see you. You have to be determined, and rude if nccessary, to get him to listen to you."

« الحقيقة انك لا تستطيع ان تتعامل مع رجل أعمى كما تفعل مع من يراك . ففى الأولى ينبغى ان تكون مصمما ووقحا اذا دعا الامر لتجعله يصـــغى اليك » (٣) فكان السكرتير الادارى قد عاتب المستر هيزلدن على تقصيره وعجزه عن اقناع الدكتور طه

(1) SA/52.A.2/2. 14.3.1950 p.17
(2) Ibid, 16.3.1950. p.18
(3) Ibid, 28.3.1950. p.29

حسين برأي حكومة السودان، فلم يجد وكيل حكومة السودان عذرا سوى ان طه حسين مختلف عن غيره بالعمى. وهذا كما ترى جهل بطه حسين وجهل بالقضية كلها ثم هو عذر اقبح مما اعتذر عنه .

وكان رأى المستر هيزلدن انه من الصعب جدا ان لم يكن من المستحيل تغيير قرار وزير المعارف المصرى باعادة محمد عبد الهادى إلى عمله بعد ان ذاع الخبر وانتشر فى كل مكان. وكتبت جريدة «المصرى» بالخط العريض بتاريخ ٢٤ مارس عن العوائق التى تضعها بريطانيا فى طريق عودة محمد عبد الهادى . ثم اقترح هيزلدن ان تضاف شروط جديدة تنص على ضرورة تعاون محمد عبد االهادى مع السلطات فى السودان فى اختيار الطلبة السودانيين الذين يرغبون فى الدراسة فى المدارس المصرية، وان تشرف حكومة السودان على تلك المدارس . وهذه من الشروط التى تقدمت بها حكومة السودان للحكومة المصرية فى الاتفاقية الاولى التى ترى حكومة السودان إنشاء المدرسة بموجبها (١) وعلى اثر هذا كتب السكرتير الادارى إلى وكيل حكومة السودان يطلب منه مقابلة وزير المعارف المصرى لبيلغه موافقة حكومة السودان على عودة محمد عبد الهادى إلى عمله فى السودان بتلك الشروط التى ذكرها آنفا ، كما طلب منه ان يؤكد لوزير المعارف أن اى اخلال بهذه الشروط سوف يضطر حكومة السودان إلى اتخاذ قرار باعادة محمد عبد الهادى إلى القاهرة فورا . (٢)

وهكذا غادر محمد عبد الهادى القاهرة إلى الخرطوم مديرا للتعليم المصرى فى السودان يوم ٢٧ر٤ر١٩٥٠ م بعد صراع مرير بين حكومة السودان والحكومة المصرية . وقد رفض محمد عبد الهادى ان يلتزم بالشروط التى فرضتها حكومة السودان ولكن حرص السفارة البريطانية على تفادى المواجهة مع الحكومة المصرية والأمل فى استمرار التعاون معها جعل حكومة السودان تكتفى بتعليمات شفوية تصدرها الحكومة المصرية لمحمد عبد الهادى عند قيامه إلى السودان، اهمها التعاون مع السلطات فى السودان. ولم يتقيد محمد عبد الهادى كثيرا (٣) بتلك الشروط التى افترض فيها ان تحكم تصرفه من حيث قبول الطلبة السودانيين فى المدارس المصرية او البعثات المصرية للطلبة السودانيين .

---

(1) SA/52.A.2/2. 25.3.1950, p.25
(2) SA/52.A.2/2. 11.4.1950, p.118
(٣) علق محمد عبد الهادى على هذا حين قرأته عليه بأنه لم يتقيد لا كثيراً ولا قليلا .

المرحلة الحاسمة

احتدم الصراع وزادت حدته بين الحكومة المصرية وحكومة السودان فى هذه الفترة على الرغم من مظهر التعاون الذى ألمحنا اليه بين مصر وبريطانيا بعد ان تولت حكومة ابراهيم عبد الهادى الحكم فى مصر . نشطت الاحزاب فى كــل من مصر والسودان وتدفقت التبرعات من مصر على الهيئات والصحف والافراد فى السودان، وكانت أكثر تلك الاموال تدفع عن طريق الرى المصرى فى الخرطوم . وكانت تدفع تلك التبرعات للافراد او الهيئات التى تحمل افكارا تعادى الحكم البريطانى فى السودان وتدعو الى الوحدة مع مصر ، فمنها نادى العمال فى امدرمان الذى دفع للجنته مبلغ ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف من الجنيهات ،واخذت جريدة الأشقاء ٤٠٠٠ اربعة آلاف : منها الفان من وزارة الشئون الاجتماعية والف من الوفد المصرى والف من اتحاد الصحافة المصرى (١) وتأتى هذه الأموال اعانة للمساجد فى شتى انحاء السودان فى امدرمان وسنار ونورى وشندى وبربر . (٢) .

فى اواخر عام ١٩٥٠ م فكرت الحكومة المصرية فى مساعدة المدارس الاهلية التى أنشاها بعض الافراد السودانيين لنشر التعليم فى السودان بجهود ذاتية . فخصصت الحكومة المصرية فى ذلك العام ٣٥٠٠٠ خمسة وثلاثين الفا من الجنيهات فى الميزانية اعانة للمدارس الاهلية فى السودان . وقد نشرت هذا الخبر صحيفة « المؤتمر » ثم نقله وكيل حكومة السودان إلى الخرطوم (٣) .

وكانت حكومة السودان ترفض كل اعانة من مصر للمدارس الاهلية . فحاولت ان تقنع الحكومة المصرية بأن تلغى تلك المساعدة ولكن الحكومة المصرية مضت فى خطتها لمساعدة المدارس الاهلية . واتخــذت حكومة السودان قرارا يقضى بدفــع اعانة مالية

(1) SA/52.A.2/2. p. 52

(2) Ibid. p.50 24.4.1950.

يرى محمد عبد الهادى ان هذه المعلومات غير صحيحة وقد اخذتها من الملفات السرية التى تركها الا نجليز فى وكالة حكومة السودان بعد الاستقلا ل .

(3) Ibid, p. 100 5.10.1950

للمدارس الاهلية منذ ذلك التاريخ حسبت انـــه سيكون عوضا عن الاعانة التى تدفعها الحكومة المصرية لتلك المدارس . فأن حكومة السودان تعتبر المساعدة المصرية للمدارس الاهلية امتداداً للنفوذ المصرى وبسطا لسيطرتهم على السودان ودعاية للوحدة بين مصر والســـودان .

وقد استبد بالمستر هيزلدن اليأس من كسب محمد عبد الهادى واغرائه بالتعاون مع الوزارة فى السودان كما وعدت الحكومة المصرية ووجهت محمد عبد الهادى حين عودته إلى السودان . وكان وكيل حكومة السودان اشد يأسا من اقناع الدكتور طه حسين وزير المعارف ، فكتب إلى الخرطوم :

The fact remains that hardly any one in Egypt pays attention to argument about the Sudan affairs, however reasonable. Persons will only act under threats, and you in Khartoum must prepare the threats.(1)

« الحقيقـــة ان لا أحد فى مصـــر يستمع إلى اى حجة مهما كانت معقولة عن شئون السودان . فـــأن الناس لا يعملون الا بالتهديد فعليكم فى الخرطوم ان تعـــدوا التهديدات » .

اتهمت حكومة السودان محمد عبد الهادى مراقب التعليم المصرى فى السودان بانه ظل يغرى الطلبة السودانيين فى كلية غردون فيخرجهم منها ليلتحقوا بالجامعة المصرية فى القاهرة (٢) وكانت حكومة السودان تظن انه كلما ازداد عدد الطلبة السودانيين فى مصر ازداد انصار الوحدة بين مصر والسودان . ولعل كثيراً من المصريين والسودانيين كانوا يتوقعون هذه النتيجة ويحسبون هذا الحساب ، ولكن الطلبة الذين وفدوا الى مصر فى أواخر الاربعينات انفتحت امامهم آفاق جديدة ، اطلعوا على افكار جديدة وتعلقوا بنظريات شغلتهم عن تلك الاشياء التى كانت تشغل السياسيين فى كل من مصر والسودان . تطلعوا الى شيء أكبر ، الى ثورات جذرية تقلب الحياة رأسا على عقب وتحدث التغيير الذى يعجل بتحقيق الأحـــلام . فمنهم من عكف على الدراسات الأشتراكية ، فـــأن كتباً كثيرة صدرت فى تلك الفترة عن هذا المذهب الجديد الذى ملأ الدنيا وشغل الناس . وفريق استهوته الدراسات الاسلامية فانكب عليها لايكاد يلتفت الى غيرها . وظهر هذا

(1) SA/52.A.2/2. 30.7.1951.p.122.

(٢) نفى محمد عبد الهادى هذه التهمة وأكد ان الطلبة كانوا يتدفقون على مصر دون اغراء أو تشجيع .

كله فى نشاط سياسى كبير فى كل من مصر والسودان .

ولم تكن الحكومة المصرية سعيدة بهذا النشاط الطلابى الذى انطلق بحماسة الشباب ودوافع العقيدة فانقلبت عليهم تراقب نشاطهم وترصد حركاتهم .

فلما احست الحكومة المصرية بهذا النشاط الذى اخذ يجتاح الشباب من الطلبة السودانيين قررت ان تبحث الأمر فى اجتماع لجنة العلاقات الثقافية بين مصر والسودان التى كونها الدكتور طه حسين ابان توليه وزارة المعارف . ثم قدمت اللجنة تقريرا وافيا عن طبيعة هذا النشاط بين الطلبة ومداه وسط الطلبة السودانيين بخاصة فى بيوت الشباب .

وكان وكيل حكومة السودان اشد حرصا على مراقبة ذلك النشاط السياسى بين الطلبة السودانيين . وكان للوكالة مخبرون يأتونها بما تطاب من اسرار الحكومة فاتاها احدهم بنسخة من التقرير الذى وضعته لجنة العلاقات الثقافية بين مصر والسودان عن نشاط الطلبة السودانيين واتجاهاتهم السياسية . فكتب المستر هيزلدن وكيل حكومة السودان الى السكرتير الادارى بملخص لأهم ما ورد فى التقرير :

"Among the students living in the Sudan houses is a group who has taken to the serious study of communism. Some of them have begun to spread its doctrines and to stir up trouble among their companions and the authorities in charge of their affairs ... the matter has grown so serious that it has damaged the reputation of the hostels and has led to many problems and difficulties, so that the responsible authorities spend their time in dealing with these matters, and are prevented from promoting the purposes for which these hostels were designed ... on this account the hostel's, administration regard positive action to reform the hostels and to eradicate the disturbing influences as essential."(1)

«هنالك جماعة من الطلبة الذين يسكنون فى بيوت السودان اخذت نفسها بجد فى دراسة الشيوعية. فبعضهم بدأ ينشر تعاليمها ويثير المتاعب بين زملائهم من الطلبةوالمسؤولين والمشرفين على شئونهم . وان الامر قد أصبح خطرا فاساء الى سمعة البيوت وادى الى مشكلات ومصاعب جعلت المسئولين ينفقون وقتهم يعالجون تلك المشكلات الأمر الذى منعهم تحقيق الاغراض التى من اجلها انشئت تلك البيوت . . . . ومن اجل هذا فان ادارة البيوت تعتبر أنه اصبح من الضرورة اتخاذ اجراء لاصلاح البيوت واقتلاع المؤثرات المثيرة فيها .

(1) SA/52.A.2/2. 29.4.1950, p.57

فمن الطلاب من دخل السجن ومنهم من عاد الى السودان وآخرون بقوا فى القاهرة يواصلون نشاطهم سرا (١).

وكانت الكليات والمعاهد فى مصر قد درجت على ارسال عدد من طلبتها الى السودان فى زيارات يتعرف فيها الطلاب على السودان ثم يعودون . ولكن فى اوائل الخمسينات قد بلغ الصراع العقائدى فى مصر مبلغا خطرا حتى ان الطلبة المهتمين بالسياسة كانوا يفضلون البقاء فى مصر لمواصلة النضال على الذهاب فى زيارة للسودان .

يقول وكيل حكومة السودان عن هؤلاء الطلبة :

Politically minded students will be more inclined to train for guerilla warfare than to go to the Sudan. So any who do apply to go to the Sudan are likely to be sensible.(2)

« ان الطلبة المشغولين بالسياسة يفضلون البقاء فى مصر للتدريب على حرب العصابات على الزيارة للسودان . لهذا فان الطلبة الذين يتقدمون بطلب لزيارة السودان هم طلبة معتدلون » .

وعلى الرغم مما ذكره وكيل حكومة السودان فقد طلب منه السكرتير الادارى ان يفعل كل ما يستطيع لمنع هؤلاء الطلبة المعتدلين زيارة السودان (٣) وكان اشفاق حكومة السودان من زيارة الطلبة المصريين للسودان لايعادله الا خشيتهم من زيارة الطلبةالسودانيين لمصر وان تغيرت الاسباب واختلفت مصادر الخوف . فكانت حكومة السودان تعلم عن نشاط الطلبة المصريين والسودانيين الذى انصرف الآن عن مسألة الوحدة بين مصرالسودان واتجه اتجاهاً آخر تعده كل من الحكومة المصرية وحكومة السودان أشد خطراً على الطلبة. ولما كان هذا النشاط أعمق واوسع فى مصر حرصت حكومة السودان ان تمنع الطلبة السودانيين من الذهاب الى مصر حتى لايتأثروا بتلك الافكار التى اخذت تظهر فى مصر.

كتب وكيل حكوىة السودان عن هذا يقول :

"The other controllers of the Sudan affairs have no more scruples than the King's private secretary. All three know now that bringing Sudanese students to Egypt makes no converts to the "unity with Egypt's party"; but merely

(1) K.D.D. Henderson, OP.Cit., p. 452.
(2) SA/52–A–2/9. 4.1.1952. p.208
(3) Ibid, p.210

exposes them to all sorts of harmfull influences. But they could not care less. In any case I should like to see our own ministry more aggressive." (1)

« ليس عند القائمين على شئون السودان من الضوابط أكثر مما عند سكرتير الملك الخاص . فان ثلاثتهم يعلمون ان مجيء الطلبة السودانيين الى مصر لايجعل منهم انصارا للوحدة مع مصر بل يعرضهم لشتى أنواع المؤثرات الضارة . ولكنهم لايهتمون بذلك. وعلى اى حال أرجو ان أرى وزارتنا أكثر حدة » .

ثم اخذت حكومة السودان تراقب نشاط الطلبة السودانيين فى مصر بعد ان اطلعت على التقارير الواردة اليها من وكيل حكومة السودان فى القاهرة . فكتب وزير المعارف خطابا للسيد محمد عبد الهادى مراقب التعليم المصرى فى السودان يطالب فيه المعلومات الآتيـــة :ـ

١ ـ كشف بالاعانات التى دفعتها الحكومة المصرية للمدارس الاهلية فى السودان منذ سبتمبر عام ١٩٥٠م .

٢ ـ تقرير عن تقدم الطلبة السودانيين فى الدراسة فى كل المعاهد والكليات فى مصر وخارجها خاصة أولئك الطلبة الذين ارسلوا فى بعثات الملك فاروق الى الاقطار الاوربية .

٣ ـ تقرير مفصل عن الحالة الاجتماعية للطلبة السودانيين الذين يدرسون فى الازهر(٢) .

وبعد ان اطلع محمد عبد الهادى على خطاب الوزير قرر ان يذهب الى القاهرة للتشاور مع المسئولين هناك وغادر الخرطوم يوم ٢٢ سبتمبر عام ١٩٥١م . وليس من شك ان الحصول على مثل هذه المعلومات لايستدعى سفر محمد عبد الهادى الى القاهرة بنفسه ولكن يبدو انه احس بان حكومة السودان تراجع سياستها عن التعليم المصرى فى السودان. فلابد له من الذهاب وعرض الموضوع بكل جوانبه التعليمية والسياسية على الحكومـــة المصرية .

ولم يمض على مغادرة محمد عبد الهادى شهر حتى قررت حكومة السودان منعه دخول السودان لاسباب تتعلق بالأمن . ففى يوم ٨ أكتوبر بلغ وكيل حكومة السودان فى القاهرة وكيل وزارة المعارف المصرى :

(1) SA/52.A.2/2. 30.7.1951.
(2) AS/52.A.2/2 11.9.1951, p.127

« اتشرف بافادة سعادتكم بانني كلفت من معالى الحاكم العام ان اطلب منكم ان تتكرموا بتبليغ صاحب العزة محمد عبد الهادى بك ألا يعود الى السودان فى الوقت الحاضر وذلك لاسباب تتعلق بالامن العام » (١)

ولكن محمد عبد الهادى أصر على العودة الى السودان متحديا قرار الحاكم العام. فاستقل الطائرة يوم ٢٠ أكتوبر قاصدا الخرطوم . وفى مطار الخرطوم استقبله مدير البوليس وبلغه أوامر الحاكم العام بمنعه دخول السودان . وروى لى محمد عبد الهادى أنه وجد طائرة قد اعدت لنقله فورا عائدا الى القاهرة، وسأل محمد عبد الهادى مدير البوليس ان كان هو تحت الاعتقال الآن ام يستطيع ان يتحرك وحده . فأجاب مدير البوليس بأنه ليس معتقلا ولكن لن يتحرك الا نحو الطائرة التى اعدت لنقله الى القاهرة ! وعاد محمد عبد الهادى فى نفس اليوم الذى وصل فيه الخرطوم الى القاهرة مرة اخرى . (٢) وقد أذيع هذا الخبر ونشر فى كل الصحف التى تصدر فى مصر .

وينبغى ان ننظر الى هذا كله فى ضوء الأحداث التى كانت تجرى فى داخل السودان ثم رد الفعل الذى يحدث فى مصر . فى نوفمبر عام ١٩٥٠م اعلنت الحكومة المصرية انها تنوى الغاء اتفاقيتى ١٨٩٩و١٩٣٦م وطالبت بوحدة وادى النيل بين مصر والسودان تحت التاج المصرى . وازعج هذا الاعلان اعضاء المجلس التشريعى فى الخرطوم فطالب اعضاؤه باعلان الحكم الذاتى للسودان . وفى مارس عام ١٩٥١م عين الحاكم العام لجنة من الانجليز والسودانيين لتنظر فى الخطوات الدستورية التى يمكن ان تؤدى الى الحكم الذاتى للسودان . وزاد قلق الحكومة المصرية فاعلن النحاس باشا رئيس الوزراء فى آكتوبر ١٩٥١م الغاء اتفاقيتى ١٨٩٩م و١٩٣٦م ثم اعلن فاروق ملكا على مصر والسودان . (٣)

فى صيف ١٩٥٢م دعا الهلالى باشا رئيس وزراء الحكومة المصرية زعماء حزب الامة وجبهة الاستقلال الى القاهرة للتفاوض معهم بشأن قضية السودان وتقرير مصيره . وكانت الحكومة المصرية قد اقترحت بعض الاقتراحات التى تراها حلا للمشكلة وحسما

---

(1) AS/352.A.2/2. 18.10.1951. p.131

(٢) فى مقابلة مع محمد عبد الهادى فى مكتبى بسفارة السودان بالقاهرة ٢١ مارس ١٩٧٤م .

(3) P.M. Holt, op. cit, p. 155–57

لقضية طال عليها الأمد بين مصر وبريطانيا من ناحية وبين السودانيين والمصريين من ناحية أخرى . اقترحت الحكومة المصرية :

١ ــ ان يقبل السودان بشكل مؤقت فقط ان يكون تحت التاج .

٢ ــ نتيجة لقبول السودان بالنقطة السابقة ، تتعهد مصر باقـــرار اى دستور يضعـــه السودانيون على ان تؤجـــل مسألة السيادة الى ان تقر بالاستفتاء العام سواء قرر السودانيون الاستقلال ام الاتحاد مع مصر .

٣ ــ سوف تحدد مصر تاريخا معينا للحكم الذاتى والاستفتاء وفقا لارادة السودانيين ثم توافق مصر فى الوقت نفسه على ترك الوضع الراهن كما هو . (١)

رفض حزب الامة وجبهة الاستقلال تلك الاقتراحات التى تقدمت بها مصر . واكبر الظن ان الاحزاب الاخرى لم تدع لهذا الاجتماع لانه لم يكن بينها وبين مصـــر خلاف فيما اقترحت . فكان هم الحكومة المصرية ان تقنع حزب الامة وجبهة الاستقلال بما تراه حلا للمشكلة . ولكن قبل ان يعود الوفد الذى اتى للقاهرة للتفاوض مع الحكومة المصرية استولى الضباط الاحرار على السلطة فى مصر وخلعوا الملك فاروق فأكمل الوفد مفاوضاته مع النظام الجديد بفكر جديد وفى ظروف جديدة .

ظل حكام مصر يطالبون الانجليز بالمشاركة الفعلية فى حكم السودان وادارة شئونه منذ ان اعيد فتح السودان فى اواخر القرن الماضى. وظلت بريطانيا تراوغ وتنفرد بالحكم والادارة فى السودان وتسعى لابعاد مصر عن السودان كما رأينا فى الفصول السابقة. وجاء حادث مقتل سير لى استاك حاكم عام السودان وما عقب ذلك من ثورة ١٩٢٤م فى السودان فاتخذت بريطانيا تلك الاحداث ذريعة للانفراد بحكم السودان انفرادا كاملا. وكم من مرة حاول حكام مصر اعادة الوضع الى ماكان عليه قبل ذلك فلم يمكنهم وعاد النحاس باشا ومكرم عبيد من لندن عام ١٩٣٠م بعد مناقشات مضنية مع الانجليز دون الوصول الى اتفاق بشأن قضية السودان . واستمر حكام مصر يطالبون بحقهم فـــى السودان ذلك انهم فهموا ان السودان قد استعيد فتحه لمصر وليس لانجلترا ولم يطرأ تغيير يذكر فى هذا الفهم بين السياسيين المصريين بصفة عامة الا فى الاربعينات. وهو تاريخ

(١) محمد احمد محجوب ، المصدر السابق ، بيروت ١٩٧٣م ص ٥١ .

ظهور الاحزاب فى السودان ومؤتمر الخريجين الذى تفرق اعضاؤه فى تلك الأحزاب آخر المطاف . أصبح المصريون فى الاربعينات يتحدثون عن ثورة مصر والسودان واتحاد وادى النيل حين كانوا فى الماضى يتحدثون عن حق مصر فى السودان ، فكتب مكرم عبيد فى مقدمة لكتاب وضعه جلال الدين الحمامصى عن السودان عام ١٩٤٥م :

«ولعل اخواننا السودانيين يعذروننا اذا كنا حتى الآن قد اغفلنا العناية بهم وبشئونهم فلقد اغفلنا من قبل العناية بأنفسنا ... ولم نحس نفوسنا حية فينا الا حينما نهضنا نطالب بحرية بلادنا فاحسسنا ان لنا وطنا نحيا فيه ويحيينا ... وكان طبيعيا ان يتجه شعورنا الوطنى بادىء الامر الى وطننا الصغير — مصر — كما يتجه حب الفرد أولا لاسرته أو القروى الى قريته . ثم تطورت بنا الوطنية وامتدت الى وطننا الكبير — وادى النيل — فاذا بنا نحب السودان للسودان بعد ان كنا نحب السودان لمصر » . (١)

وكان كتاب الحمامصى كله يدور حول هذه النقطة : انه ينبغى على مصر ان تكف عن الحديث عن حق مصر فى السودان وان تبدأ سياسة جديدة يكون هدفها الاتحاد بين البلدين :

«ان على المصرى ان يعلم اليوم ان المسألة لم تعد حق مصر فى السودان ولم تعد مسألة علاقات تاريخية ربطتنا بهذا البلد الشقيق . اذ انه مامن بريطانى مسئول الا ويتمنى ان يردد شعب مصر هذه الكلمات والمبادىء وان يطلقها قوية حاسمة ليتخذ منها دعامة لدعايته هناك وما من سودانى يستمع الى هذه المبادىء الا وينفر من التفكير فى ان يسعى الى مصر يتخذها « وحدها » أو مع « غيرها » زميلا فى السراء والضراء فليكن اذن الأساس الاول لسياستنا الجديدة نحو السودان حكومة وشعبا ان نتناسى هذه المبادىء العتيقة البالية وان نشعر هذا الشعب الذى يتطلع الى مصر بقلب نابض يفيض بالحب اننا لا ننظر اليه نظرة صاحب الحق فى ارضه ووظائفه وقوته » (٢)

وكثيرا ما شكا السودانيون قبل هذا من جهل اخوانهم المصريين باحوال السودان واهمالهم لما يجرى فى السودان . فاذا وفد وفد من الشبان السودانيين الى مصر لم يجدوا من المسئولين ما يتوقعون من فهم لوضع السودان ومن اهتمام بهم . وقد ادى هذا الى خيبة

(١) جلال الدين الحمامصى ، ماذا فى السودان ، القاهرة ١٩٤٥ ص ١ .

(٢) المصدر السابق ص ٦١ .

أمل كثير من هؤلاء الشبان المندفعين نحو مصر . ولعل عرفات محمد عبد الله رئيس تحرير مجلة الفجر فى الثلاثينات كان من هؤلاء الشبان الذين عانوا من هذا الاهمال . حدثنى الدرديرى أحمد اسماعيل مصدقا لهذا بأنهم لم يجدوا من المسئولين اهتماما بالقدر الذى كانوا يأملون وهم اشد حماسة لقضية الوحدة بين مصر والسودان . وقد غير هذا مشاعر بعض السودانيين الذين كانوا يدعون للوحدة مع مصر . وقد سأل جلال الدين الحمامصى فى زيارته للسودان فى عام ١٩٤٥م بعض السودانيين عن هذا فأجابوا : (اننا اذا ذهبنا الى مصر فاننا نذهب وكلنا رغبة فى الاتصال بالرسميين للاستماع الى توجيهاتهم ولكن بدلا من ان نجد ما نشبع به هذا الحماس صدمنا بسؤال واحد هو : ماذا تريدون ؟ (١)

وجاءت ثورة ٢٣ يوليو استمرارا لتلك السياسة الجديدة التى نادى بها مكرم عبيد وجلال الدين الحمامصى فى كتابه . يقول محمد احمد محجوب وقد شهد وقوع الثورة فى مصر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م حين أتى للقاهرة لينضم الى الوفد السودانى من حزب الامة وجبهة الاستقلال للتفاوض مع الحكومة المصرية:

«اصبح واضحا ان سياسة جديدة أخذت تظهر فى مصر تجاه مشكلة السودان وانعكس ذلك بصورة لها مغزاها فى الصحف المصرية . فى الماضى كانت جبهة الاستقلال ممنوعة من اى فرصة لنشر وجهة نظرها أو ايضاحها فى الصحف المصرية، فقد كانت قضية الاستقلال فى نظرهم غير شرعية يشجعها الخائنون واعوان الاستعمار . اما الآن فقد تغير الموقف واعطينا مجالا لمقالاتنا التى تدافع عن قضية الاستقلال السودانى وتؤكد ان العلاقات الحسنة ستستمر بين مصر المستقلة والسودان المستقل » (٢)

وقد اندفعت الحكومة المصرية فى تأييد حقوق السودانيين فى تقرير مصيرهم بطريقة اقلقت الانجليز واقترحوا تعديلات واضافات فى مسودة الحكم الذاتى التى وضعها المجلس التشريعى كى تعجل بتقرير المصير . وكسبت الحكومة المصرية بهذه السياسة الجديدة ثقة السودانيين بمختلف احزابهم وأدى هذا الى توقيع اتفاقية فبراير ١٩٥٣.

ولم يجد السودنيون صعابا كبيرة فى الاتصال بهؤلاء القادة الجدد أو التفاهم معهم

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢

(٢) محمد احمد محجوب ، المصدر السابق ، ص ٥٢

فيما يريدون من علاقة بين مصر والسودان . فان الثورة المصرية جاءت بأفكار جديدة عن الاستقلال والحرية، وكانت علاقتها بالسودان لاشك متأثرة بهذه النظرة الجديدة . فان تطلع قادة الثورة الى وحدة بين مصر والسودان فانها وحدة الاشقاء وعلاقة الند للند وليست وحدة يسود فيها القوى على الضعيف أو سيادة بحق الفتح والاحتلال كما كان يظن كثير من المصريين قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م . وحين تبين لقادة الثورة المصرية ان السودانيين يفضلون الاستقلال مع الحفاظ بصلة الود والصداقة مع مصر اعلنوا تأييدهم لما يراه السودانيون وظلوا يأملون فى الوحدة الكبرى لكل الدول العربية والسودان واحد منها .

واستمرت العلاقات الثقافية بين مصر والسودان فى تقدم مطرد ونمو يزداد عاما بعد عام . فقد زالت الشوائب والمخاوف التى كانت تعوق تلك العلاقات قبل تقرير المصير . واصبح السودانيون يرون فى المدارس المصرية عونا على انتشار التعليم والثقافة ولم تعد ضربا من النفوذ المصرى كما كان يحسبها الانجليز وبعض السودانيين فى الماضى . فأن كان من حزب يؤيد مصر فلن يتعد هذا التأييد حسن العلاقات وتبادل المصالح المشتركة اما الوحدة فقد انتهى أمرها بان اختار السودانيون الاستقلال . ولكن الصراع الحزبى الذى منى به السودان قبيل الاستقلال وبعده كاد يعيد الى الاذهان الصراع القديم حول طبيعة العلاقات بين مصر والسودان . هذا من الناحية السياسية اما من جانب الثقافة والتعليم فقد استمرت العلاقات فى صعود حتى توجت بانشاء جامعة مصرية فى الخرطوم عام ١٩٥٥م .

كلية غردون التذكارية

بعد ان استولى اللورد كتشنر على الخرطوم ورفع العلمين الانجليزى والمصرى على سارية علت القصر الذى قتل فيه الانصار غردون باشا ، عاد الى انجلترا مزهوا فخورا بما حقق من انتصار ، وما اخضع من بلاد كانت شقت عصا الطاعة على بريطانيا العظمى وقتلت قائدا من أعظم قوادها . فأن الانصار حين حاصروا الخرطوم واندفعوا بحماسة المؤمنين نحو القصر الذى اشرف على شاطىء النيل الازرق لم يمهلوا غردون باشا كثيرا ، فتسوروا القصر وقضوا عليه قبل ان ترد اليهم الاوامر من المهدى بأسره وارساله اليه . كانت اذن الحملة التى قادها اللورد كتشنر حملة منتقم توافرت له من اسباب القوة مالم يتوافر لمن يحارب من هؤلاء الانصار الذين بذلوا ارواحهم وابلوا احسن البلاء ولكن خذلتهم تلك القوة المادية التى انتصر هو عليهم بها .

عاد اللورد كتشنر الى انجلترا ليقضى وقتا يرتاح فيه ، وليقدم تقريرا الى حكومته عن تلك الاحداث الجسام التى جرت ، وعن المقاومة التى لاقى ، بل لابد ان يعرض خطة كاملة للطريقة التى يحكم بها البلاد . وليكن التعليم من تلك الموضوعات التى ينبغى ان تشغل بال اللورد لأن تركها دون تخطيط ربما أدى الى نتائج وخيمة. ففكر كتشنر فى تأسيس كلية ، هى فى الحق مدرسة ثانوية ، تحمل اسم غردون باشا وتخلد ذكراه وتكون نواة للتعليم الانجليزى فى السودان . وأراد كتشنر ان تأخذ هذه الكلية طابعا غير رسمى ، بان يشترك الشعب البريطانى فى تأسيسها ، واستغل عاطفة الشعب الذى صورت له الصحافة أنه فقد بطلا من أشجع أبطاله وفارسا من أقوى فرسانه ، وقائدا مخلصا مات فى سبيل الامبراطورية العظيمة . دعا كتشنر الشعب البريطانى للتبرع لبناء تلك الكلية التى سوف تبقى شاهدا على مصرع البطل وتخليدا لما بذل وأدى وضحى .

هكذا أُنشئت كلية غردون فى بداية هذا القرن ، وبعد احتلال السودان مباشرة . وبدأت بالمراحل التعليمية من المراحل الابتدائية الى المرحلة الثانوية. فكان عدد الطلاب فيها عام ١٩٠٣م نحو ١٥٠ (مائة وخمسون) طالبا ، منهم ثمانية وخمسون طالبا (٥٨)

من مصـــر ومن الشام ، والباقون من السودانيين (١) ثم أنشىء قسم المرحلة الثانوية عام ١٩٠٥ م .

ولعل من أكبر المشكلات التى كان يواجهها الانجليز الذين يخططون للتعليم فـــى السودان مشكلة الوسيلة التى يوصلون بها المعرفة الى أولئك التلاميذ. هل تكون اللغـــة الانجليزية ام اللغة العربية ؟ ولاشك انهم أحبوا ان تكون الاولى لان اللغة هى الام التى تحمل افكار الامة ومشاعرها ، وحضارتها ولكن لاسباب كثيرة رجحوا ان يكون التدريس فى كلية غردون باللغة العربية فى البداية. فان السودان بلد عربى ، يتكلم أهله اللغة العربية ، وهى لغة الدين فليس من السياسة ان تترك اللغة العربية لتحل محلها اللغة الانجليزية مباشرة ، فلعل فى هذا مدعاة لكراهية الانجليز ، واذى لمشاعر السودانيين ولكن ،لا بأس ان تدخل اللغة الانجليزية رويدا رويدا ، حتى تصبح فى آخر الايام هى اللغة الاولى فى الجامعة وفى كل دواوين الحكومة . واصبحت اللغة الانجليزية لغة الدولة الرسمية ولغة « العيش » كما سماها السودانيون حين فرضت على الناس فرضا . سموها لغة «العيش» لان النجاح فى اللغة الانجليزية أصبح شرطا وبابا للعمل فى أى مصلحة ، وللقبول فى الكلية حتى بعد ان رحل الانجليز عن السودان بزمن طويل . واضفت تلك الشروط على اللغة الانجليزية صفة القوة . وكثيرا ما يتندر السودانيون بهذه الصفة التى فرضها الانجليز على لغتهم ، لغة السادة الحكام . فاذا قالوا « اللغة » أو اشاروا إلى خطاب كتب باللغـة الانجليزية يكتفون بالاشارة اليها «باللغة» وتعنى اللغة الانجليزية وليس غيرها ، لانها غنية عن الصفات والتمييز متفردة معروفة . واصبحت فى آخر الأمر كل العلوم تدرس فى كلية غردون باللغة الانجليزية عمليها ونظريها. فتاريخ العرب والاسلام يدرس باللغـة الانجليزية وتاريخ السودان بل كل شىء ما عدا اللغة العربية والدين يدرس باللغة الانجليزية . وهكذا تأسست كلية غردون لتكون كلية انجليزية فى شكلها ومضمونها .

ولكن على الرغم من هذا تحولت هذه الكلية إلى منارة يهتدى بها الشعب السودانى إلى طريق النجاة ، واصبح كثير من خريجيها ، من أتم تعليمه فيها او من لم يتمكن من اكماله ، قادة للحركة السياسية والوعى والكفاح المرير ضد الاستعمار ، ولا غرو فأن الظروف المحلية والعالمية قد اعانت على هذا كله ، ولم تستطع تلك الكلية أن تعيش فى عزلة مهما حاول

---

(١) عبد المجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، القاهرة ١٩٥٣م ص ١٤٥ .

الأنجليز عزلها عن الاحداث . وكم من مؤسسة انشأها الانجليز فى السودان أو فى غير السودان من الوطن العربى يحسبون انها ستظل حارسة للاستعمار فانقلبت عليهم فى آخر الايام . فقد رأينا كيف نشأ نادى الخريجين فى السودان اول ما بدأ حين كان رئيس الجمعية مدير المعارف الانجليزى ، ثم تحول إلى قلعة صامدة فى وجه الاستعمار .

وبدأت كلية غردون بتركيز على التعليم الابتدائى ، بتعليم الطلاب الكتابة والقراءة والحساب ليعينوا فى تسيير العمل فى المصالح ودواوين الحكومة ، بدأت لتخرج موظفين ولم يفكر الانجليز فى التعليم العالى الا بعد ان ارتفعت الاصوات والحناجر تطالب به فى كل ناد .

وقد حظيت كلية غردون بنخبة ممتازة من الاساتذة المصريين الذين جمعوا بين الوطنية والعلم ، فشاركوا فى تعليم السودانيين ، واذكاء الروح الوثابة المتطلعة إلى العلم والحرية . كانوا سندا لحركة الوعى الوطنى التى كان الطلبة السودانيون فى كلية غردون من طلائعها بما نالوا من معرفة فتحت أمامهم باب الأمل فى التقدم واللحاق بركب الأمم المتحضرة . ولعل هؤلاء الاساتذة لم يحاضروا اولئك الطلبة فى علم السياسة ، ولم يلقوا عليهم درسا فى الوطنية او القومية، ولم يحدثوهم عن مسألة تقرير المصير مباشرة فى تلك الفترة المبكرة من الزمن ، ولكنهم دون شك اذكوا روحا شابة وبعثوا عزيمة ، وزادوا نار الثورة ضد الاستعمار حطبا جعل الجذوة مشتعلة ،حمل المشعل فيها السودانيون.وكان هؤلاء الاساتذة يصدرون عن شيء يجدونه فى مصر منذ العقد الاول من هذا القرن . وكان عدد هؤلاء الاساتذة كبيرا فى الكلية فقد بلغ خمسين مدرسا او يزيد وكان اول ناظر لكلية غردون الاستاذ أحمد هدايت.(١)

حـــركة الهـــرب :

ازداد مع الايام شوق الطلبة السودانيين فى كلية غردون إلى زيارة مصدر المعرفة والمورد الذى صدر منه هؤلاء الاساتذة الذين تلقوا العلم على ايديهم ثم زاد من هذا الشوق ما يصل اليهم من اخبار من الشمال عن الثورة المصرية عام ١٩١٩ م التى قادها سعد زغلول وما حملت اليهم بعض الصحف التى تصدر فى القاهرة عن كل هذا الذى يجرى هناك .

---

(١) عبد المجيد عابدين ، المصدر السابق ، ص ١٤٥

ولكن الانجليز القائمين على أمر الكلية لا يريدون لها ان تتصل بمصر ، او يعلم الطلبة ما يحدث فيها . كانت تلك سياسة مقررة لا ينبغي التهاون في تنفيذها حتى اولئك الوافدين إلى الازهـــر الذين لم ينقطعوا عنـــه منذ ان كان الازهر وجـــدت السلطة الحاكمة في السودان نفسها ضيقة حرجة بذهابهم إلى مصر لأن كل من يذهب إلى مصر من السودانيين قمين ان يعود بشيء في نفسه ضد الاستعمار البريطاني في السودان ومصر. شيء حتمي، لأن الثورة في مصر ضد الاستعمار في تلك الفترة تعدى كل من شهدها او سمع عنها .

لعل ما كتب ادوارد عطية عن شعوره في كلية غردون حين جاء يدرس فيها عام ١٩٢٦ يعطي صورة عن الوضع فيها :

« كرهت كلية غردون في اللحظة التي مشيت في ارضها انها مؤسسة عسكرية وليست مؤسسة انسانية . هي مدرسة حكومية في بلد تحكمه حكومة استعمارية أجنبية مدرسوها من الانجليز اعضاء في الخدمة السياسية . فهم في الكلية بصفتين : صفة الأستاذية وصفة الحكام والاخيرة هي الصفة الغالبة . فان الطلبة فيها ليسوا مطالبين باظهار الإحترام الذي يبديه عادة الطالب لمدرسيه بل التسليم الذي يطلبه الحاكم من المحكومين . وحتى لو كان المدرس عطوفاً إنسانيا في ذاته فان وراءه في نظر طـــلابه مدير المعارف البريطاني والسكرتير الاداري والحاكم العام والعلم البريطاني وسلطة الحكومة البريطانية ومن خلفه ايضا المفتش البريطاني الذي يحكم قراهم . وربما يتحول المدرس يوما إلى مفتش المركز الذي يحكمهم هم وآباءهم » !! (١)

وعلى الرغم من مخاوف الانجليز من هذه الصلة بين مصر والسودان فأنهم لم يصدروا اوامر صريحة معلنة تمنع الناس الذهاب لمصر طلبا للعلم او غيره ولكنهم، يبذلون كل ما يستطيعون لوضع العقبات في سبيل هؤلاء الراحلين إلى الشمال او اولئك المصريين الذين يريدون الذهاب إلى السودان ممن لا يرغبون في وجوده في السودان . وكم من مرة كتب فيها السكرتير الاداري إلى وكيل حكومة السودان في القاهرة يحثه فيها على إثناء الاساتذة الذين يريدون الذهاب إلى السودان .

وفي كلية غردون التي ارادوا لها ان تكون كلية انجليزية مائة في المائة لم يسمحوا

) P.M. Holt, A Modern History of the Sudan, London, 1974, p.202.

للطلبة فيها بالهجرة إلى مصر بل كانوا يمنعونهم من الاطلاع على الصحف والمجلات التى تأتى من مصر . تحت هذه الظروف بدأت حركة هجرة إلى مصر بين الطلبة السودانيين فى كلية غردون. وما كان من هؤلاء الا ان يتخذوا جنح الليل ستراً والسرية وسيلة ليتمكنوا من الافلات والهرب إلى مصر .

وكان من الطلبة الذين بدأوا هذه الحركة السيد الدرديرى أحمد اسماعيل عام ١٩٢٣ م . سألته عن تلك الظروف التى شهدها فى كلية غردون ثم وجهت اليه سؤالا لم اجد الاجابة عنه .

هل كان هنالك امر واضح من السلطة فى السودان يمنع الطلبة السودانيين الهجرة إلى مصر طلبا للعلم ؟

وكان هذا جوابه أنقله كما كتبه :(١)

« فى مناقشة او حديث جرى مع السيد المستشار الثقافى لجمهورية السودان الديمقراطية بالقاهرة (السيد الحاردلو) عن تلقى ابناء السودان للتعليم المدنى فى مدارس وجامعات خارج حدود السودان الجغرافية وذلك فى الفترة السابقة لاول هجرة او مانسميه هروبا قام بها المواطنان المرحومان توفيق احمد عبد العال الذى تسمى فيما بعد عام ١٩٢٦ باسم توفيق أحمد البكرى (تشبها او تقربا من اسرة السيد توفيق البكرى نقيب اشراف مصر فى ذلك الوقت واحد ادبائها المبرزين) وبشير عبد الرحمن وتساءل السيد الحاردلو عما اذا كان هناك « منع » سياسى او قرار حكومى اصدرته حكومة السودان يمنع ابناء السودان السفر إلى خارج حدود السودان. وللاجابة على هذا التساؤل يلزم المؤرخ لهذه الفترة التى سبقت فترة اباحة الخروج ان يتجرد من العوامل السياسية حتى يجىء البحث نزيها ومجرداً عن الغرض ، لهذا اود ان انبه الباحث إلى مقال نشر فى العدد الخاص الذى اصدرته صحيفة الرأى العام لمرور عام من استقلال السودان فى اول يناير عام ١٩٥٦ ولكن للحقيقة والتاريخ لابد ان اضيف هنا ما يأتى :

«لا يوجد سودانى واحد من الاحياء اليوم يقول بحق ان هناك قانونا او امراً اداريا فى السودان قبل حركة « الهرب » ينص على المنع — فتوفيق البكرى وبشير عبد الرحمن كانا

---

(١) كان هذا فى القاهرة بتاريخ ١٩٧٥/٩/٤م فى مكتبى بالسفارة السودانية .

على اتصال بجماعات سياسية تعمل فى الخفاء لخلق وعى سياسى ضد الاستعمار البريطانى والحكم الثنائى فى السودان اما لوحدة وادى النيل او استقلاله — ولا يوجد من يقول بأن الطالب « فلانا » قد طلب جواز سفر او اية وثيقة سفر بغرض التعليم المدنى خارج السودان ورفض طلبه . وفى تصورى ان المنع نتج عن تصور قد يكون صادقا وقد يكون خطأ بأن اى طـــلب من هذا النوع سيقابل بالرفض والا لماذا كان مباحا للدارسين بالازهر الشريف بالسفر ؟ لقد قوى ذلك التصور بالمنع بعد هروب توفيق وبشير لاننا بعد العودة من اجازة المدارس السنوية فى اواخر سبتمبر ١٩٢٣ فوجئنا بالتغيير الكبير فى معاملة الطلبة بتعليمات سرية صادرة من المستر يودل ناظر كلية غردون ونائب مدير المعارف المستر كروفوت فى ذلك الوقت وانتشر الخـــوف فى صفوف الطلبة الكبار فى ان نوعا من التجسس قد بدأ يمارس وإنتشرت الشائعات ضد هذا وذاك بأنه جاسوس وبدأ التفكير لدى البعض بأن يحذوا حذو الزميلين توفيق وبشير ولم تكن حركة اللواء الابيض قد رأت النور بعد وقد كنت احد هؤلاء بل كنت صاحب (الفكرة) واتفق جماعة من الزملاء اذكر منهم صديقى المرحوم الدكتور مختار محمد محمود والاخ محمد محمد صادق أطال الله عمره ، ووضعنا خطتنا على الهرب فى اجازة الصيف عام ١٩٢٤ وكان واضحا لدينا اننا لن نستطيع السفر بالطريق العادى بعد (هرب أو هروب) توفيق وبشير وخاصة وان مختار وشخصى الضعيف قد اختيرا لمدرسة (كتشنر الطبية) الدفعة الثانية ولما قربت الاجازة اتفقنا على ان نراسل بعضنا ونتفق فى الخرطوم لتنفيذ (فكرتنا) ولكن قيام جمعية اللواء الابيض بنشاطها المكشوف اثار الشك فى امكان تنفيذنا لما اتفقنا عليه ، فارسل الآخ المرحوم مختار رسالة شفوية يطلب حضورى للخرطوم فقمت فى الحـــال وهناك اخبرنى الاخ صالح زميل الدراسة والموظف آنذاك بمصلحة البوستة بأن مختار قد عدل عن السفر وخاصة بعد القاء القبض على المرحوم محمد المهدى التعايشى واليوزباشى (حينـــذاك) زين العابدين عبد التام وقـــد كانا عضوين بجمعية اللـــواء الابيض وكانا يحملان عرائض ثقة للزعيم سعد زغلول فأعيدا من حلفا الى الخرطوم واعتقلا — والى هنا لم يوجد قانون يمنـــع الطلبة السفر ولكن المنـــع ربما كان اجـــراء اداريا يتخذ فى حلفا فقمت انا وحدى فى أواخر يوليو عام ١٩٢٤ تاركا أمرى الى الله وكان السفر بين مصر والسودان مباحا دون جوازات سفر ولم الفت نظر أحد ثم توالى (الهرب) ولكن بعد هرب

المرحوم بشير محمد خير والمرحوم يعقوب عثمان والاخ الدكتور بخيت محمد عمر فى يناير عام ١٩٢٨ فى عطلة نصف السنة ثار المستر يودل وربما (وهذا متروك لبحث السيد الحاردلو) قد صدر قرار بالمنع وأنا ارجح هذا بدليل ان الاخ المرحوم معاوية محمد نور قد هرب بعد هؤلاء فجاء المرحوم خالد افندى محمد عثمان خال معاوية وطاب من السلطات فى القاهرة (وكانت وزارة الداخلية تحت سيطرتهم) مساعدته لاعادته الى السودان وقد أعيد فعلا ولكن اصرار الاديب الكبير والمكافح معاوية قد حمل والدته على الموافقة على ايفاده لجامعة بيروت وقد كان السفرمباحا لمن توفدهم الحكومة السودانية كطيب الذكر عبيد عبد النور ومحجوب الضوى واستاذنا عبد الفتاح المغربى فى أول العام الدراسى إلى بيروت فى أكتوبر عام ١٩٢٦ ثم تبعته بعثة طيبى الذكر السيد حمزة احمد وازهرى والاخ الاكبر النصرى حمزة والمرحوم عوض ساتى — البعثات الرسمية — وهنا يسأل عما اذا كان هناك من قدم طلبا للسفر خارج السودان ومنع ؟

« أجيب على هذا السؤال من واقع حياتى . اذ أننى عندما نلت ليسانس الحقوق قررت ان أسافر الى انجلترا وتكرم طيب الذكر الامير الجليل عمر طوسون على تحمل نفقات سفرى وهنا فقط قامت مشكلة وثيقة السفر أى الباسبورت فذهبت الى وكالة حكومة السودان فى القاهرة وقد قابلنى الاستاذ — لبيب خير الله الموظف (السياسى ! !) بها وقدمنى الى وكيلها الانجليزى وقد نسيت اسمه يجيد اللغة العربية بجميع لهجات القبائل السودانية اذ كان قبل ذلك مفتشا فرفض طلبى قائلا بعد ان اخرج دوسيها من درج مكتبه (انت بتقول ان الانجليز ظالمين وعلشان ايه انت عاوز تروح بلدهم ؟(فرددت قائلا) اننى لم أقل ان الانجليز ظالمون وانما قلت ان حكومة السودان (وهى جزء من الاستعمار البريطانى) ظالمة فرد (امش ! ! الكلب ينبح والجمل ماشى — روح خل المصريين يسفروك) وخرجت وحاولت محاولات عديدة عن طريق مكتب رئيس الوزراء المرحوم صدقى باشا وقد كان مدير مكتبه المرحوم الاستاذ ابراهيم رشيد صهر رئيس الوزراء وزميل كليـــة الحقوق يسبقنى بسنتين — وحملت توصية للمرحوم احمد كامل باشا ووقف الانجليز وعجز وكيل الداخلية امام تدخل المستر كين أو كوين بويد المسيطر على الداخلية ونقلت هذا كله الى سمو الامير الراحل والى المرحوم حمدى باشا سيف النصر مأمور امدرمان سابقا والذى كان يعتبر والد السودانيين هنا وفكر سعادته فى ان يستخرج لى جواز سفر

مصرى وأسافر فى صحبة المرحوم عثمان محرم باشا كتابع لـــه ولكن قبل تنفيذ هـــذه الفكرة جاء الى مصر استاذنا احمد عثمان القاضى وكان دائما موضع احترام سمو الامير وضيفه مدة اقامته كما كان صديقا لحمدى باشا وذا صلة قوية بحكومة السودان فبســـط حمدى باشا له تفاصيل ماتم واعتقد انه حاول ان يستخرج لى جواز سفر من وكالـــة حكومة السودان ولم ينجح وعند عودته بعد ايام تكلم مع المسئولين فى الخرطوم فاصدروا تعليماتهم الى وكيل حكومة السودان بالقاهرة واعطيت جواز سفر — الى هنا ايضا يتساءل عما اذا كان هناك قرار ادارى يمنع ذوى الميول السياسية من الحصول على جواز سفر لتلقى العلم خارج السودان — انا شخصيا لا استطيع ان اجزم بذلك فقد يكون هناك قرار وقد يكون الامر كله تصرفا فردياً . ثم جاء دور الاخوين يعقوب عثمان والدكتور بخيت محمد عمر بعدى ببضع شهور وقد سافرا الى انجلترا بعدى بنحو ثلاثة اشهر ولا اعتقد انهما وجدا صعوبة فى الحصول على جواز السفر ويمكن سؤال الدكتور بخيت وطبعا انا ارجح ان الامر صار مباحا بعد ان اعطيت انا جواز سفر وقد كان لى نشاط سياسى وكما ذكرت فى مقالى فى العدد الخاص للرأى العام ان البعثات الحكومية كانت تسير منافسة لهجرة ذوى الميول السياسية فالدفعة الاولى لبيروت كانت عام ١٩٢٥ سبتمبر اى قبل بدء الدراسة فى الجامعة الامريكية والبعثات الى انجلترا تمت بعد سفرى وسفر بخيت ويعقوب بل بعد عودتى من انجلترا ١٩٣٥— ولا يوجد واحد يقول انه اراد ان يسافر الى الخارج من غير ذوى الميول السياسية لتلقى العلم فمنع وعلى الاخ الحاردلو ان يبحث عـــن ذلك والله المعين » .

الدرديرى احمد اسماعيل

وقد بحثت فلم اجد شيئا مكتوبا سوى تلك التوجيهات التى تصدر الى وكيـــل حكومة السودان برصد نشاط الطلبة ومحاولة صدهم عن مصر. فان الدرديرى نفسه حين أراد الذهاب الى انجلترا وقابل وكيل حكومة السودان وجده ينظر فى ملفه الخاص ، يرصد فيه كل ما صدر عنه وبهذا رفض السماح له بالذهاب الى بلاد يلعن اهلها .

وهكذا تعاظم دور طلاب كلية غردون داخل السودان وخارجه وتمنعهم السلطات البريطانية الهجرة الى مصر بشتى الوسائل غير ان الذين خرجوا وجدوا متنفسا ومجالا

فى صحافة مصر التى جعلت لهم صوتا مسموعا . ومع هذه الحركة المتصلة بمصر اشتد خوف الانجليز من هؤلاء الطلبة المتسللين وانتبهوا الى دور الاساتذه المصريين الذين يدرسون فى كلية غردون . ولعل السلطة فى السودان كانت تتحين الفرص للتخلص من هؤلاء الاساتذة وشاء القدر ان قتل سيرلى استاك حاكم عام السودان فى شارع من شوارع القاهرة عام ١٩٢٤ م وقبض على عدد من الطلبة السودانيين الذين يدرسون فى مصر متهمين بالاشتراك فى قتل المستر استاك . واتخذت بريطانيا العظمى مقتل استاك ذريعة لتنفيذ سياستها وخططها فى كل من مصر والسودان كما سبقت الاشارة إلى هذا من قبل . ففى السودان طرد الانجليز الاساتذة المصريين من كلية غردون وحرموا على طلابها الصحف والمجلات المصرية . وأصبح الطلاب تحت الرقابة فاختفى كل مظهر للنشاط السياسى، واتخذوا ستارا من الادب والندوات التى يقيمها الطلاب فى المناسبات الدينية. ولم يستطيع طلاب كلية غردون اعلان معارضتهم للحكم البريطانى منذ ان أجهضت ثورة ١٩٢٤ م حتى عام ١٩٣١ م حين اعلن الطلبة الاضراب العام ، ودعوا إلى مقاطعة السكر احتجاجا على احتكار الحكومة لتلك السلعة . [1] وهذا عمل سياسى محض ، ومعارضة للاستعمار يقوم بـه الطلاب، ينقـدون سياسته ويطالبون باصلاح تلك السياسة وتقويمها بما يؤدى إلى مصلحة السودان وتقدمه الذى يتطلعون اليه ويحلمون به .

وإلى جانب هذا ومعه يدور نقاش ويجرى حوار فى أروقة الكلية فى الثلاثينات عن اهداف التعليم فى السودان وخطته . هل التعليم يكون للوظيفة ام التعليم من اجل العلم وحده ، ثم تأتى الوظيفة نتيجة من تلك النتائج التى يجنيها المتعلم ؟ ثم اصبحت كلية غردون منطلقا للفكر والبحث فى موضوعات لا تريد لها السلطة فى السودان ان تشغل بال الطلاب لان بحثها يفضى بهم وبها إلى خلاف واقتتال . ويمضى الطلبة فى عنادهم واصرارهم على ما يرون انه الواجب الذىلا ينبغى التخلى عنه، وتصر الحكومة على ان يبقى الطلبة بمنأى عن السياسة فانها ضارة بالتعليم .

وكان الطلاب لا تسنح لهم فرصة لاثارة مثل تلك القضايا الا اغتنموها . ففى١٨ مايو عام ١٩٣٤ م دعا الطلبة الاستاذ عرفات محمد عبد الله رئيس تحرير مجلة الفجر ليلقى

---

(١) محجوب محمد صالح ، الصحافة السودانية فى نصف قرن ، الخرطوم ١٩٧١ ص ١١٨

محاضرة عن ضرورة حرية الفكر وخطر تحديد حرية الفرد (١) . وكان من ضمن ما دعا اليه عرفات في تلك المحاضرة رفــع درجة التعليم في السودان الى اقصى مدى يمكن ان يصل اليه ، اي الى المرحلة الجامعية ، فى وقت كان الانجليز يقولون ان البيئة في السودان لاتصلح لمثــل هذا القدر من التعليم العــالى . وتعرض عرفات لتلــك الحجة فدحضها بالامثــلة والأدلة القاطعــة . وفى الحــق ان الحركة الفكرية والادبية فى السودان بين المثقفين على قلتهم قد بلغت درجة مدهشة من النمو والازدهار فى تلك الفترة التى القى فيها عرفات محمد عبد الله محاضرته . فقــد كثرت المجلات الادبية والفكرية في السودان وصدرت الصحف وكانت الكتب والمجلات المصرية لا تنقطع عن السودان .

ويلخص محمد أحمد محجوب الحركة الفكرية فى السودان في الثلاثينات فيقول :

« ان المثل الاعلى للحركة الفكرية فى هذه البلاد ان تكون حركة فكرية تحــترم شعائر الدين الاسلامى الحنيف وتعمل على هداه ، وان تكون عربية المظهر فى لغتها وذوقها مستلهمة من كل ذلك تاريخ هذه البلاد الماضى والحاضر ، مستعينة بطبيعتها وعادات وتقاليد واخلاق اهلها » (٢) .

بعد الصيحة التى اطلقها عرفات محمد عبد الله وغيره من المثقفين السودانيين منادين برفع مستوى التعليم فى السودان، وبعد ان هاجر عدد من الطلبة السودانيين طالبين مزيداً من العلم فى مصر، عدلت حكومة السودان عن رأيها فى التعليم فى السودان . رأت ان الضرورة تقضى ان ترفع التعليم إلى ما اسمته بالمدارس العليا . فأن هذا يلبى طلب السودانيين الذين ظلوا ينادون به منذ فترة طويلة ، ثم ان رفع التعليم سوف يوقف ذلك السيل المتدفق من الطلبة نحو مصر .

واصبح المستر سكوت G. C. Scott مسئولا عن كلية غردون عام ١٩٣٧ م واستمر إلى عام ١٩٤٣ م وكان اصلا فى الخدمة السياسية من حكومة السودان وتحولت الكلية فى هذه الفترة إلى مدرسة ثانوية بعد ان تخلصت من المرحلة الابتدائية فى عام ١٩٢٤ م

---

(١) عبد المجيد عابدين ، المصدر السابق ، ص ١٥٠

(٢) نفس المصدر ص ١٥١

(2) SA/17–A–13, p.73.

(2) The making of the Modern Sudan, London 1953, p.422 ff.

والورش الحرفية عام ١٩٣٢ م . وفى عام ١٩٣٨ م تقدم عدد من طلبة كلية غردون لامتحان شهادة كيمبرج .

وفى يناير عام ١٩٤٥ م تحولت المدارس العليا إلى كلية غردون ، ثم تكون مجلس للكلية برئاسة المستر نيوبولد السكرتير الادارى لحكومة السودان . وكان المجلس يضم اثنى عشـــر من الانجليز وسبعة اعضاء من السودانيين ومصرياً واحدا ولم تكن مدرسة الطب التى تأسست عام ١٩٢٤ قد ضمت إلى الكلية بعد ، بل ظلت تقبل طلبتها من مدرسة العلوم فى الكلية حتى عام ١٩٥١ م (١) حين اطلقوا على كلية غردون كلية الخرطوم الجامعية .

(١) ثم انظر كتاب هندرسون ص ٤٢٢

سياسة المستر نيوبولد لكلية غردون

على الرغم من ان الانجليز قد حرصوا أشد الحرص ان تظل كلية غردون كلية انجليزية بكل ما تعنى هذه الكلمة الا ان المستر نيو بولد لا يرى ان البيئة السودانية والمستوى الحضارى واخشى ان اقول العقلى يمكن ان تجعل هذه الكلية على غرار تلك الكليات التى اصبحت النماذج العليا للتعليم الجامعى فى بريطانيا ، تلك هى جامعة اكسفورد وجامعة كامبردج .

فحين عين المستر نيوبولد رئيساً لمجلس الكلية فى اكتوبر عام ١٩٤٤ م رأى ان يتبع سياسة تؤدى إلى نوع من الجامعات اطلقوا عليها او وصفوها بالجامعات ذات « الطوبة الحمراء» اى حديثة الانشاء. وكان المستر نيوبولد يتخذ كتاب المستر بروس Bruce Truscot بعنوان Redbrick University نموذجا يمكن ان تقوم على امثاله كلية غردون فى تطورها وليس على غرار اكسفورد وكامبردج (١) .

وخطب المستر نيوبولد فى المجلس يوم افتتاح الكلية الجديدة فاثقل خطابه بمعان كبيرة ومهام جسام يمكن ان تؤديها كلية غردون للشعب السودانى .

« لا ينبغى لنا نحن اعضاء هذا المجلس ان نحسب كلية غردون الجديدة مجرد مجموعة من حجرات المحاضرات والمكتبات او مصنعا يخرج رجالا من اصحاب المهارات لا يفكرون الا فى الرسائل والوظائف بل يجب على الكلية ان تكون منارة تخترق اشعتها كل انحاء السودان لتهزم الجهل والامية والمرض والجوع والعطش » (٢) .

كلمات كبيرة لعلها اريد بها ان تجيب عن اسئلة كثيرة ، ونقاش استمر زمنا طويلا داخل الحرم الجامعى وخـــارجه حول وظيفة الكلية ومهامها وصلتها بالبيئـــة السودانية ومسئوليتها نحو المواطنين جميعا . وليس من شك ان هذه العبارات التى وردت فى خطاب المستر نيوبولد ــ وكان المجلس يشمل بعض الاعضاء من السودانيين ــ وردت لترد على النقد الذى كان يوجه إلى سلطات الكلية ، وسوف يسمع الطلبة فى الكلية وخارجها ما ورد

(1) K.D.D. Henderson, the Making of the Modern Sudan, London, 1953, p.405.

(٢) نفس المصدر ص ٤١٨

فى خطاب المستر نيوبولد . ولم يكن الطلبة فى الكلية فى ذلك الوقت مشغولين بهزيمة الفقر والمرض والجهل إنشغالهم بمحاربة الاستعمار ، لانهم يرون ان الاستعمار هو مسبب كل ما يعانى منه السودان ، فلتكن معركة التحرير قبل التعمير وظل هذا الشعار مرتفعا زمنا طويلا حتى تحررت كثير من البلاد العربية . ففى الوقت الذى خطب فيه المستر نيوبولد بمناسبة إفتتاح الكلية عام ١٩٤٤ م كان قد مضى على حكم الانجليز فى السودان نحو من خمسة واربعين عاما ولم يحدث تغيير فى حياة الناس او يحدث اى تقدم يجعل هؤلاء الطلاب يسمعون كلمات نيوبولد فيتبعونها .

أنه من العسير جدا ان تؤرخ للتعليم او الثقافة والفكر فى هذه الفترة بعيدا عن السياسة ذلك أن كل هذا كان مرتبطا كأوثق ما يكون الربط بها. وهذا مما جعلنى اكتب كل هذا على خلفية سياسية وربما لاحظت ان السياسة تجرى فى اثناء البحث ومن خلاله كله ، شىء لابد منه ، ذلك ان السياسة هى التى توجه هذا التعليم وتلك الثقافة وذلك الفكر .

وكان من سياسة نيوبولد ان تتجه كلية غردون فى علاقاتها إلى انجلترا ثم نحو الجنوب إلى افريقيا ، كل هذا لتنصرف الكلية عن مصر ولكن الظروف السياسية فى الاربعينات جعلت يد المستر نيوبولد مغلولة إلى حد كبير . فاذا أراد وعزم ان يربط كلية غردون بجامعة لندن، أو يخلق صلة ما معها فلا بد له ان يفكر كثيرا فيما يقال فى داخل السودان عن هذه العلاقة وما يثار فى مصر . فهل الاولى ان تكون هذه العلاقة بجامعة فؤاد الاول فى القاهرة ام بجامعة لندن ؟ وبحذق ودراية رائعة دعا الانجليز فى اول الامر إلى ان تكون كلية غردون مستقلة عن كل الجامعات، كيانا منفصلا مثل دعوتهم لانشاء كيان سودانى غير ان الزمن غلب على هذا الاتجاه واصبح لابد من إقامة علاقة ما . ولتكن هذه العلاقة مع عدد من الجامعات المجاورة لكلية غردون ، ولتكن علاقة متينة مع جامعة لندن . فأن اقامة مثل تلك العلاقة مع الجامعات الاخرى تبرر العلاقة المقصودة اصلا مع جامعة لندن .

وفى اخر ديسمبر من عام ١٩٤٥ م وضع فى الموضوعات المعروضة للبحث على مجلس كلية غردون موضوع ربط الكلية بجامعة لندن . فكتب المستر اسكوت Scott الى وكيل حكومة السودان فى القاهرة يخبره بأن موضوع ربط كلية غردون بجامعة لندن معروض على المجلس ثم يسأله عما اذا كان بالامكان انشاء علاقة بين الكلية وجامعة فؤاد

الاول فى القاهرة (١) ولعل المستر اسكوت Scott اراد بهذا ان يطلــع على رأى السفارة البريطانية فى الامر، بل لعله كان يخشى ان تبدى السفارة اعتراضا على هذا الربط خشية ان يثير الرأى العام ضد بريطانيا فى كل من مصر والسودان . فكتب وكيل حكومة السودان إلى السفارة البريطانية بما تراه حكومة السودان فى الموضوع وذكر ان ربط كلية غردون بجامعة لندن سيكون شيئا مؤقتا ، علاقة تعين الكلية فى تطورها حتى تكتمل وتصبح فى نهاية الامر جامعة مستقلة. وان كل شيء قد أعد وخطط لتأخذ الكلية طابعها السودانى، وانها سوف تنشيء علاقات بينها وبين الجامعات المجاورة لها فى مصر ولبنان ويوغندا (٢)

ثم كتب عميد كليــة غردون J.D. Tothill بعد عرض الاقتراح على مجلس الكلية إلى وكيل حكومة السودان يخبره ان مجلس الكلية قبل اقتراحا بأن تربط كلية غردون بجامعة لندن وتتبع لها حتى يحين الزمن لتكون جامعة مستقلة . ثم اضاف ان الفكرة بالا ترتبط الكلية بأى جامعة أخرى كانت موجودة ولكن مع الزمن اصبح من الضرورة بمكان ان تخلق الكلية بعض الروابط مع الجامعات المجاورة لها مثل ماكررى وجامعة فؤاد وجامعة بيروت .

وكانت حكومة السودان تخشى ان يثير هذا الخبر ضجة كبرى فى الصحافة المصرية ولكن مر دون كبير إهتمام من الصحافة فى مصر (٣) لعل ذكر العلاقات الاخرى بجامعات مجاورة للكلية قد جعل المسألة امرا مقبولا وكان ذلك هو القصد من ذكر جامعة فؤاد وبيروت وماكررى فى يوغندا .

وكما عملت سياسة الانجليز فى السودان على الفصل بين مصر والسودان عملت بنفس القدر لفصل جنوب السودان عن شماله . فأن المستر نيوبولد درج على ارسال الطلبــة السودانيين من الاقليم الجنوبى فى السودان إلى جامعة ماكررى ولم يرسل منهم احدا إلى كلية غردون الا فى وقت متأخر جدا وبعد ان علت الاصوات تنتقد هذا الوضع الغريب (٤)

وتكون مجلس كلية غردون فى اخر عام ١٩٤٥ م برئاسة الحاكم العام واعضاء آخرين من داخل الكلية وخارجها على النحو التالى :

---

(1) SA/17–A–13, p.1 dated 11 Dec. 1945.
(2) SA/17–A–13, p.2 dated 20th Dec. 1945
(3) SA/17–A–13, p.3 dated 29th Dec. 1945.
(4) K.D.D. Henderson, op.cit. p.430.

ثم تكوين مجلس كلية غردون برئاسة الحاكم العام والاعضاء المذكورين بعد :

١ ــ عميد الكلية .
٢ ــ السكرتير الادارى .
٣ ــ السكرتير القضائى .
٤ ــ السكرتير المالى .
٥ ــ مدير المعارف .

كان هؤلاء اعضاء بحكم مناصبهم ثم هنالك اعضاء يرشحهم الحاكم العام وهم :

١ ــ محمد عبد الهادى بك .
٢ ــ شيخ عبد المنعم محمد .
٣ ــ شيخ ابو شمة عبد المحمود .
٤ ــ Dr. I.M. Beasley
٥ ــ G.R.F. Bredin مدير المجلس
٦ ــ E.C. Reed

ثم اعضاء يرشحهم مدير المعارف هم :

١ ــ حسن افندى الظاهر .
٢ ــ W.M. Farquharson Lang

ثم اعضاء آخرون عاديون هم :

١ ــ الدكتور عبد الحليم محمد .
٢ ــ G. Andrew
٣ ــ G.H. Bacon
٤ ــ C.C.G. Cumings
٥ ــ الدرديرى محمد عثمان .
٦ ــ T. Doughty
٧ ــ A. Gaitskell
٨ ــ G.M. Hancock

٩ – Dr. E.G. Horgan
١٠ – ابراهيم أحمد ابراهيم .
١١ – ميرغني أفندى حمزه .
١٢ – محمد أفندى صالح الشنقيطى .
١٣ – شيخ سرور محمد رملى .
١٤ – G.C. Turner
١٥ G.C. wood (١)
١٦ – G.C. Scott عضو مؤقت .

في آخر عام ١٩٤٦ م تحسنت العلاقات بين مصر وبريطانيا بنوع من الحوار الذى ادى الى اتفاق صدقى – بيفن في اكتوبر عام ١٩٤٦م . ولعل هذا مما دعا الحاكم العام في السودان ان يطلب من رئيس الوزراء المصرى في نوفمبر من عام ١٩٤٦ ان يرشح ممثلا للجامعات المصرية عضوا في مجلس كلية غردون التذكارية . وكانت الدوائر الرسمية في مصر تفكر في ترشيح الدكتور ابراهيم شوقي ولكن قبل ان يتم ترشيحه بصفة رسمية مات مدير جامعة فؤاد ورشح الدكتور ابراهيم شوقي خلفا له في نوفمبر عام ١٩٤٧م . وكانت في هذه الفترة قد تردت العلاقات الى حالة سيئة بفشل المفاوضات بين مصر والسودان(٢) .

ونلاحظ من الرسائل بين السكرتير الادارى ووكيل حكومة السودان في القاهرة ان عام ١٩٤٦م شهد تدفقا كبيرا من الطلبة السودانيين نحو الجامعات المصرية ، فنجد عميد كلية غردون يكتب الى مدير جامعة فؤاد الاول في القاهرة يقترح عليه نوعا من التعاون في طريقة قبول الطلبة السودانيين في الجامعات المصرية حتى لايترك الطلبة كلية غردون بعد أن بدأوا الدراسة للالتحاق بالجامعات المصرية بتشجيع من مصر . ولم يجد هذا الاقتراح استجابة من الجامعات المصرية (٣)

ثم استمر هذا التدفق من الطلاب الذين يفرون من كلية غردون نحو مصر عامي ٤٦و٤٧ وازدادت خشية حكومة السودان من تطلع الطلبة السودانيين للدراسة في مصر .

---

(1) SA/17-A-13, p.4. dated 26th Dec. 1945.
(2) SA/17-A-13, p. 32 dated 1.7.1945.

(٣) نفس المصدر ، نفس الخطاب .

فأن الجامعات المصرية لم تحفل بالخطابات التى التى ترد اليها من عميد كلية غردون طالبا التعاون الذى يمكن ان يوقف ذلك السيل المنهمر نحو الشمال . ولعل الاسباب التى دفعت بهؤلاء الطلاب للهجرة الى مصر لم تتغير كثيرا عن تلك التى ادت لى حركة الهرب عـام ١٩٢٣ وما بعده من العشرينات . فأن بعض هؤلاء الطلبة تحركهم دوافع سياسية يطمحون الى اهداف لايرجون بلوغها الا بالاتصال بمصر ،وكثير منهم يطلب العلم الذى توفره لهم مصر ، ذلك ان المجال فى مصر أرحب لتلقى العلم . ولا شك ان مصر تحاول ان تغرى هؤلاء الطلاب بما يجدون من تعاون وترحيب وليس هنالك من قانون يحول بين هؤلاء الطلبة ومصر . ففكر المستر ولشر عميد كلية غردون بل اقترح ان تتخذ خطوات رسمية لبحث هذا الامر (١) . فأن حكومة السودان تتهم الحكومة المصرية بانها تحارب كلية غـردون وانها تدفع بالطلبة السودانيين الى مصر لتقلل فرص النجاح لكلية غردون . وقد بدأ هذا الصراع بين الحكومة المصرية وحكومة السودان منذ عام ١٩٤٥م حين كانت حكومـة السودان تسعى الى ان تتبع كلية غردون جامعة لندن وتسعى مصر لتتجه كلية غردون الى الجامعة المصرية .

ففى عام ١٩٤٨م وقد بلغ الصراع الذروة بين الحكومة المصرية وحكومة السودان حول مستقبل كلية غردون بل وربما مستقبل السودان كله ، كانت حكومة السودان تسخر كل الوسائل لمنع الطلبة السودانيين الهجرة الى مصر . تحاول هذا فى السودان وفى مصر تـارة بتحريض بعض السياسيين الذين لا يحبون الصلة بمصر وتارة بوضع الصعاب فـى طريق هؤلاء الطلاب . فى يوليو عام ١٩٤٨م زار أحد زعماء حزب الامة مصر فالتقى به وكيل حكومة السودان فى القاهرة المستر هيزلدن وحرضه ان يثـير ماوصفه بالمؤامرة المصرية ضد كليـة غردون باغرائها الطلبة واخذهم الى مصـر . وكتب وكيل حكومة السودان للسكرتير الادارى فى الخرطوم بهذا . (٢)

ولا ينبغى لنا ان ننسى طبيعة هذا الصراع السياسية ، فعلى الرغم مما تعلنه السلطـات البريطانية فى السودان من انها تسعى الى خلق جامعة مستقلة ومما تحذر مصر من اقحـام السياسة فى التعليم ، فانها تسعى جاهدة لعزل كلية غردون عن الجامعة المصرية والاتجاه بها

---

(١) نفس المصدر ص ٢٦ بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٤٧م .

(2) SA/17-A-13, p.31 dated 30th July 1945.

نحو الغرب، وهذا عمل سياسى محض . بأى مقياس قسته .

فتجد فى عام ١٩٤٩م عميد كلية غردون يتحدث عن خطاب اتاه من المجلس الداخـلى Inter-University Council: The Association of universities of the British Common wealth يقـول فيه ان لجنة اتحاد جامعات الكومن ولث سوف تنظر بعين الرضا اذا قدمت كلية غردون طلبا لتكون عضوا فيه . ثم عرض عميد كلية غردون الامر على المستر روبرتسون Robertson السكرتير الادارى يرغبه فى الموافقة على الاقتراح ، ولكن المستر روبرتسون يريد ان يأخذ رأى السفارة البريطانية فى القاهرة فى هـذا الموضوع . وكتب المستر روبرتسون الى السفارة فى القاهرة عن طريق وكيل حكومة السودان يبسط المسألة ويطلب ما يستقر عليه الرأى .

وكانت السفارة البريطانية فى القاهرة لاترى رأى عميد كلية غردون ، لانه اذا طلبت كلية غردون الانضمام الى اتحاد جامعات الكومن ولث، تخشى ان يثير مثل هذا الطلب الشك ويستفز مشاعر السودانيين والمصريين (١) على حد سواء،فنصحت بترك المسألة للزمن . وكانت السلطات البريطانية تتمنى ان ترى كلية غردون عضوا فى ذلك الاتحاد وأخشى ان اقول بل انها كثيرا ما تمنت ان يكون السودان عضوا فى الكومن ولث كما فعلت بكثير من الدول الافريقية والآسيوية التى كانت تحت الاستعمار البريطانى .

وهكذا ظلت علاقة كليـة غردون بالجامعة المصرية بين القطيعة والصلة . فهى لاتقدر على القطيعة الكاملة ولاترغب فى الصلة الوثيقة . وبعد ان فشلت مساعى السكرتير الادارى فى ربط كلية غردون باتحاد جامعات الكومن ولث عاد الى الكتابة الى الحكومة المصرية فطلب منها ان تبعث بممثلها فى مجلس كلية غردون . وكان السكرتير الادارى قد أبدى ضيقه بمعاملة الحكومة المصرية ومعالجتها هذا الموضوع . فاضاف يقول فى كتابه الـى وكيل حكومة السودان لقد انتظرناهم ثلاث سنوات ليرشحوا احدا .

We have waited three years for them to nominate some one (2).

ولاندرى ما الذى جعل مصر تتلكأ وتؤجل ترشيح ممثلها كل هذه المدة وهى ليست ثلاث سنوات على كل حال . فانها رشحت الدكتور ابراهيم شوقى فى أواخر عام ١٩٤٧م

(1) SA/A/13, p.35 dated 11.3.1949

(٢) نفس المصدر ص ٤٠ بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩٤٩م .

ولكنه أصبح مديرا لجامعة فؤاد بعد وفاة مديرها كما ذكرنا آنفا . فهذه المدة عامان وليست ثلاثة أعوام ولكن السكرتير الادارى يشير الى تاريخ طلبه الاول وربما يشير الى انهم معذورون اذا لم يطلبوا من مصر ممثلا بعد هذا التأخير .

وفي هذه الفترة رأى المستر ولشر عميد كلية غردون ان يغير من قانون الكلية تغييرا خفض بمقتضاه عدد اعضاء المجلس من سبعة وثلاثين عضوا الى سبعة وعشرين ثم اقترح الا تشجع مصر على ارسال ممثلها بعد ذلك التغيير .(١)

فى أوائل عام ١٩٥٠م كتب النحاس باشا رئيس الوزراء المصرى الى حاكم عام السودان كتابا يبلغه فيه ترشيح الدكتور محمد كامل حسين الاستاذ بكلية طب جامعة القاهرة عضوا فى مجلس كلية غردون (٢) وكان القرار قد صدر بتعيينه فى ١٩ يناير عام ١٩٥٠ م . صدر القرار بعد كثير من الاخذ والرد والتسويف من كلا الجانبين . فان كلية غردون لاترغب فى ممثل من مصر بين اعضائها ، ولا تستطيع ان ترفض . وكانت مصر تريد نوعا خاصا لمثل هذا المنصب الهام ، فمن ترضى عنه مصر لاترضى عنه كلية غردون ومن تريده كلية غردون لاترضاه مصر (٣)

وهكذا سارت العلاقة بين كلية غردون التذكارية والجامعة المصرية تظللها غمامات من الشك والحذر . وظلت كلية غردون ترسل خريجيها للدراسات العليا الى الجامعة الامريكية فى بيروت أولا ثم الى الجامعات الانجليزية فى الاربعينات وما بعدها ولا أدرى متى أخذت تبعث بخريجيها الى مصر ولكن لابد ان يكون بعد استقلال السودان أو قبله بقليل .

(١) نفس المصدر ص ٤٢ بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٤٩م .

(2) SA/52-A-2/2, p.9 dated 13.2.1950

(3) SA/17-A-13, p.48 dated 13.2.1950.

النهضة الأدبية في السودان واتصالها بالنهضة في مصر

ترجع بداية النهضة أو قل اليقظة الادبية فى السودان الى عام ١٩٢٦م . وتلك هى الفترة التى بدأ فيها حمزة الملك طمبل نشر مقالاته عن الشعر السودانى فى صحيفة الحضارة ودعا فيها شعراء السودان الى الاصالة والصدق فى الشعر .

وفى هذه الفترة ذاتها كانت مصر تموج بحركة ادبية وفكرية وتستشرف نهضة اعلن عنها الدكتور طه حسين فى عام ١٩٢٧ م حين فجر (قنبلة) ادبية فى مصر بنشر كتابه (فى الادب الجاهلى) .. فاحدث هزات ارتجت لها اركان عالم الادب ، وترددت اصداؤها فى كل انحاء العالم العربى ، وكان تفجير هذه القنبلة بشيرا ونذيرا فى آن واحد ، بشيرا بنهضة ادبية تجاوزت مصر وعمت البلاد العربية كلها ، ونذيرا بخصام بين الادباء حمى فيه الوطيس ، واشتد فيه العراك والضرب الدراك .

وقد سبقت هذه النهضة الادبية ، سواء فى مصر أو فى السودان ثم واكبتها يقظة سياسية ووعى وطنى ، وثقة بالنفس عرضنا لها فى الفصول السابقة من هذا البحث . ولعل بداية هذا الوعى السياسى كانت منذ أوائل هذا القرن فى مصر خاصة ، اما فى السودان فيمكن ان نحددها ــ ان صح ان نحدد ظاهرة الأدب بالتواريخ كما تحدد المواقع ــ بعام ١٩١٩م. كان الادب السودانى على صلة بالعالم العربى صلة وعى وثقافة وفكر لاصلة امتداد جغرافى منذ ذلك الحين . وظهرت بوادر اليقظة السياسية فى العالم العربى بدرجة مختلفة فى القوة والضعف ، ولكنها سرت فى جسم العالم العربى كله من محيطه الى خليجه ، فكانت قوية فى مصر والعراق والشام والسعودية وفلسطين ، وفى بقية العالم العربى بدرجة أخف . ففى مصر اندلعت ثورة ١٩١٩ ، وأصابت السودان شرارة من تلك الثورة وكان قد تجمع من الوقود فى السودان ما مكنها من الاشتعال فاشتعلت ، وظل لهب الثورة متوهجا فى السودان حتى طرد المستعمر من دياره . وكانت رياح الشمال التى دفعت بشرارة اليقظة السياسية تحمل معها حركة ادبية وثقافية وجدت هى الاخرى ارضا طيبة ومناخا مواتيا فانبتت زرعا طيبا وأخرجت ثمرا جنيا شهيا .

وكان أكثر ما تبدت فيه بوادر النهضة الادبية فى السودان ظهور الصحف اليومية

والمجلات الثقافية ، والجمعيات الادبية . وكثيرا ما كانت تلك الجمعيات والمجلات تحمل فى طياتها افكاراً سياسية ، تعبر عنها احيانا بالرمز ، وتدعو احيانا اخرى الى تحسين الاوضاع ، واصلاحها دون مواجهة صريحة أو اعلان للحرب ضد الاستعمار . فأن هذه الجمعيات والمجلات كانت تعلم ان الاستعمار لن يطيل المكث بين مجتمع متعلم مثقف مهما كانت قوته وتسلطه وجبروته ، فبنشر التعليم ومحاربة الجهل نحارب الاستعمار .

وظلت الصحف والمجلات المصرية ترد الى السودان بغير إنقطاع منذ الحرب العالمية الاولى . فعلى الرغم من محاولة الانجليز منع تسرب الصحف والمجلات المصرية الـــى السودان كانت هذه الصحف والمجلات تصل الى القراء بشتى الوسائل والحيل وكلما امعن الانجليز فى منـــع المجلات والصحف المصرية من دخول السودان ازداد شغف السودانيين وتعلقهم بها ، وليس من شك ان ورود الكتب والمجلات وتدفقها عـــلى السودان كان له اثر بالغ الخطر فى الفكر والسياسة والثقافة . فتأثر ادباء السودان بادباء مصر وشعراؤهم بشعراء مصر ، جاروهم مقلدين فى بعض الاحـــيان ، ومنافسين أحيانا فى كثير من اغراض الشعر وموضوعات البحث والادب التى كانت تشغل الناس فى تلك الحقبة من الزمان .

وانقسم الادباء بين محافظين ومجددين فى السودان ، وهم أشد انقساما وخصاما فى مصر . وكان كل هذا تجارة رابحة للادب واللغة والسياسة ، حتى بلغت النهضة الادبية أوجها فى السودان متأثرة بالنهضة الادبية فى مصر . ولن نعرض لمظاهر هذا التأثر ونتائجه فى الادب السودانى الآن بل سوف نرجىء الحديث فيه الى مكان غير هذا وسنمضى نتابع صلة النهضة الادبية فى مصر بتلك النهضة التى ظهرت طلائعها فى السودان .

كتب صاحب مجلة الفجر عن اقبال السودانيين على الصحف والمجلات والكتب التى تصدر فى مصر فلا تستقر الا فى السودان مهما كانت قوة الحواجز التى اريد لها ان تحول بينها وبين المثقفين السودانيين .

« فى هذه الايام لا يلتفت الانسان فى الترام يمنة أو يسرة الا ويرى على يمينه أو يساره أحد الشبان يحمل مجلة الرسالة (وملحق السياسة الادبى والاجتماعى) أو كتابا ظهر جديدا فى مصر والكل يقرأون باهتمام ولا يلتفتون الا حين ترسل نكتة طريفة الآونة

بعد الاخرى ، فيرفع الواحد منهم رأسه ، ويرسل بسمة طفيفة فيها رشاقة وحلاوة ثم يسبل جفنه ويمضى فى قراءته . وهذه الظاهرة كثيرا ما تدعو المرء للتفاؤل والاعجاب ، وتدفعه ليحلم ان هنالك نهضة أدبية صحيحة ، واننا بعد عام أو عامين سنرى انتاجا أدبيا ناضجا ونرى افكارا طريفة من جماعة المتعلمين والشبان منهم بوجه خاص » . (١)

ومن أهم تلك المجلات والصحف التى تصل السودان ويقبل عليها السودانيون ذلك الاقبال الذى وصفه صاحب الفجر : السياسة الأسبوعية ، لمحمد حسين هيكل ، والرسالة لأحمد حسن الزيات ، ومجلة أبولو التى أصدرها الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، ومجلة المقتطف لفــؤاد صروف . وكان أكثرها رواجا وتوزيعا البلاغ التى بلغ توزيعها فى الخرطوم وامدرمان نحو خمسمائة نسخة ، وبلغ توزيع روز اليوسف نحو اربعمائة وسبعين نسخة . فاذا أخذنا فى الاعتبار نسبة التعليم فى السودان فى بداية الثلاثينات وعدد القراء سنجد ان تلك نسبة عالية فى رواج تلك المجلات وإنتشارها .

وفى هذه المجلات ينشر كثير من الأدباء السودانيين اعمالهم الفنية شعرا ونثراً فستجد قصائد للشاعر محمد سعيد العباسى فى السياسة الأسبوعية . وتجد فيها وفى الرسالة قصائد للتجانى يوسف بشير . وقد كتب فى البلاغ الأسبوعية عبد الله عشرى الصديق والتجانى يوسف بشير وتوفيق أحمد البكرى . وكانت البلاغ الأسبوعية توزع فى كثير من المدن الكبرى فى انحاء السودان ، فى الخرطوم وامدرمان ، وبور سودان ، وسنار والابيض . كما كانت تنشر بعض الدراسات والبحوث عن موضوعات سودانية يكتبها سودانيون احيانا ومصريون احيانا أخرى .

ولم يكن السودان متلقيا دوما لما يصدر عن أدباء مصر وشعرائها ، بل كان لأدبائه وشعرائه عطاء يحمله النيل مع فيضه نحو الشمال ،وتحمله مجلات أدبية تصدر فى الخرطوم وتصل مصر بطريقة منتظمة وغير مقطوعة . فصدرت فى هذه الفترة مجلة (النهضة) لصاحبها ورئيس تحريرها محمد عباس ابو الريش فى عام ١٩٣١ م . استمرت مدة اربعة عشر شهرا تزخر بالموضوعات الأدبية ، والبحوث الاجتماعية الجادة . وقد تجلى من خــلال تلك المقالات بحق المستوى الرفيع فى الثقافة والفكر والادب الذى وصل اليــه

---

(١) مجلة الفجر ، المجلد الاول ص ٣٣

السودانيون . وينبغي ألا ننسى القيود التي كان يفرضها عليهم الاستعمار فلا يتحركون الا في حدود ، ولا ينطلقون في فكرهم إلى المدى الذي يتطلعون اليه . ثم اضف إلى هذا كله ما يجدون من مشقة وعنت في مجال النشر . فلم تكن تلك المجلات تمول من الحكومة أو الشركات وانما كانت تعتمد على افراد تمتعوا بارادة قوية وعزم جبار للمشاركة في نهضة وطنهم ، ولكن قصرت بهم الوسائل وأعجزتهم السبل . فكم من مجلة أدبية بدأت ثم توقفت حين اعوزت اصحابها الامكانات .

ونشرت مجلة النهضة في تلك الفترة الوجيزة التي صدرت فيها مائتين وسبعة واربعين موضوعا في الادب والاجتماع ، ومائة وخمسا واربعين قصيدة ، واحدى وثلاثين قصة ، وثلاثة وثلاثين مقالا في النقد الادبي . (1)

ثم خلفت مجلة النهضة مجلة أخرى كان لها نصيب الاسد في ارساء قواعد تلك النهضة الادبية في السودان وتوثيق العلاقة بينها وبين النهضة الادبية في مصر تلك هي مجلة «الفجر» لصاحبها ورئيس تحريرها عرفات محمد عبد الله .

وصحب هذا النشاط الفكري والثقافي إنشاء جمعيات ادبية جديدة . فانشئت جمعية أدبية للخطابة في أمدرمان ، اتخذت نادي الخريجين مقرا لها ، وقامت جمعية أدبية في مدينة عطبرة تمارس نشاطها في النادي السوداني ، وجمعية ثالثة في مدينة ود مدني تقوم بنشاط واسع في نادي الموظفين .

وفي القاهرة قام السودانيون بانشاء النادي السوداني ، يجتمعون فيه ويتحدثون في قضايا الأدب والسياسة كما كان يفعل اخوانهم المصريون في القاهرة . وكان اعضاء النادي السوداني في القاهرة اشد حرصا على الاتصال بالسودان فاذا انتخبوا لجنة جديدة ارسلوا اسماء اللجنة لتعلن في مجلة الفجر فتكتب مجلة الفجر :

« فقد ارسل السيد سكرتير النادي السوداني بمصر الشاب المهذب توفيق افندي أحمد البكري الطالب بالجامعة المصرية اسماء لجنة النادي إلى مجلة الفجر في يونيو ١٩٣٥ م» .

وتصل مجلة الفجر إلى القاهرة فترحب بها الاوساط الادبية ، وتحفل بها بعض

---

(1) محجوب محمد صالح ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ ــ صدر اول عدد من مجلة النهضة يوم ١٩٣١/١٠/٤

المجلات والصحف ، ويقبل عليها القراء والكتاب . فتجد ومن يتنال بعض موضوعاتها بالنقد تارة وبالاخذ عنها تارة . تجد من المجلات ما تأخذ عن الفجر وتنشره فتذكر الفجر مرة وتغفل ذكرها مرات فتعاتبها الفجر على الاغفال وتحمد لها الذكر .. ونقرأ فى مجلة الفجر ، عدد أغسطس ١٩٣٤ م هذا العتاب للمجلات والصحف فى مصر .

« يسرنا كثيرا بل مما نفخر به بحق أن نشاهد ما يدل على تلقى مجلتنا فى بدء نشأتها فى القطر الشقيق بقبول حسن . فقد نقلت السياسة فى عددها الصادر فى ٨ يوليو نقد زميلنا محمد أحمد محجوب لديوان الملاح التائه للمهندس الشاعر على محمود طه ، وعادت فى عددها الصادر فى ٢٥ يوليو فنقلت قصة (إلى القرية) لاديبنا المجهول حسن أحمد يس وصدرتها بعبارة (قصة سودانية) ولكن فاتها فى المرة الثانية ان تنوه بما يفيد نقلها عن الفجر ، ولعل هذا كان سهوا وهو قليل الاهمية ، بجانب اغتباطنا للفوز بتقدير الشقيقة الكبرى . على ان الذى نلاحظه على شيوخنا فى الصحافة اننا بادأنا الرصيفات باهداء اعداد المجلة اليهن منذ صدورها ولم تبادلنا منهن الا (المجلة الجديدة) فلصاحبها الاستاذ سلامة موسى منا جزيل الشكر على أدبه وحسن تقديره راجين ان نظفر من بقية الزملاء بمثل هذا الالتفات . »

ولا يدخل فى روعك ان المجلات المصرية قد إنقطعت عن السودان ، وان مجلة الفجر تحث تلك المجلات واصحابها ان يدفعوا بها الى مدن السودان . فأن المجلات والصحف المصرية لم تنقطع عن السودان منذ ان اتصلت كما ذكرنا آنفا ، ولكن مجلة الفجر تريد شيئا آخر ، تريد اعترافا رسميا من مثيلاتها فى مصر بأنها مجلة ادبية ثقافية ، وأخشى أن تكون مجلة الفجر قد أحست بمستواها الرفيع ، وخالجها شك فى ان بعض المجلات المصرية لاتريد ان تجهر بهذا وتعترف به حسدا من عندها . وسوف ترى فيما بعد كيف اتخذ هذا التنافس بين الادباء فى مصر والسودان شكلا جديدا ، وكيف دخلت فيه الأهواء الشخصية وكادت تعصف بالتعاون بينهم النزعات السياسية . وليس هذا غريبا بل الغريب ان يعيش الادب بمنجاة عن السياسة فى تلك الفترة من الثلاثينات ، ولعل الادب لم ولن ينجو فى اى حقبة من الزمان ماضيه وحاضره من السياسة . وكان لوجود الاديب معاوية محمد نور فى القاهرة أثر كبير فى التعريف بمجلة الفجر فى أول سنى صدورها . فقــد كان معاوية يشترك فى تحرير صحيفة الايجبشن ميل Egyptian Mail

فلما صدرت المجلة فى الخرطوم أرسلوا له نسخا منها فكتب معاوية مقدماً لها ومعلقا على موضوعاتها . فرحب بها واثنى على المجهود الذى بذل فى اخراجها . ثم أخذ عليها بعض الاشياء التى تتعلق بالمحتوى والاتجاه عامة . فلاحظ انها تكاد تقتصر على موضوعات الادب والفنون الخالصة . وانها لاتعنى كثيرا — كما ينبغى لها — بموضوعات ومباحث اقتصادية وزراعية تفيد الفلاح فى حقله والعامل والتاجر فى عمله . وحين يقول معاوية مثل هذا فانما يتحدث ويعبر عن طموح كثير من المثقفين السودانيين سواء كانوا ممن يكتبون فى المجلة ام من يقرأون ما يجدونه فيها . فهم يريدون لها ان تكون متكاملة تفى بكل حاجات البلاد المتطلعة الى النهضة فى جميع مرافقها ، ولكن انى للفجر فى ذلك الوقت ان تتوافر لها الظروف والامكانات لتبلغ شيئا مما يطمح اليه هؤلاء المثقفون من امثال معاوية محمد نور . فان طموح ذلك الجيل لاتحده حدود ، ليس له مدى ينتهى به فى مراد يحده . كان جيلا مثاليا رومانطيقيا فى كل مايأخذ ، فى الادب وفى السياسة والحياة كلها . وهذا مما ساعد على تلك الحركة الادبية التى اسميناها نهضة ادبية فى السودان . وفى الحق ان السودان لم يشهد مثيلا لها لا من قبل ولا من بعد . ومايزال الكتاب والنقاد ومؤرخو الادب فى السودان عوالين على ذلك الجيل .

ومن حسن الاتفاق وجميل التوفيق ان تنجب مصر الولود فى هذه الفترة نفسها جيلا من الادباء والكتاب أصبح هو الآخر دعامة النهضة الادبية وعمدة الفكر والثقافة الى هذا اليوم ، أولئك هم طه حسين وعباس محمود العقاد وتوفيق الحكيم والدكتور محمد حسين هيكل وغيرهم كثير .

ومع تطور الآحداث ومر الايام زاد اهتمام مجلة الفجر بالموضوعات التى نبه اليها معاوية محمد نور . فاخذت تتصدى لبعض الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية شيئا فشيئاً . فان الطبقة المثقفة من ذلك الجيل كانت تتمتع بوعى كبير وتقدر اهمية العلاقات الاقتصادية بين مصر والسودان . فما تحين فرصة فى اى مناسبة الا نبهت مجلة الفجر مصر وقادتها ، فتلوم حين يبدو لها القصور فى اى ناحية وتبصر مصر بدورها وواجبها نحو السودان ، ثم تثبت لها الجميل وتعترف بالفضل حين تفعل مصر مايرجى منها .

زارت بعثة اقتصادية مصرية السودان عام ١٩٣٥م للتفاوض مع بعض الشركات فى الخرطوم . وكانت مجلة الفجر تعلم ان اقتصاد السودان فى أيد اجنبية ، وان الوفد

الاقتصادي الذى جاء من مصر يفاوض اناسا لايمتون الى شعب السودان بصلة. فهم اما من اليونان أو الطليان . وهى تعلم ان هذه الشركات تستغل شعب السودان وخيراته . وتحول عرقه وجهده الى مصلحة تلك الشركات لينعم بها هؤلاء المستغلون ، والشعب مغلوب على امره . وهنا كان واجب مجلة الفجر ان تسأل مصر سؤالا صريحا :

« مع من تفاوض وفد مصر وعلى من من رجال البلاد عرض خطته ومشروعاته؟ وماذا يقولون لاخواننا فى القطر الشقيق ؟ وعماذا من ميزاتنا وخصائصنا سيتحدثون ؟ واى خطوة سيقولون انهم قطعوها فعلا فى سبيل التعارف والتعاون الاقتصادى بين مصر والسودان ؟ ومع من ابرموا العهد وامضوا الميثاق ؟ »

وهكذا تضطر مجلة الفجر الى الخوض فى موضوعات لايمكن اغفالها والا فان يرضى عنها المثقفون الذين يشاركون فى انتاجها ويتحرقون شوقا ان يروا احلامهم تتحقق بما يرجون من وعى ونهضة للسودان . وليس من شك ان الخوض فى السياسة عظيم الخطر فى تلك المرحلة من التاريخ ، فالسياسة محرمة فى السودان سواء اكان ذلك بالكلمة المكتوبة فى المجلات والصحف ام بالكلمة المقولة فى النوادى الاجتماعية والثقافية ، ولكن الى متى المواربة والحذر والاحداث يأخذ بعضها برقاب بعض . ففى مايو ١٩٣٥م قرر محررو مجلة الفجر ان يتقدموا خطوة طالما انتظرها المثقفون ، ولم يختاروا ان يتقدموا هذه الخطوة فى صمت بل جهروا بها واعلنوها على الملأ كله . فكتب رئيس التحرير فى عدد مايو من ذلك العام :

« تدخل الفجر بظهور هذا العدد عهدا جديدا كان لابد لها منه فى حياتها ، فبينما كانت المجلة فى الماضى معنية قبل كل شىء بالفنون والاداب فسيكون أكثر اهتمامها منذ الآن بحياة البلاد الاجتماعية والسياسية .» (١)

ولم يشأ رئيس التحرير ان يوضح اسباب هذا التحول الكبير فى اتجاه المجلة كأنه شىء لايحتاج الى بيان . فهو شىء حتمى ولعله قد تأخر بعض الشىء ، ولكن رئيس التحرير مضى يصف اتجاه المجلة ويحدد مسارها فنفى انتماءها لاى من الاحزاب القائمة فى ذلك الوقت أو الاشخاص ذوى النفوذ من السودانيين ، وأكد التزامها جانب الملايين الكادحة من الشعب السودانى .

---

(١) الفجر ، مجلد ١ ، عدد ١٩ أول مايو ١٩٣٥م ص ٨٧٨

« ولسنا من أنصار أو جماعة قائمة أو لديها بارقة امل فى الوجود ، بل اننا نرمى بقدر ما يستطيع بشر الى ان نرى الاشياء على حقيقتها ، وان نرى تحررا كاملا من وصمة العصبية وداء الحزبية وربقة التحيز . فحزبنا هو الامة السودانية باسرها ، لانرضى بما دون ذلك ، ونخص اذا خصصنا تلك الملايين التى تـكدح خافتة الحس أكثر من طبقـة (الافندية) أو سواهم ممن هم فى شيء من لين العيش من أهل الحواضر »

وهذا كلام فيه مافيه من جد وتجرد لانقاذ تلك الملايين الكادحة التى تنتظر مخلصا بين هؤلاء المثقفين يأخذ بيدها ، فيزيل عنها كابوس الاستعمار ، ويفك قيدها فتنطلق نحو التقدم والرقى .

وكان حافظ ابراهيم شاعر النيل فى مصر هو شاعر تلك الملايين فى كل من مصر والسودان . فاذا احتفل ادباء مصر بذكرى حافظ تحرك ادباء السودان للاحتفال بذكراه ففى الذكرى الاولى لوفاته تكونت لجنة من الادباء لاحياء ذكرى حافظ . وحين تلكأت اللجنة فى اقامة الحفل نددت بها مجلة الفجر ، وعابت عليها توانيها وتقصيرها .

« مضى على وفاة شاعر النيل عامان ولاتزال الحسرة تتجدد على فقده ، ومما يزيدها عمقا وشرة ان اللجنة التى تألفت لاحياء ذكراه بعيد وفاته لم تنفذ برنامجها وفيها مـن اصدقائه من تحتّم عليهم الصداقة الا يغفلوه أو يحرموه شيئا من وقتهم ، وفيها من الادباء من كان من العقل ان يضربوا بمسلكهم نحو حافظ مثلا لادباء الجيل القادم يوم لايعودون الا ذكرى . »

ومـا احسب ان الوقت كان اهـم العوامل التى أدت الى هـذا التقصير فى أداء واجب محتوم على الادباء ولمسة وفاء لامندوحة من التعبير عنها . وأكبر الظن ان الظروف السياسية هى التى حالت دون تحقيق رغبة أولئك الادباء الاصدقاء

وقد ألمح الى هذه الظروف وأشار اليها الكاتب نفسه بطريق غير مباشر اذ يقول :

« وقد ترقبنا مجلة ادبية واحدة تصدر عددا باسمه فلم نظفر ، ولم نسمع . وقد كان من اللائق ان نحيى ذكرى حافظ الثانية ببحث ضاف عنه ولكن ما نعرفه بيننا وبين انفسنا من المعاذير يرضينا على عدم أداء هذا الواجب بعض الرضا . »

فما هذا الشيء الذى يعرفونه فى انفسهم ولايستطيعون الافصاح عنه ؟

واتسع الاتصال فى الثقافة بين مصر والسودان حتى شمل المسرح الذى كان فى بدايته فى مصر. فكانت مصر تبعث بالفرق التمثيلية لتعرض مسرحيات فى السودان . ففى عام ١٩٣٥ زارت فرقة تمثيل مصرية السودان فتناولتها مجلة الفجر مرحبة وناقدة وموجهة وكان هذا دأب هذه المجلة منذ صدورها ، اتسمت بالاصالة وثقة فى النفس معجبة . فكتبت تقول :

« جميل جدا ان نرى طلائع الاتصال بين القطرين الشقيقين ليس فى التجارة والاقتصاد فحسب وليس فى ميدان الادب عن طريق تبادل المعرفة بالكتب والصحافة بل ومن الناحية الفنية حيث نشهد فرقة مصرية تشد رحالها لتمثل على خشبة المسرح بعض الروايات المصرية التى تعطى فى الغالب فكرة عن مختلف طبقات الشعب المصرى . » !(١)

ثم تتناول بالنقد ماتعرض هذه الفرقة فتنكر عليها استعمال اللغة العامية المصرية فى الحوار ، وتدعو الى استعمال اللغة الفصحى لأنها ابقى واقرب الى فهم جميع الشعوب العربية .

« كل الروايات التى عرضت حتى الآن باللغة المصرية الدارجة وسواد الشعب بلا شك لايفهم هذه اللغة فهما دقيقا وان كان فحوى الرواية لايغيب عنه ، وربما أنهم جاءوا ـ كما قال لى الاستاذ عبدالمجيد شكرى احد افراد الفرقة ـ لسواد الشعب فنحن نشير عليهم ان يميلوا الى تمثيل الروايات الموضوعة فى لغة عربية فصحى. ولعل هذا يلفت نظر بعض القائلين فى مصر بأن اللغة الدارجة يجب ان تكون لغة المسرح الى ان اللغة العربية الفصحى هى الرباط الوحيد بين كل شعوب الشرق ومن الخير ان تكون لغة الادب والفن حتى تكون الصلة بين الشعوب وثيقة ويحدث بينها ما يسمونه بزواج الثقافات وتلاقحها وحتى يعطف من فى السودان والعراق وفلسطين وسوريا على من فى مصر وهكذا يتبادل العطف ونشعر بالوحدة العربية »

كان هذا وعى المثقفين فى السودان منذ اربعين عاما مضت يتحدثون عن الوحدة العربية ويعبرون عن تطلعات الجماهير العربية فى التقدم . ولايرون الى هذا من سبيل غير توحيد اللغة والثقافة والفكر بين جميع الشعوب العربية . وهذا ما ظلت تناضل من اجله

---

(١) الفجر ، المجلد ١ ، عدد ٢٠ مايو ١٩٣٥م ص ٩٦١ .

الامة العربية إلى هذه اللحظة ولن تبلغ منه شيئا الا اذا وحدت ثقافتها وفكرها ومزاجها ولسانها ، فتلك هي القاعدة التى تبنى عليها الوحدة الباقية بين العرب جميعا .

واصطلحت على النهضة الادبية فى السودان ظروف غريبة عصفت بها وهى فى عنفوان شبابها . من هذه الظروف ان نشبت الحرب العالمية الثانية فأدت إلى توقف المجلات الادبية ، ومنها مرض بعض محررى المجلات وموت بعض الأدباء النابغين مثل التجانى يوسف بشير ومعاوية محمد نور .

وقد تعرضت النهضة فى مصر لمثل ما تعرضت له النهضة فى السودان من ظروف الحرب ولكن اسعد الحظ مصر فابقى على عدد كبير من قادة الحركة الأدبية فيها حتى وطدوا دعائمها بعد ان زالت ظروف الحرب .

ومن أعجب الصدف ان تلد مصر فى تلك الفترة قادة للادب والفكر كالعقاد وطه حسين والحكيم وان يظل هؤلاء اعمدة للنهضة فى مصر إلى هذا اليوم . فلو عمر معاوية محمد نور ولم تختطف المنون التجانى يوسف بشير فى عنفوان شبابه ، ولم تسرق السياسة محمد أحمد محجوب من ميدان الادب لكان لقصة الادب فى السودان شأن كبير وحكاية غير هذه التى نقص طرفا منها الآن .

وهذا ثبت بالصحف والمجلات التى ظهرت فى السودان منذ فتح السودان إلى عام ١٩٤٠ م .

١ — جريدة الغازيتة السودانية : صدرت بعد الاحتلال مباشرة ١٨٩٩ م وكانت النشرة الرسمية للحكومة .

٢ — جريدة السودان ١٩٠٣ — ١٩٢٥ م تصدر مرتين فى الأسبوع واصحاب امتيازها هم اصحاب المقطم .

٣ — مجلة غرفة التجارة السودانية : صدرت عام ١٩٠٨ م .

٤ — جريدة الخرطوم انشئت عام ١٩٠٩ م ولم تستمر طويلا .

٥ — جريدة رائد السودان : صدرت ١٩١١ م وكان اصحاب امتيازها يونانيين . رأس تحريرها عبد الرحيم قليلات السورى حتى عام ١٩١٥ م فتولى من بعده تحريرها حسين شريف إلى عام ١٩١٩ م .

٦ ـ حضارة السودان (الاولى) صدرت بعد الحرب العالمية الاولى وكان أصحاب امتيازها عبد الرحمن المهدى وعثمان صالح ومحمد عكاشه خليل . وكان رئيس تحريرها حسين شريف ثم تحولت حضارة السودان الاولى إلى مرحلة جديدة فأصبح اصحاب امتيازها السادة على الميرغنى وعبد الرحمن المهدى والشريف يوسف الهندى وظل رئيس تحريرها حسين شريف .

٧ ـ الجريدة التجارية : صدرت ١٩٢٦ م . كان صاحب امتيازها ومحررها داوود منديل فتحولت إلى جريدة ملتقى النهرين عام ١٩٣١ م ثم تلاشت فى جريدة حضارة السودان عام ١٩٣٤ م .

٨ ـ مجلة النهضة الأدبية : كان يحررها محمد عباس ابو الريش ١٩٣١ م ثم توقفت بموت صاحبها عام ١٩٣٣م .

٩ ـ مجلة مرآة السودان : كان يحررها سليمان كشة توقفت عام ١٩٣٤ م .

١٠ ـ مجلة الفجر : انشئت عام ١٩٣٤ م وكان صاحبها ورئيس تحريرها عرفات محمد عبد الله . توقفت بعد مماته .

١١ ـ جريدة السودان عام ١٩٣٤ م كان صاحب امتيازها الشيخ عبد الرحمن أحمد .

١٢ ـ جريدة النيل وهى أول صحيفة يومية صدرت عام ١٩٣٥ م وأصحاب امتيازها شركة الطبع والنشر . وكان أول رئيس تحرير لها حسن صبحى المصرى ثم آلت من بعده إلى الأستاذ أحمد يوسف هاشم . وكانت الصحيفة الممثلة لحزب الأمة فى السودان .

١٣ ـ صـــوت السودان : صدرت عام ١٩٤٠ م وكانت تمثل الختمية بزعامة السيد على الميرغنى .

وقد صدرت نحو خمس وثلاثين صحيفة ومجلة فى السودان منذ بداية هذا القرن وحتى عام ١٩٥٨ م منها خمس صدرت بين عام ١٩٣٥ م و ١٩٤٥ م ، وعشرون فى الفترة بين عام ١٩٣٦ م وعام ١٩٥٥ م ثم صدرت عشر بعد استقلال السودان (١).

---

(1) P. M. Holt, op.cit, p 208.

ولعل المستر هولت يتحدث عن الصحف والمجلات ذات الطابع السياسى التى بدأها بجريدة النيل عام ١٩٣٥م .

النزعة الاستقلالية في الأدب السوداني

تميزت النهضة الادبية فى السودان فى الثلاثينات بنزعة استقلال ظاهرة لا يخطئها كل من درس هذا الأدب دراسة متأنية واعية .

وكانت هـــذه السمة أوضح ما تبدت فى النقـــد الادبى ثم الشعر والمحاولات الابداعية فى هذا الفن .

وقد تأثرت هذه النزعة بعوامل عدة منها الواضح البين ومنها الخفى المستتر وراء أستار من الأدب . فمن تلك الأسباب الواضحة التى أدت إلى هذه الظاهرة فى الأدب السودانى المنافسة بين ادباء مصر وادباء السودان ، وليس هذا من قبل المبالغة او التفاؤل فان الشعراء والنقاد السودانيين فى اوائل الثلاثينات كانوا يحسبون — ان حقا وان باطلا — انهم لا يقلون فى مستواهم الادبى عن شعراء مصر ونقادها . ولعل النقاد والشعراء كانوا يأملون ان يغلبوا هؤلاء ويبزوهم وإن هم سبقوهم إلى الفن وتتلمذوا عليهم بعض الوقت . وظاهرة المنافسة بين شعراء العربية قديمة قدم الشعر العربى ذاته . فكان شعراء الاقاليم على امتداد العالم العربى يتنافسون ويتحدى بعضهم بعضا فى الشام والحجاز واليمن والعراق والاندلس . ولا نعنى بالمنافسة ان بعض السودانيين قد حاول ان يأتى بجديد فى المحتوى او الشكل الذى تواضع عليه العرب وانما نقصد انهم حاولوا التفوق والسبق فى الصنعة والفن بأدواته وقوالبه المعروفة . ولا ننكر بعض محاولات التجديد فى شعر حمزة الملك طمبل والتجانى سواء فى الموضوع الشعرى أو المعنى والتجربة الشعرية .

والعامل الثانى الذى اثر فى النزعة الاستقلالية هو أثر من مؤثرات الثقافة الغربية والأدب الغربى بوجه خاص فى كل من مصر والسودان .

وخالط العاملين السالفين وساعد على ظهور السمة الاستقلالية فى الادب السودانى دوافع سياسية متأثرة بالظروف السياسية التى وجدت فى السودان والعلاقة بين مصر والسودان ونزوع السودانيين وتطلعهم إلى الحرية والاستقلال فى وطنهم . وكان هـذا أخفاها ، فلا تكاد تراه الا من خلال ستار او انعكاسا من مرآة لا تبدى لك صفحة حتى تخفى أخرى .

بدأت المنافسة بين الأدباء فى مصر والسودان بأن احس ادباء السودان اهمالا وصمتا من أدباء مصر ازاء ما يخرج الادباء من جنوب الوادى وهم يظنون انهـم قد احسنوا وابدعوا شيئا يستحق المدح والاطراء .

كثيرا ما شكت مجلة الفجر إهمال الصحف والمجلات المصرية للادب السودانى، فمرة تجد بعض الصحف المصرية تأخذ بعضا مما تنشر مجلة الفجر فتعيد نشره دون الإشارة إلى المصدر الذى اخذت عنه . فتعاتبها مجلة الفجر على هذا الصنيع . وتلاحظ مجلة الفجر أن الصحافة المصرية كانت أكثر اهتماما بأخبار التجارة والاقتصاد منها باخبار الأدب فاذا زارت بعثة اقتصـادية مصرية السودان من أجل التجارة وجد السودان مكانا فى الصحف المصرية ولكن لا تكاد تجد له ذكرا فى مجال الادب مهما عظم أمره .

« لقد كان هذا الادب غفلا لا تعامله الصحافة المصرية الا بالاهمال حتى ليندر أن تقع العين على صحف مصر الراقية او مجلة من مجلاتها المحترمة على شىء من هذا الأدب مهما كانت جودة ما يبعث به إلى تلك الصحف والمجلات » (١) .

وتعود صحيفة السياسة المصرية تأخذ قصصا ومقالات وقصائد من مجلة الفجر فتنشرها فلا تشير إلى الفجر ، وكان هذا يغيظ مجلة الفجر ويحمل صاحبها على عتاب السياسة .

« ذكرنا فى عدد سابق ان جريدة السياسة نقلت غير مرة قصصا ومقالات وقصائد وسواها مما نشر فى مجلتنا ، واننا جد مغتبطين بهذا التقدير ، واننا جد فخورين بان نحظى بمثله من قوم ما زلنا نعتبرهم اساتذتنا فى الآداب الرفيعة وفى الصحافة جميعا . ولم نأخذ على السياسة الا أنها اغفلت التنويه — سوى مرة واحدة — بالمصدر الذى نقلت منه تلك البحوث وسواها . وقد رأينا انها عادت وفعلت مثل ذلك فى اعدادها الاخيرة ولم تذكر الفجر بكلمة واحدة ! ونحن نمسك عن التعليق على هذا التصرف فاننا لسنا فى حاجة إلى تذكير شيوخنا وبنى عمومتنا بما تقتضيه التقاليد الصحفية من نسبة الفضل إلى ذويه .

« ولنا ان نوجه نظر الاستاذ الدكتور هيكل بك إلى هذه المخالفة للمألوف موقنين انه لا يرضاها . ولا نقول للسياسة كفى عن النقل ، ففى ذلك فخر لنا ولكن نقول اذكروا

---

(١) مجلة الفجر ، مجلد ١ ، عدد ٢٠ ، ١٦ مايو ١٩٣٥م ص ٩٤٢

الفجر يذكركم ونسأل استاذنا الكبير ايضا ان كان اغفالهم مبادلتنا – ولو بالملحق الأدبى – له صلة باغفال ذكر الفجر فى معرض النقل ؟! » (١)

وكان الادباء النقاد فى السودان يتناولون بالنقد بعض الكتب التى تصدر فى مصر وترد اليهم فى السودان قبل ان يتحدث عنها نقاد مصر . فما كانوا ينتظرون النقاد فى مصر حتى يقيموا العمل الفنى ويصدروا فيه حكما ثم يتبعون هؤلاء مثل ما حدث بعد فترة من هذه الحقبة، واخشى ان أقول إلى هذا اليوم فى السودان . كانوا حريصين ان يكون لهم رأى مستقل فى الاعمال الفنية شعرا او نثرا . فتجد الناقد محمد أحمد محجوب ينقد ديوان على محمود طه المهندس (الملاح التائه) قبل ان يتناوله أدباء مصر فى اى مجلة أو صحيفة ويصدر فيه الاحكام ويبدى رأيه غير متأثر باحد سوى قراءاته ومناقشاته مع أصدقائه من الشعراء والكتاب فى السودان . (٢)

ولم يكن هذا وقفا على ما يصدر من كتب بل شمل كل نشاط يمت إلى الأدب والفكر بصلة . فاذا كرم اتحاد الجامعة المصرية رئيسها الاستاذ لطفى السيد بعد عودته اليها كان للفجر فى هذا التكريم والاحتفال حديث. وكان لها رأى فى مكانة الاستاذ لطفى السيد رأى مستقل عن كل ما قيل فيه . وتنقل لنا مجلة الفجر تلخيصا لما قيل فى الحفل فتروى لنا ان كل الناس قد فهموا من تلك الحفلة «انها تكريم إلا الاستاذ طه حسين فقد قال : ولم نجتمع اليوم لنكرم استاذنا لطفى السيد فهو فى نفوسنا اكبر وآثر من حفلات التكريم ، وانما اجتمعنا لنشكر له يدا اسداها إلى الجامعة ذلك ان الامر الذى منيت به الجامعة حقا لم يكن فى نفسه خطيرا وقد ظلمت الجامعة وكانت مصر كلها مظلومة فلم تزد الجامعة على ان احتملت ما احتملته مصر انما النعمة التى اسداها لطفى السيد إلى الجامعة والتى اجتمعنا لنشكرها له انه حينما استقال من منصبه اعلن ان الجامعة تشعر كما يشعر المصريون وتحس كما يحس المصريون فتأبى الظلم كما اباه المصريون . اعلن ان الجامعة قطعة من مصر وصورة لمصر وخليقة ان تشرق بها شمس الحرية الصحيحة على مصر يوما ما » .

ثم تعلق الفجر على هذا فتقول :

« ونحن فيما نعلم من سيرة الاستاذ لطفى السيد انما ننضم إلى فريق المبتهجين بعودته

---

(١) الفجر ، مجلد ١ ، عدد ٩ أكتوبر ١٩٣٤م ص ٣٨٤

(٢) الفجر ، مجلد ١ ، عدد ٢١ يونيو ١٩٣٥م ص ١٠٠٧

إلى الجامعة لاسيما وهو رجل مجيد الماضى فى هذا الميدان عظيم الاثر فى الادب المصرى الحديث ولكن ليس بما اخرج من الكتب والمؤلفات وانما بمن تخرج على يديه من كبار كتاب مصر وادبائها . والحق ان المرأ ليرتاب حينا وليأسف حينا آخر حين يرى ان هذا الرجل يغالى فيه المغالون فيضعونه فى صف الفلاسفة ويلقبونه بالمعلم الاول وينسب اليه تلامذته والمعجبون به اول الفضل فى احياء الادب العربى واليد الاولى فى وضع حجر الزاوية للادب الحديث . ان المرأ ليأسف حقا على ان هذه الشخصية لم يعرف لها حتى الآن اثر ادبى يحقق هذه الدعوة التى يغذيها المعجبون (١) به وانه ليمعن فى الاسف حتى يبلغ به درجة الارتياب .. »

فهذا رأى مجلة الفجر. اولا يجعل الحفل إبتهاجا بعودة الاستاذ لطفى السيد فحسب خلافا لما يقول به الدكتور طه حسين ، وثانيا يخالف الرأى العام الذى كان معجبا بالأستاذ لطفى السيد أشد اعجاب ، ويدعو الى الاقتصاد فى التقدير والاعجاب .

ثم يصدر للدكتور محمد حسين هيكل كتابه عن (حياة محمد) وتقام له فى مصر حفلة تكريم وتنقل مجلة الفجر خبر هذا الحفل ثم لا تنسى ان تبرز رأيها المستقل فى هذا العمل الجديد :

« ونحن على عهدنا بمؤلفات الدكتور هيكل نلخص رأينا فيه للقراء لا اعتمادا على أى شيء سوى الاثر الذى تركه فى نفوسنا ومجمل هذا الرأى ان الدكتور هيكل ممن مهدوا للادب الحديث بل من رواده وان تفكيره من النوع الاستطرادى المتسلسل الذى يتقصى النقطة العارضة حتى يكاد ينسيك اصل الموضوع وانه ليس بالعميق الفكر كالعقاد مثلاولا بالمتميز الأسلوب البيانى كطه حسين ولا بالمشرق الديباجة كالزيات ولا بالبارع فى تصوير الحياة كالمازنى . ولكننى لن انسى إلى الابد مقالين لهيكل احدهما (مغرب شمس فى بودابست) والثانى (مصرع الوطن) ينعى فيه سعدا . وحسنة هيكل انه من خيرة كتاب الوصف » (٢)

وكثيرا ما يبلغ هذا التنافس درجة الهجوم على بعض الكتاب المصريين فيرد الكاتب بأسلوب عنيف .

---

(١) مجلة الفجر ، مجلد ١ ، عدد ١" يونيو ١٩٣٥م ص ٩٩١

(٢) الفجـــر ، مجلد ١ ، عدد ٢١ يونيو ١٩٣٥م ص ٩٩٢

كتب عشرى الصديق مقالا طويلا فاحصا انتقد فيه المازنى واشتط فى نقده وتحليله وكان المازنى فى تلك الفترة فى خصام اشد مع منافسيه من الكاتبين والشعراء فى مصر، فغاظه هذا النقد واكثر ما غاظه فيه انه لم يتوقعه بتلك الصورة . فقد فاجأه عشرى الصديق بنقده له اولا وفاجأه ثانيا بشدة عارضته واصابته المقاتل من المازنى .

وما كان من المازنى الا ان يرد عليه باسلوبه الخطابى « وهل لى ان اصبر على هذه المعاول العشرية تضرب فى هامة رأسى ضربا ولا ضرب غرائب الابل تكسر العظم وتهيض الجناح ، وهل ترانى اقف مكتوف اليدين مشرد الفكر مقسم الجنان ازاء هذا النقد الجرىء الذى وان كان بريئا الا انه يحمل فى طياته اعتدادا وقوة فى الحكم على بما لا استطيع له صبرا » (١) .

هكذا كان ذلك الجيل من أدباء السودان معتدين بقدراتهم الفنية واثقين بأنفسهم اكبر ثقة وهذا مما ساعد على ظهور هذه النزعة الاستقلالية التى نتحدث عنها فى تلك الفترة.

اما العامل الثانى من ظاهرة الاقليمية فى الادب السودانى فكان متأثرا بذات الحركة فى مصر وبالادب الغربى كما اشرنا آنفا .

أول من حمل لواء الدعوة إلى الاصالة وكسر التقليد فى الأدب السودانى هو حمزة الملك طمبل . وكانت الصيحة موجهة إلى الشعراء بصفة خاصة . وقد الف حمزة الملك طمبل شعرا حاول ان يحقق فيه ما يدعو اليه من صدق فى الشعر ومهد لديوانه بمقالات فى نقد الشعر نشرت فى صحيفة « الحضارة » عام ١٩٢٧ م شرح فيها فكرته وتصوره للشعر . وطبعت هذه المقالات فى كتاب عام ١٩٢٨ بعنوان « الادب السودانى وما يجب ان يكون عليه » ونشر « ديوان الطبيعة » عام ١٩٣١ م .

ويخلط حمزة الملك طمبل حديثه عن الادب بآخر عن شخصية الامة وقيمتها .

« ولا تنتظروا ان تسمعوا منى كلاما لم يسبق لكم سماع مثله او حكما صارما على شاعر او كاتب بل لكم ان تنتظروا منى ابداء رايي بوضوح فى الموضوع موضوع الادب السودانى وما يجب ان يكون عليه ، وهو موضوع جليل خطير يجب ان يهتم به

(١) الفجـــر ، مجلد ١ ، عدد ٥ اغسطس ١٩٣٤م ص ٢٠٦

كل كاتب ومفكر وذلك لان قيمة الامة او شخصيتها اظهر ما تكون فى ادبها قبل كل شىء آخر . » (١) .

فماذا كان يعنى حمزة الملك طمبل بالامة وشخصيتها ؟ هل كان يفكر فى كيان مستقل للامة السودانية ام يردد ما كان يدور فى الاوساط الادبية فى مصر .

وتبدو دعوة حمزة الملك طمبل بسيطة ولكنها معقدة غاية التعقيد فى حقيقتها . فهو لم يطلب من الشعراء سوى الصدق فى التعبير والعاطفة حين يقولون الشعر وهذا أمر عسير لا يقدر عليه الا قليل من الشعراء ليس فى عهد حمزة بل فى كل العصور السابقة واللاحقة .. وهذه هى القضية الكبرى ، قضية الصدق فى العمل الفنى مهما كان لونه وشكله ووسائل التعبير التى يستخدمها الفنان ، فى الشعر والنثر والنحت والرسم والرقص .

« لقد قرأت بعضا مما كتبه دعاة المذهب « الادبى » الجديد عن المذهب القديم ودعاته فلم اهتد فيما قرأت إلى تعريف ظاهر يصح ان يكون حدا فاصلا بين المذهبين ولكننى اقتنعت بانهم لو قالوا (اصدقوا) وسكتوا لكان فى هذه الكلمة فصل الخطاب »(٢)

ولعله كان يشير إلى مدرسة العقاد حين يذكر المذهب الادبى الجديد . فقد كان تأثره بالعقاد واضحا لا يستطيع اخفاءه فتجده يستشهد بتعريف العقاد للشعر فيقول : « ان الشعر كما عرفه الاستاذ العقاد هو لب اللباب وحقيقة الحقائق والجوهر الصميم من كل ماله ظاهرة من متناول الحواس والعقول » (٣) .

تكاد فكرة حمزة الملك طمبل عن الاصالة فى الشعر والتعبير تنحصر فى جانب الطبيعة الجغرافية او لعل هذا اهم جزء فيها . فقد اسمى ديوانه « ديوان الطبيعة » ليدل على اهتمام الشاعر بالطبيعة واعتماده عليها فى الاصالة التى ينشدها ولا يفتر عن الحديث فى موضوعها .

يقول فى نقده لبعض شعراء السودان موجها ومرشدا :

« واعتقادى انه لو سار الادباء فى الطريق الذى نرسمه لهم فى هذا الكتاب وبقية

(١) حمزة الملك طمبل ، الادب السودانى وما يجب ان يكون عليه ، بيروت ١٩٧٢م ص ٣٠
(٢) نفس المصدر ص ٣٦
(٣) نفس المصدر ص ٣٨

اجزائه فسيتخذ الادب السوداني له مجرى غير مجراه الحالى ويصبح بعد سنين قلائل أدبا بارزا يستحق الدرس والتقدير لاسيما وان مجال الطبيعة بالسودان اوسع من مجالها بمصر ويتسنى للادباء هنا ان يكونوا اكثر اتصالا بها من الأدباء هناك. » (١)

ويغالى حمزة الملك طمبل فى دعوته إلى الصدق فى التعبير عند الشعراء يطالبهم ان يأتى الشعر صورة صادقة للسودان ممثلا للبيئة متميزا عن كل شعر سواه قيل فى بلاد أخرى . « هذه الصورة التى نشير اليها نود ان تكون دالة على السودان ومذكرة من يراها به اعنى (سودانية) بكامل معناها حتى الشاوخ والوشم . » (٢)

فى هذا الوقت كانت دعوة الاقليمية فى الادب قد ظهرت (٣) وكان من دعاتها والمروجين لها الدكتور محمد حسين هيكل والاستاذ امين الخولى فى مصر . دعا محمد حسين هيكل إلى أدب مصرى بحت ، يتحدث فيه الشاعر او الناس عن طبعة مصر نيلها ومدنها وأثارها الشاهدة للعيان وإنسانها المتميز عن كل من عداه بكل خصائصه . فاذا قرأت شعرا او نثرا ينبغى ان تعلم من النص وحـــده ان هذا الشعر لشاعر مصرى وان هذا النثر لا يأتى الا من اديب مصرى ولا يكتب الا فى مصر ، وكل ادب غير هذا لا يجوز وهو تقليد فى نظر الدكتور محمد حسين هيكل . وقد وضع الدكتور محمد حسين هيكل كتابا شرح فيه دعوته واقام الحجة على القائلين بوحـــدة الثقافة والادب فى كل البلاد العربية وكان هو الآخر متأثرا بكتاب الغرب الذين قرأ لهم كثيرا واعجب بهم كثيرا .

وهكذا بدأت ظاهرة النزعة الاستقلالية فى الأدب السودانى بالتنافس فى الابداع بين مصر والسودان واعانتها عوامل مشتركة بين أدباء مصر وأدباء السودان فان كلا من هؤلاء وهؤلاء كان ذا اطلاع واسع ومباشر على المصادر الغربية فاخذوا عنها أخذا مباشرا وتأثروا بها بطريق مباشر كذلك — فلا غرو ان تظهر الدعوة لاقليمية الأدب فى كل من مصر والسودان فى وقت واحد .

وفى اواسط الثلاثينات دخل عامل جديد كان لابد ان يدخل فى تلك الظروف

---

(١) نفس المصدر ص ٩٠

(٢) نفس المصدر ص ٦٥

(٣) ابراهيم الحاردلو ، مجلة الخرطوم ، ابريل ١٩٧٤م ، ص ١٥

ذلك العامل هو عامل السياسة . وكان الادب وعاء السياسة وغير السياسة فى تلك الأيام .

بـــدأ هذا بحوار بين حمزة الملك طمبل اول من دعا إلى اقليمية الادب فى السودان والاستاذ محمد احمد محجوب . فكان حمزة الملك طمبل ينطلق فى دعوته من حرصه على كسر قيد التقليد والصدق فى التعبير عن البيئة والعصر الذى يعيش فيه الشاعر بينما كانت دوافـــع محمد أحمد محجوب قوميـــة سياسية . فـــكان محجوب مشغولا بالدعوة للـــذاتية السودانية بتكوين أمة سودانية ذات سمات خاصة بها تميزها عن سائر البلاد العربية . ولعل محجوب كان يرى ان الادب يمهد لتحقيق الأستقلال الذاتى بكل ما يعنى .

ففى حين يرى حمزة الملك طمبل فصل الماضى عن الحاضر ينادى المحجوب بربط الحديث بالقديم واتصاله به . فعلى الشاعر او الكاتب ان يبنى حديثه على قديمه وان يضيف أما الهـــدم فلا .

واشتط حمزة الملك طمبل فى دعوته للتجديد مما حمله على السخرية ببعض ما وجد فى لزوميات المعرى من تعريف للشعر فانبرى لـــه محمد أحمد محجوب يدافع عن المعرى دفاعا حارا ويؤكـــد لحمزة ان تعريف المعرى للشعر لا يختلف فى شىء عن تعريف العقاد ويدعو المحجوب إلى اتصال الماضى بالحاضر .

« فان ابا العلاء مجدد بمعنى الكلمة عرف التجديد وهو فى عالم الخفاء وما مجددو اليوم الا سائرون على منهاجه ومتعلقون بمبادئه فالمعرى ليس من دعـــاة القديم فى شىء وأن كان منهم . هل يتاح لك قطع الصلة بين الماضى ؟ ان الماضى هو الذى تبنى انت جديدك على انقاضه فان صرفت النظر عنه كنت على غير اساس » . (١)

ويرد حمزة على هذا الكلام بطريقة اعتذارية يبين فيها ان حديثه عن قطع الماضى عن الحاضر مقصور على «الموضوع المحدود الخاص باوزان الشعر وبحوره! » ولكنه يلتقف عبارة وردت فى مقال المحجوب « البناء على انقاض الماضى » فيفسرها تفسيرا حسيا ويسخر : « على اى انقاض قام خزان سنار ؟ انه لم يقم على انقاض ولكنه قام على بناء جديد قام على اساس جـــديد ! دعوا هذا ودونكم انقاض مدينة سنار فابنوا عليها مدينة

---

(١) محمد احمد محجوب فى « الا دب السودانى وما يجب ان يكون عليه » . بيروت ١٩٧٢م ص ٤٢ . المقال رد على مقال حمزة الملك طمبل .

ولو بالطوب النى . هيهات هيهات . » [١]

وليس من شك ان دعوة طمبل إلى قطع الصلة بالماضى لم تكن مقصورة على الشعر كما حاول هو تبرير ما أخذه عليه المحجوب بل كان يريد لها ان تشمل كثيرا من جوانب الحياة . ولكن لم يستطع الجهر بهذا فى ذلك الوقت المبكر وفى تلك الظروف التى كانت تحيط به ولكنك تجد هذا فى ثنايا كلماته وفى حماسته واندفاعه للتجديد وسخريته من القديم، فيصف حديث المحجوب بالوهم : « هذا الوهم السائد المسيطر على ادمغة الكثيرين من شيبنا وشبابنا والذى هو عامل من عوامل استلابنا وتأخرنا يكاد يتجسم لك فى قول الاديب المحجوب (ان الماضى هو الذى تبنى جديدك على انقاضه) . [٢]

ثم تطور هذا الحوار حين دخلت فيه السياسة بطريقة واضحة وانقسم الناس فيه كعادتهم فريق يدعو إلى وحدة الثقافة بين مصر والسودان مستشعرا الظلال السياسية فى كل هذا على اساس ان وحدة الثقافة تسبق وتمهد للوحدة السياسية فكان زعيم هذا الاتجاه الاستاذ حسن صبحى ، وفريق يدعو إلى ثقافة سودانية مستقلة عن الثقافة المصرية تكون لها خصائصها المستقلة وتفردها وتنوعها ولا يعنى هذا قطع الصلة بمصر او ادبها وكان زعيم هذا الاتجاه الاستاذ محمد احمد محجوب.وآخرون يدعون إلى مزج الثقافتين وزواجهما ان صح هذا التعبير . [٣]

واتخذ الحوار طابع المناظرات السياسية فاقيمت مرة ندوة بنادى الخريجين بأمدرمان ٢٣ مارس ١٩٣٥ م كانت مناظرة بين محمد أحمد محجوب وحسن صبحى وكان عنوان المناظرة « الثقافة السودانية يجب ان تقوم بذاتها منفصلة عن الثقافة المصرية » دافع عن هذا المضمون محمد احمد محجوب وعارضه حسن صبحى فى جمع غفير من السودانيين المؤيدين لكل من الخطيبين . وإهتمت مجلة الفجر بهذه الندوة فنشرت ملخصا لما دار فيها من حجج واثارت مزيدا من النقاش والجدل وامطر الكتاب مجلةالفجر بوابل من الخطابات والرسائل مؤيدين ومعارضين وشغلت الناس فترة من الزمن . [٤]

---

(١) الادب السودانى وما يجب ان يكون عليه ، ص ٥٠

(٢) المصدر السابق ، ص ٥١

(٣) الفجر ، مجلد ١ عدد ٢١ اول يونيه ١٩٣٥م ص ٩٩٥

(٤) الفجر ، مجلد ١ عدد ١٩ اول مايو ١٩٣٥م ص ٨٩٣

ودار الصراع بين الأدباء فى فهم علاقة الادب السودانى بالادب فى مصر ، صلته بالادب المصرى تأثره به او امتزاجه . وكانت مجلة الفجر تنشر مقالات محجوب ويوسف مصطفى التنى وعرفات محمد عبد الله احيانا وكانوا ثلاثتهم يدعون إلى ادب سودانى مستقل وكانوا لا يفترون عن توضيح ان الدعوة الى استقلال الادب السودانى « لا تعنى فصل كل من الامم العربية عن الأخرى » (١) .

وامتد هذا الحوار حتى وصل إلى المجلات المصرية فكتبت مجلة (أبو الهول) ترفض دعوة قومية الادب السودانى وتتهم الداعين اليها بالانفصالية ثم ترد مجلة الفجر مبينة ان دعوة استقلال الادب السودانى ليست دعوة إنفصالية .

وقــد بلغت الدعوة إلى قومية الادب السودانى ذروتها فى النصف الاول مــن الثلاثينات حين دخلت فيها العوامل السياسية وأخرى شخصية . فكان لوجود حسن صبحى فى السودان وتوليه رئاسة تحرير جريدة «النيل» وتصديه لبعض القضايا بنوع من الإستعلاء أثر كبير فى حدة النقاش بين الفريقين .

يدافع محمد أحمد محجوب عن قومية الادب السودانى فيرى ان مصر لم تبدأ فى تكوين ادبها القومى المعبر عن الحياة المصرية والبيئة المصرية الا قريبا ، فان شعراء مصر شوقيا وحافظا واحمد محرم ما يزالون يتحدثون عن الخيام والنوق والهوادج ويتغزلون فى دعد وسعاد على عادة العرب قديما، وان العقاد والمازنى لا فرق بين شعرهما فى المعنى والصور وبين شعر توماس هاردى أو شيلى ، فهو شعر انجليزى فى لغة عربية . (٢)

ويستثنى المحجوب من كل ما قرأ مما كتب الادباء المصريون كتاب (الايام) لطه حسين فقد وجد فيه اثرا للحياة المصرية وكتاب فكرى اباظة « الضاحك الباكى » وكتاب المازنى « صندوق الدنيا » وان كان يرى ان الاخير لا يخلو من النقل والتقليد لبعض الكتاب الغربيين . لهذا يرى المحجوب ان الادباء السودانين يمكن ان يردوا نفس المورد الذى نهل منه ادباء مصر ثم يكونوا ادبا سودانيا خالصا يعبر عن البيئة السودانية ، « ادبا يعبر عن مرئيات من سماء زرقاء اوملبدة بالسحب ومن غابات كثيفة وصحراوات قاحلة ومروج

---

(١) مجلة الفجر ، مجلد ١ عدد ٢٤ اول اغسطس ١٩٣٥م ص ١١٣٨

(٢) الفجر ، مجلد ١ عدد ٢٢ يونيو ١٩٣٥م ص ١٠٤١

خضر ومن حياة بدوية هادئة إلى حياة عصرية صاخبة ومن إيمان فى الكجور والسحرة إلى ايمان بالله وحده لا شريك له ومن حب للحسن الطرى الناعم المنظم المشذب إلى تقدير للجمال الساذج ! (١).

وكانت مجلة الفجر منبرا لهذه الدعوة إلى استقلال الادب السودانى والابانة عنها فاذا كتبت « البلاغ » منوهة بمجلة الفجر رد عليها صاحب الفجر قائلا :

« اننا لنقدر للكاتب غيرته الادبية والقومية التى تبدو فى طريقة معالجته لهذا الموضوع العتيد موضوع الرابطة الأدبية بين قطرين شقيقين شريكين فى السراء والضراء مرتبطين برباط مثلث من اللغة والدين و الجوار لن يزيده الزمان الا قوة مهما جهل ابناؤهما او بعض ابنائهما حقيقة ذلك ومداه . وان التفاهم الادبى ـ ان أدت هذه العبارة المعنى الذى اقصد اليه ـ ان وجد وسار بين البلدين لهو أقوى وأبقى على حوادث الايام والليالى من كل ما يقوله السياسيون من حقوق بالفتح أو حقوق بالمعاهدات .وقد ثبت فى كل زمان ومكان ان الاولى لا وجود لها الا قائمة على اسنة الرماح وان الثانية قصاصات من ورق تعصف بها اقل الأعاصير السياسية عنفا . » (٢)

فهو يشير إلى ما كان يدور فى الصحافة المصرية عن قضية السودان ويؤكد ان كل ذلك شىء متغير وغير ثابت وان الصلة الحقة ما وثقت عراها آصرة الادب والثقافة بين الشعبين .

وكثيرا ما شكت مجلة الفجر من جهل المصريين بالسودان وهى تعتبر ان هذا الجهل من أكبر العوائق فى سبيل الفهم الصحيح للسودانيين :

« اثارت كتابة بعض الجرائد والمجلات المصرية عن السودان وبعض الصور التى تنشر عنه سواء كانت فوتغرافية ام كاريكاتوريه اهتمام الكثيرين من ابناء هذه البلاد لان الرصيفات المصريات لا تدل كتاباتها الا عن جهل تام بأحوال القطر الشقيق الذى تربطه مع مصر آلاف السنين من الاختلاط الودى والاحتلال واوا صرالدم والقربى واللغة والدين .

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٤٤

(٢) الفجر ، مجلد ١ ، عدد ١٢ نوفمبر ١٩٣٤م ص ٥٥٨

« ولا يصح للشعب المصرى ان يجهلنا مثـــل هذا الجهل بل يكاد ينكر علينا اننـــا عرب فهم اذا رسموا السودان فى المفاوضات مثلوه بفتاة سوداء غليظة الشفتين عارية الجسد عليها سواد دونه سواد ليل امرىء القيس واذا نشروا صورا فوتغرافية نشروا صور بعض النازحات من السودان الفرنسى لا فرق بينهم فى ذلك وبين السواح الافرنج الذين يزورون مصر والسودان فلا ينقلون عنهما الا أسوأ الأخبار وأقبح المظاهر . » (١)

وعلى الرغم من هذا العتاب العنيف فانك لن تجد اسم مصر الا مقرونا بصفة الشقيقة ولا تجد عنوانا او بابا فى مجلة الفجر « فى القطـر الشقيق » يعنى غير مصر .

---

(١) الفجر ، نفس المصدر ونفس الصفحة .

ملاحق الكتاب

١ ـ مذكرة السفارة البريطانية فى القاهرة إلى الحكومة المصرية .

٢ ـ مذكرة المستر نيوبولد السكرتير الادارى عن إنشاء المدرسة المصرية فى الخرطوم .

٣ ـ مقترحات الاتفاقية التى تنشأ بموجبها المدرسة المصرية فى الخرطوم .

٤ ـ خطاب فؤاد سراج الدين سكرتير حزب الوفد المصرى لوكيل حكومة السودان بالقاهـــرة .

nt in reduced fees to 20% of the total numbers of entrants in any year, together with 5 for distinction scholarships.

(6) The Headmaster of the school will be responsible for its proper conduct and will have authority to represent the Ministry on ordinary matters not involving general policy. In matters of general policy reference will be made to the Ministry.

(7) The school will conform to the rules of the Sudan Government as regards accommodation, sanitary and building requirements, and will be open to the visits and inspections of the Director of Education or his representative who will render all assisteance that they can in ensuring its satisfactory conduct.

(8) The names and qualifications of all teachers must be registered with the Department of Education at Khartoum.

(10) It is proposed also to open elementary classes at Jebel Aulia and Gordon's Tree for the children of Egyptians stationed there. The above provisions will apply generally to them, in so far as they are necessary.

(8) The School will conform to the rules of the Sudan Government as regards accommodation, sanitary and building requirements, and will be open to the visits and inspections of the Director of Education or his representative who will render all assistance that they can in esnuring its satisfactory conduct.

(9) The names and qualifications of all teachers must be registered with the Department of Education at Khartoum.

(10) It is proposed also to open elementary classes at Jobel Aulia and Gordon's Tree for the children of Egyptians stationed there. The above provisions will apply generally to them, in so far as they are necessary.

PROPOSALS FOR AN AGREEMENT CONCERNING THE OPENING OF AN EGYPTIAN SECONDARY SCHOOL IN KHARTOUM

DRAFT C.

(1) It is proposed by the Egyptian Government to open, if possible in 1943, a Secondary School for boys in Khartoum, which will provide a five year course. It will open with four classes (two first-year and two second-year) and will admit two first-year classes in each subsequent year.

(2) Any further increase in the size of the school will be a matter of negotiation between the Egyptian and the Sudan Governments.

(3) The Egyptian Government does not desire to compete with the educational system provided by the Sudan Government for the Sudanese. Therefore preferences for entry will be given to Egyptian boys who will have first claim on vacancies. Second preference will be given to any Sudanese boys already at Secondary Schools in Egypt whose parants may prefer them to be at school in Khartoum. Third preference will be given to non-Egyptian boys who definitely wish for post -secondary education in Egypt and for whom the Egyptian syllabus is therefore likely to be more suitable.

(4) The Headmaster will confer with the Director of Education on the admissions of non-Egyptians in the light of the preferences indicated in paragraph 3 above, before such admissions are made final, and will submit to him the names of all Sudanese puplis admitted from year to year. Since the syllabus of the Egyptian Ministry of Education differs from that of the Education Department of the Sudan Government, the Director of Education would not normally agree to the admission of Sudanese boys other than the categories named in paragragh 3. In the event of any disagreement the matter shall be referred to the Governor General for decision.

(5) It is the intention of the Egyptian Government to charge a fee equal to that charged at Assuan in Upper Egypt, and to limit free places or the equivale-

(9) The names and qualifications of all teachers must be registered with the Department of Education at Khartoum.

(10) It is proposed also to open elementary classes at Jebel Aulia and Gordon's Tree for the Children of Egyptians stationed there. The above provisions will apply generally to them, in so far as they are necessary.

PROPOSALS FOR AN AGREEMENT CONCERNING THE OPENING OF AN EGYPTIAN SECONDARY SCHOOL IN KHARTOUM

DRAFT B.

(1) It is proposed by the Egyptian Government to open, if possible in 1943, a Secondary School for boys in Khartoum, which will provide a five year course. It will open with four classes (two first-year and two second-year) and will admit two first-year classes in each subsequent year.

(2) Any further increase in the size of the school will be a matter of negotiation between the Egyptian and the Sudan Governments.

(3) The Egyptian Government does not desire to compete with the educational system provided by the Sudan Government for the Sudanese. Therefore preferences for entry will be given to Egyptian boys who will have first claim on vacancies. Second preference will be given to any Sudanese boys already at Secondary Schools in Egypt whose parents may prefer them to be at school in Khartoum. Third preference will be given to non-Egyptian boys who definitely wish for post-secondary education in Egypt and for whom the Egyptian syllabus is therefore likely to be more suitable.

(4) It is not the intention of the Egyptian Government to admit Sudanese boys to this school other than the special cases mentioned in paragraph 3 above.

(5) The Headmaster will confer with the Director of Education on the admissions of non-Egyptians in the light of the prefernces indicated in paragraph 3 above, before such admissions are made final, and will submit to him the names of all Sudanese pupils admitted from year to year. In the event of any disagreement the matter shall be referred to the Governor General for decision.

(6) It is the intention of the Egyptian Government to charge a fee equal to that charged at Assuan in Upper Egypt, and to limit free places or the equivalent in reduced fees to 20% of the total numbers of entrants in any year, together with 5 for distinction scholarships.

(7) The Headmaster of the school will be responsible for its proper conduct and will have authority to represent the Ministry on ordinary matters not involving general policy. In matters of general policy reference will be made to the Ministry.

PROPOSALS FOR AN AGREEMENT CONCERNING THE OPENING OF AN EGYPTIAN SECONDARY SCHOOL IN KHARTOUM

DRAFT A.

(1) It is proposed by the Egyptian Government to open, if possible in 1943, a Secondary School for boys in Khartoum which will provide a five year course. It will open with four classes (two first-year and two second year) and will admit two first-year classes in each subsequent year.

(2) Any further increase in the size of the school will be a matter of negotiation between the Egyptian and the Sudan Governments.

(3) Since the aim of the School is a community school for Egyptian boys in the Sudan, preference for entry will be given to Egyptian boys who will have first claim on vacancies. Second preference will be given to any Sudanese boys already at Secondary School in Egypt whose parents may prefer them to be at school in Khartoum. Third preference will be given to non-Egyptian boys who definitely wish for post-secondary education in Egypt and for whom the Egyptian syllabus is therefore likely to be more suitable.

(4) It is not the intention of the Egyptian Government to admit Sudanese boys to this school other than the special cases mentioned in paragraph 3 above.

(5) The Headmaster will confer with the Director of Education on the admissions of non-Egyptians in the light of the preferences indicated in paragraph 3 above, before such admissions are made final, and will submit to him names of all Sudanese pupils admitted from year to year. In the event of any disagreement the matter shall be referred to the Governor General whose decision shall be final.

(6) It is the intention of the Egyptian Government to charge a fee equal to that charged at Assuan in Upper Egypt, and to limit free places or the equivalent in reduced fees to 20% of the total numbers of entrants in any year, together with 5 for distinction scholarships.

(7) The Headmaster of the school will be responsible for its proper conduct and will have authority to represent the Ministry on ordinary matters not involving general policy. In matters of general policy reference will be made to the Ministry.

(8) The school will conform to the rules of the Sudan Government as regards accommodation, sanitary and building requirements, and will be open to the visits and inspections of the Director of Education or his representative who will render all assistance that they can in ensuring its satisfactory conduct.

a school established by e.g. the British or Greek Government would equally be a non-Government school.

(ii) That before the granting of such a permit is recommended to His Excellency by the Director of Education, the Director of Education shall prescribe such conditions as shall obviate the dangers enumerated in para ii above. These conditions would include either prohibition or severe limitation of Sudanese entry and periodical inspections by his Department, irrespective of the proposed inspections from Cairo.

The relevant Section of the Education (Non-Government Schools) Ordinance 1927 reads as follows :— ...

"8.(i) No new school shall be established save with the approval of the Governor-General. The proprietor shall send a notification in writing to the Director of Education not less than three months before it is proposed to open the school giving such particulars as may be prescribed and shall not open the school unless he has been notified by the director that the consent of the governor general has been given the Governor-General may withhold his consent altogether, or subject to conditions, or until such time as the Director is satisfied :—

(a) that the school will be properly conducted.

(b) that the staff will be competent to teach the subjects proposed by the proprietor.

(c) that provision is made for the teaching of husbandry or some useful trade or craft".

Civil Secretary's Office,
Khartoum.
15.11.1939

Mr. Cox wrote a private omnibus letter on 7/10/39 to Mr. Roseveare on (a) the Egyptian Secondary School in Khartoum (b) Sudanese being educated in Egypt (c) National Schools in Omdurman. Mr. Roseveare was unable to study this fully before his departure South but told C.S. that he agrees with Mr. Cox' main caveats about the Secondary School. The dangers of this school are as follows :—

(i) We cannot have two rival educational systems in the capital: the Sudan Government has decided, at great pains and considerable cost, to improve and extend its secondary system, and to super-impose a nucleus of postsecondary faculties, which will be the embryo of a true Sudanese University. The intermediate, secondary, and post-secondary syllabi are arranged to subserve each other and form a smooth educational ladder. If this ladder has an alien rung at any point it becomes unstable, and the de la Warr programme is frustrated.

(ii) 'Quality, not quantity' is our educational motto. Egypt's is the reverse, and if their Secondary School admits numbers of Sudanese boys, ex-Intermediate or others ,who normally could not get in to the Gordon College, and gives them doubtful certificates, white-collar unemployment, hitherto kept down here, will be as prevalent as is India and Egypt.

(iii) There will obviously be difficulty and jealousy in competition for posts in Sudan Government service between Sudanese products of the Egyptian School and the Gordon College, nor can this be entirely eliminated by the civil service examination system. We must give preference to those who have followed the Sudan Government syllabus.

(iv) The same difficulty would arise over the intake into the Post-Secondary schools.

(v) There would also be a danger that the sons of Egyptian officials and traders, whose domicile in the sudan is difficult to determine, may squeeze out Sudanese boys from Sudan Government jobs.

(vi) It seems likely that the Egyptian School would be tempted to undercut the Gordon College in its fees, and thus skim some of the cream of the Sudan Intermediate Schools.

(vii) The existence of an Egyptian Secondary School admitting Sudanese freely might endanger the plan of the second Sudan Government Secondary School at Medani, on financial grounds.

It therefore seems conclusive that we must insist on two conditions :—

(i) that the normal statutory permit to open a School be applied for by the sponsors of the School from the Director of Education under the Non-Government Schools Ordinance. *N.B.* Any claim that this is a Government School must be of course resisted. There is only one Government in the Sudan, and

written him a letter (copy attached to this memorandum).

In September one Mohd. Bey Abd El Halim of Egyptian Ministry of Public Works, visited the Public Works Department and Medical Officer of Health in Khartoum in search of information re local building conditions and regulations. He was accompanied by the Divisional Engineer of the Egyptian Irrigation Department and left Khartoum before Governor or C.S. knew he was here. The projects which he mentioned to the Government architect were:

1. Office and Showroom for Economic Adivser ... ... £E. 7000-£E. 10000
2. School ... ... £E. 15000-£E. 20000
3. Officials' house ... ... £E. 2000-£E. 3000

On November 2. Abuna Yohanna visited Mr. Newbold and said he had written a long report to Cairo in April in answer to the Under Secretary's request (dated 21/3/39) for several reforms (including the formation of a School Board composed of Inspector-General and Economic Expert, inter alios) but had had no answer and had heard that the project was abandoned.

(It had been previously announced in El Nil, issue of 17/8/39. that Council of Ministers had abandoned the proposal on grounds of lack of funds). But in the Egyptian Mail (about 27/10/39) there was reference to the inclusion of a theatre in "the Egyptian secondary School being built by the Ministry of Education in Khartoum", and in "El Misri" of 20/10/39 mention was made of "a cultural expert for the Sudan, who would also occupy the post of Nazir of the Secondary School".

This brings the story to date. The project seems to be still on the tapis, and even if temporarily in abeyance through the war it is desirable to state the objections to it, and the conditions which can be reasonably imposed to minimise them.

The Objections are (a) political (b) educational. There can be no objection to the Egyptian Government wishing to ensure that numerous Egyptian children in the Three Towns get an adequate education (elementary, primary, secondary) at Egyptian hands. This can be done *either* (preferably) by internal reforms or reorganisation of the secondary section of the existing "Coptic" school, *or* (as the Egyptian Government have apparently decided) by the creation of a new Egyptian secondary School. But it now appears that the functions of the School may be more embracing, and will include (a) admission of Sudanese who either cannot or will not enter the Gordon College and (b) a sort of centre of Egyptian "cultural" influence, directed from Cairo. (Plays? films? debates? lectures? which may or may not be objectionable).

starting a school at the expense of the Egyptian Government". Awad Bey arrived in Khartoum and together with Abdel Qawi had an interview with Mr. Cox on 27/12/38, where they denounced the Coptic School and compared it with Dotheboys Hall. They bothe declared categorically that any secondary school started by the Egyptian Government would be *for Egyptians only* and would not be the concern of the Sudanese "who had their own schools and system of education". On 2/1/39 Awad Bey had an interview with the Governor -General and adumbrated the proposal for an Egyptian Secondary School installed and financed by the Egyptian Government. He repeated that in no case would such a school be open to other than Egyptian students. His Excellency asked him to keep the Director of Education informally apprised of negotiations with the Coptic School authorities, and reminded him that before any official arrangements could be made, it would be necessary to obtain a site and a permit to open from the Sudan Government. Awad Bey accepted this.

Next day Abd El Qawi Bey and Awad Bey went to see Governor Khartoum about a site, but took no action (and have taken none since) about applying formally for permission under the Education (Non Government Schools) Ordinance 1927. The Egyptian Government appear to have assumed that Awad Bey's conversation with His Excellency signified unconditional approval. Moreover the earmarking of the school for Egyptian boys only seemed gradually to be going by the board, as in March 1939 the Egyptian Press published details of a much more ambitious plan, £E. 51000 capital cost and provision for 400 boys, *Sudanese as well as Egyptian.* Abd El Qawi explained to Mr. Gillan in April that Sudanese boys would be confined to persons wishing to graduate in Egypt. The Congress Magazine however (April issue) assumed that *all* Sudanese boys would be eligible.

In July 1939 Messrs. Gillan and Cox agreed that the project should be viewed with suspicion and that strict conditions limiting Sudanese entry must be laid down before any application could be approved.

On July 16th Governor Khartoum received a formal application for the allotment of Block XI.C. west from the Acting Inspector-General of Irrigation on behalf of the Egyptian Government and the Governor replied that this would be laid before the Khartoum Town Planning Board, which would not assemble before October or November. This office was not informed of these letters or the opportunity would have been taken of reminding the Inspector-General that the Egyptian Ministry must get in touch with the Director of Education and make a formal application for the school with, details of staff, curriculum, and entry. The opportunity has now arisen as the Inspector-General has sent Governor a reminder (dated 2/11/39) about the site, and this office has

17.D.1

SECRET.

NOTE ON PROPOSED EGYPTIAN SECONDARY SCHOOL IN KHARTOUM.

There has been for about 19 years a Coptic School in Khartoum with elementary, primary, and Secondary Sections, containing 90, 258, and 130 boys respectively (1937 figures), a total of 478, and a staff of 21. (There were also 400 girls). It was, until a few years ago, an independent private school belonging to the Coptic Church (there are also Coptic Schools at Atbara, Khartoum North, Omdurman, El Obeid, Port Sudan). It was controlled by a Committee of Copts under the Presidency of Abuna YOHANNA SALAMA. As it was the only Egyptian School in Khartoum Egyptian Moslems sent their children to it and it was a *moderately* competent and happy institution. undenominational in composition. Coptic in management, probably a bit old fashioned.

After 1934, the Egyptian Ministry of Education stimulated by Abd El Qawi Bey began to interest themselves in it. They decided to send an annual Board of Examiners and to subsidise it to the tune of £E. 820 p.a. The 1936 Treaty also helped to create a new situation, as sectarian and political factors tended to oppose the continuation of this large school on (a) private (b) *rather* incompetent (compared with G.M.C. and Comboni) (c) Christian bases. The Ministry's Inspectors reported badly on the organization, staff arrangements, and sanitation. It is clear, apart from exaggerations and Abd El Qawi's personal bias, thatthe old priest in charge was uncompromising and averse to even reasonable reform. (Our information is that the primary section is quite good, but secondary section only fair).

Trouble ensued and in June 1938 a report appeared in the Egyptian Press that a Committee in the Ministry of Education was considering the establishment (by the Egyptian Government) of a Secondary School at Khartoum. The Coptic Abuna took alarm and the A/Governor-General (Mr. Gillan) wrote privately to Sir Miles Lampson on 5/7/38 but the Embassy had nothing to add to the reports, except that the ostensible raison d'etre of the proposal was to facilitate that taking of Egyptian examinations by Sudanese (later it was said that there were 300 Sudanese school boys in Egyptian primary and secondary schools).

The matter was raised in the Egyptian Chamber of Deputies in December when it was announced that the Deputy Under Secretary for Education Mohd. Awad Ibrahim Bey would visit the Sudan "to enquire into the possibility of

school buildings in Khartoum ,but that no plans for these buildings have ever been prepared or submitted to the Sudan Government. It is understood that recently, in view of public statements which had been made regarding the early opening of the school, and in spite of the absence of any plans for the buildings, the Egyptian authorities proposed to open the school in temporary accommodation in the existing Irrigation Rest House buildings in Khartoum. The Sudan Government felt unable to agree to this proposal because it was impossible to provide in these buildings accommodation conforming to the standards of space, ventilation, lighting, etc, laid down in their regulations. It also appeared that adequate provision had not been made for the accommodation of the teaching staff which in the circumstances prevailing in Khartoum at present would have been a problem of considerable difficulty. To overcome this difficulty and to facilitate the opening of the school at the earliest possible moment, perhaps at the beginning of the Sudan school year on January Ist next, the Sudan Government have now proposed the following arrangements:

(1) The Egyptian authorities will immediately prepare a plan of the permanant buildings which they propose to erect on the site already made available for them, and submit this to the Sudan Government in order to ensure that it conforms to local regulations.

(2) Mean while the Egyptian authorities will put up on the site available for the permament school buildings, temporary buildings of a design to be approved by the Sudan Government containing the classrooms etc, necessary for the operation of the school for the period, estimated at less than one year, within which it will be possible to build the permanent school buildings. This can be done without any interference with the plans for the pemament buildings. The latter would not in any case cover the whole area of the site, and plenty of room is available for the construction of the comparatively small temporary accommodation which would be required for the two classes with which it is proposed to open the schoolunderstood that suisŗ ʇI ·t able temporary accommodation could be built in a very short time, probably not more than one or two months, and at small cost, probably under £ 500.

(3) The small teaching staff required at first could be accommodated in the Irrigation buildings.

His Majesty's Embassy are satisfied that these arrangements will provide the most suitable and practical solution of the problems which have arisen, and earnestly hope that the Eqyptian authorities will agree with their view.

The British Embassy, Cairo.
12th. October, 1943.

and upset the educational system in the Sudan. On the assumption that the intentions of the Egyptian authorities are as the Sudan Government have hitherto assumed, the Sudan Government would greatly prefer that paragraph 4 of Draft A should be left in the final agreement.

If, contrary to the Sudan Government's understanding, it is now the desire of the Egyptian authorities to throw the School open to Sudanese in general, this could entirely alter the situation and the Sudan Government would not in these circumstances be able to pursue the negotiations.

The Sudan Government are prepared to modify the wording at the end of paragraph 5 of Draft A in accordance with the wishes of the Egyptian Government. The last sentence would the read: "In the event of any disagreement the matter shall be deffferred to theGovernor-General for decision". They have felt able to agree to this modification in view of the fact that under the Condominium Agreement the authoı ity of the Governor General in all matters of administration in the Sudan is automatically final, so that there is no advantage in stipulating that in this particular case his decision shall be final.

The agreement with these changes, would then read as in Draft B.

If, in spite of the arguments set out above, the Egyptian Government feel that while they agree in principle with the views of the Sudan Government as to the limitation of the entry of Sudanese it will be difficult for them to give their public acceptance to a document expressly stating their intention to maintain this limitation, the Sudan Government would probably be prepared, in the last resort, to agree to the omission of paragraph 4 of Drafts A and B provided that an additional sentence was inserted in paragraph 5 to make it clear that from the Sudan Government's point of view the admission of Sudanese would have to be severely restricted. The proposed addition to paragraph 5 is shown in Draft C.

The position therefore is that Draft B represents the agreement which the Sudan Government would like to make, having taken into account the objections of the Egyptian authorities to Draft A, but that if on due consideration the Egyptian authorities feel unable to accept even the terms of Draft B the Sudan Government would probably agree with some misgivings to Draft C. His Majesty's Embassy trust that the Egyptian authorities will be able to agree to Draft B which would save time and further discussion.

May His Majesty's Embassy please be informed as soon as possible of the views of the Egyptian authorities.

As regards the site and buildings and the date of opening the school, it is understood that the Egyptian authorities have been aware for a long time of the nature of the site which is available to them for the erection of permanant

BABB./D.T.
840/53/43.
Confidential.

MEMORANDUM. *Sent to Amin Osman Pasha.*

As a result of informal discussion between members of the Egyptian Government and representatives of His Majesty's Embassy and the Sudan Agent, His majesty's Embassy have obtained an authoratative statement of the views of the Sudan Government regarding the proposal to open an Egyptian secondary School at Khartoum. His Majesty's Embassy have been instructed by His Majesty's Principal secretary of state for Foreign Affairs to support the views of the Sudan Government in this matter, and they are confident that when these views are fully appreciated as set out below they will prove to be acceptable to the Egyptian Government.

There were two main points at issue in the Preliminary discussion, one connected with the terms of the agreement to regulate the admission of students to the School, the other concerned with the site and buildings of the School and the date on which it could be opened. In order to clarify the situation with regard to the first point, three drafts of the agreement are attached, marked respectively A.B. and C. Draft A represents the consideration of the Sudan Government as communicated informally to the Controller of Secondary Education by the Acting Director of Education.

(This draft is not quite the same as that originally discussed by the Director of Education in the Sudan with the Egyptian anthorities; that draft was purely tentative and was explicitly subject to approval by the Governor General. This approval was only given subject to amendments which are now incorporated in Draft A). It is understood that the Egyptian Government felt some difficulty in accepting certain parts of Draft A, in particular that part of the first sentence of paragraph 5, paragraph 8 and the last words of paragraph 5. The Sudan Government are prepared to agree to change of the wording at the beginning of paragraph 3, which they feel will meet the Egyptian Government's wishes. They do not consider that paragraph 4, of Draft A, is redundant. When the proposal to establish a secondary school in Khartoum was originated the intention was that it should be for Egyptian boys only. The proposal was later extended to include the entry of Sudanese boys who intended to pursue post-secondary studies in Egypt, but the Sudan Government have never accepted in principle the further extension of the school to Sudanese in general and they fear that owing to the difference of curricula this could only cause confusion

خطاب فؤاد سراج الدين سكرتير حزب الوفد

جناب وكيل حكومة السودان بالقاهرة ..

تحـــية واحترامـــا وبعـــد :-

فالحاقا لحديثنا الشفوى امس بشأن زيارة بعثة الوفد للسودان ، اتشرف بافادة جنابكم باننى قد عرضت على الوفد المصرى تفاصيل الحديث الذى جرى بيننا وبينت ما تطلبه حكومة السودان من استيضاحات وما تضعه من شروط وقد بحث الوفد الأمر من كافة نواحيه وانتهى فيه إلى رأى حاسم يؤيد تمام التأييد ما ابديته لكم فى حديثنا من وجهة نظر .

لقد ذكرتم لنا جنابكم ان حكومة السودان تعلق موافقتها النهائية على التصريح لنا بالمحال المطلوبة فى الباخرة على شرطين اساسيين هما :-

أولا : معرفة اسماء اعضاء البعثة وعدم سفر من تعترض عليه حكومة السودان منهم ، واضفتم إلى ذلك ان حكومة السودان تعترض فعلا على سفر كل من الدكتور محمد مندور والاستاذ أبو الخير نجيب وانها قد تعترض فيما بعد على غيرهما .

ثانيا : ضرورة حصول أعضاء البعثة المسافرين على جوازات سفر من وكالة حكومة السودان بالقاهرة بعد تقديم صورهم الفوتوغرافية وكافة البيانات المطلوبة طبقا لما هو مبين بالنماذج المخصصة لهذا الغرض بالوكالة .

وقد استفسرت من جنابكم عن موقف حكومة السودان اذا تنازلنا عن طلب السفر على بواخرها واستأجرنا باخرة خاصة تقل البعثة من الشلال إلى حلفا فكان جوابكم ان هذا الاجراء لا يغير من الامر شيئا لان حكومة السودان ستمنعنا أيضا فى هذه الحالة من النزول إلى حلفا ما دمنا غير حاصلين على جوازات السفر .

ومع انى بينت لجنابكم انه سبق ان سافر كثيرون من المصريين إلى السودان بدون اتخاذ هذا الاجراء ومنهم اعضاء البعثة الاقتصادية فى عام ١٩٣٥ م غير انكم اصررتم باسم حكومة السودان على هذا الشرط .

ويرى الوفد المصرى انه لا يستطيع بحال من الأحوال قبول هذين الشرطين لما فى

التسليم بهما من مساس خطير بمبدأ الوحدة بين مصر والسودان ، فان تقييد إنتقال المصرى إلى السودان بهذه القيود التى لا تكون الا بين بلدين مختلفين امر يتنافى وما يؤمن به الوفد ايمانا راسخا من ان مصر والسودان قطر واحد لكل مواطن فيه الحق الكامل والحرية التامة فى الانتقال بين مختلف اجزائه ونواحيه بدون قيد او شرط .

اما فيما يختص بباقى استيضاحات وملاحظات حكومة السودان التى ابديتموها فقد اقر الوفد كل ما ذكرته لكم بشأنها وتتلخص فيما يأتى :

١ — ان زيارة بعثة الوفد للسودان زيارة سياسية فمن الطبيعى ان يجتمع اعضاؤها باخوانهم السودانيين لتوثيق الصلات بينهم وتبادل الاراء فى قضيتهم المشتركة .

٢ — ان الوفد فى الوقت الذى يحرص فيه على تلبية دعوات جميع اخواننا السودانيين بمختلف احزابهم السياسية ويسر بلقائهم والاجتماع بهم لتبادل وجهات النظر معهم لا يستطيع ان يقبل ما ذكرتموه جنابكم باسم السكرتير الادارى لحكومة السودان من ان دعوة سعادة عبد الرحمن المهدى باشا للبعثة ، وهى التى وردت فى بعض الصحف موقوفة على شرط عدم مهاجمة البعثة للجمعية التشريعية او لسياسة حزب الامـــة .

وعليه لا يخفى على جنابكم ان رأى الوفد فى هذه الجمعية وفى مشروع السودنة معروف لجميع سكان الوادى وما كان الوفد لينكر هذا الرأى او يسكت عن الجهر به التماسا لدعوة من سعادة المهدى باشا أو من غيره .

هذا فضلا عما ذكرته لجنابكم من ان هذه الدعوة لم تصل الينا بعد فلا محل اذن لتبليغنا شروط بقائها أو الغائها .

٣ — يؤيد الوفد ما ذكرته لجنابكم ردا على سؤالكم عما تعتزم البعثة عمله يوم ١٣ نوفمبر (عيد الجهاد الوطنى) وهو إقامة حفلة شاى فى فندق (الجراند اوتيل) الذى ستنزل فيه البعثة يدعى اليها اخواننا السودانيون ويلقى فيها رفعة النحاس باشا خطابا سياسيا مناسبا للمقام كعادته فى كل عام .

٤ — يوافق الوفـــد على ما ذكرته لجنابكم من اننا سنقبل اية دعـــوة من حزب الامة

للاجتماع بـــه للاطلاع على وجهة نظره ، وذلك ردا على سؤالكم عن موقفنا ازاء مثل هذه الدعوة اذا وجهت الينا .

٥ ــ يلاحظ الوفد ان قد ورد فى صحيفة الاهرام الصادرة امس لمراسلها بالخرطوم ان مدير الخرطوم قد اصدر على اثر الشغب الذى وقع يوم ٢٦ اكتوبر فى امدرمان بين شباب الختمية والانصار امرا يقضى بمنع اقامة اى اجتماع او حفل او موكب فى الشوارع العامة والطرق والميادين العامة فى المدن الثلاث (وهى التى ستزورها البعثة) كما شمل الامر كذلك حظر اية حركة منظمة بالسيارات او غيرها من انواع النقل ، فهل سيطبق هذا الامر على الاجتماعات والحفلات السياسية التى ستدعى اليها بعثة الوفد أو تدعو اليها ؟؟ وهل هذا المنع هو ما يعنيه قول جنابكم لنا ان حكومة السودان مع حرصها على ترك حرية الاجتماع كاملة للبعثة الا انها قـــد تمنـــع عقد الاجتماعات السياسية اذا اقتضت الحـــالة ذلك حـــفظا للامن والنظام ؟

اما ما اشرتم اليه فى حديثكم من ان حكومة السودان تتوقع حصول بعض المصادمات بين انصار المؤتمر وانصار حزب الامة اثناء الاجتماعات السياسية التى ستدعى اليها البعثة أو بسببها وانه قد ينادى بعض المجتمعين بهتافات عدائية ضد احدى الحكومات الثلاث السودانية او المصرية او البريطانية ما يقع تحت طائلة القانون السودانى ، وان هذا او ذاك قـــد يعرض اعضاء البعثة لبعض المسئوليات أو يسبب لهم بعض الازعاج او اعتبرتهم السلطات المسئولة مشتركين فيما قد يقع او محرضين عليه ، فان الوفد يؤكد أنه لا يوفد بعثة إلى السودان لاثارة القلاقل ولا للاخلال بالامن والنظام وانما لتوثيق الصلات بين المصريين وإخوانهم السودانيين ولتعرف احوالهم عن كثب ولتبادل الرأى معهم فى القضية الوطنية المشتركة التى تجمع بين سكان الوادى شماله وجنوبه .

وعلى كل حال فان أعضاء البعثة لا يحجمون عن تحمل كامل المسئولية عن أعمالهم أو اقوالهم بـــل هم يرحبـــون بكل ما قـــد يلقـون فى ســـبيل اداء رسالتهم من عـــناء وازعاج .

وانني فى النهاية لا زلت ارجو ان تضع حكومة السودان هذه الملاحظات موضع

الاعـــتبار وان يصـــلنى فى اقـــرب وقت ما يؤيـــد بصفة نهائيـــة حجز المحال المطلوبة بالباخرة .

وفى إنتظار ذلك ارجو قبول خالص شكرى سلفا وفائق احترامى .

المخلص (1)

فواد سراج الدين

سكرتير عام الوفد المصرى

القاهرة فى أول نوفمبر ١٩٤٨ م

(1) SA/52-A-2/9, p.77.

ثبت المصادر العربية

١ ــ وولتر امـــرى — مصر وبلاد النوبة ، القاهرة ١٩٧٠ .

٢ ــ مكى شبيكة — السودان عبر القرون ، القاهرة ١٩٦٦ م

٣ ــ الشاطر بصيلى — مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والادارةالمصرية ، القاهرة ١٩٦١ م

٤ ــ ،، ،، — معالم تاريخ سودان وادى النيل ، القاهرة ١٩٥٥ م

٥ ــ عبد العزيز أمين عبد المجيد — التربية فى السودان فى القرن التاسع عشـــر ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٤٩ م

٦ ــ محمد محمد على — الشعر السودانى فى المعارك السياسية ، القاهرة ١٩٦٩م

٧ ــ أحمد أحمد سيد أحمد — رفاعة رافع الطهطاوى فى السودان ، القاهرة ١٩٧٣م

٨ ــ يوسف فضل حسن — كتاب الطبقات ، الخرطوم ١٩٧١ م

٩ ــ محمد فؤاد شكرى — مصر والسودان ، القاهرة ١٩٥٨

١٠ ــ المارشال ويفـــل — أللنبى فى مصر ، القاهرة ١٩٧٤ م ترجمة أبراهيم الاقطشى ومصطفى كامل فودة .

١١ ــ محجوب محمد صالح — الصحافة السودانية فى نصف قرن ، الخرطوم ١٩٧١

١٢ ــ عبده بدوى — الشعر الحديث فى السودان ، القاهرة ١٩٦٢ م

١٣ ــ عبد الله فكرى اباظـة — بحوث اقتصادية عن السودان ، القاهرة ١٩٤٠ م

١٤ ــ جلال الدين الحمامصى — ماذا فى السودان ، القاهرة ١٩٤٥ م

١٥ ــ محمد أحمد محجوب — الديمقراطية فى الميزان ، بيروت ١٩٧٣ م

١٦ ــ عبد المجيد عابدين — تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، القاهرة ١٩٥٣ م

١٧ ــ حمزة الملك طمبل — الأدب السودانى وما يجب ان يكون عليه ، بيروت ١٩٧٢ م

١٨ ــ محمد حسين هيكل — ثورة الأدب فى مصر ، القاهرة ١٩٦٥ م

١٩ ــ نعوم شقير — تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ثلاثة أجزاء ، بدون تاريخ .

٢٠ ــ محمد عوض محمد — السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ، القاهرة ١٩٤٧ م

٢١ ــ عبد الرحمن الرافعى — تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، القاهرة ١٩٣٠ م

٢٢ ــ حسنين عبد القادر — تاريخ الصحافة فى السودان (١٨٩٩ ــ ١٩١٩) ، القاهرة ١٩٦٧ م

٢٣ ــ حسن ابراهيم شحاته — مصر والسودان ووجه الثورة فى نصيحة العوام ، القاهرة ١٩٧١ م

٢٤ ــ سعد مصطفى محمد — الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٠م

٢٥ ــ محمد حسين هيكل — عشرة أيام فى السودان ، القاهرة ١٩٢٦ م

٢٦ ــ حسن نجيلة — ملامح من المجتمع السودانى ، الخرطوم ١٩٥٩ م

٢٧ ــ عبد الله الطيب — الاتجاهات الحديثة فى النثر العربى فى السودان ، القاهرة ١٩٥٩ م

٢٨ ــ سليمان كشه — سوق الذكريات ، الخرطوم ١٩٦٣ م

٢٩ ــ محمد عبد الرحيم — نفثات اليراع فى الادب وتاريخ الاجتماع ، الخرطوم بدون تاريخ ، الجزء الأول .

٣٠ ــ نسيم مقار — الرحالة بالمْ فى السودان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٦١ م

٣١ ــ ،، ،، — الرحالة جون بتريك فى السودان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٦١ م

٣٢ ــ الشاطر بصيلى — تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ، القاهرة ١٩٧٢ م

٣٣ ــ عز الدين الأمين — قرية كترانج وأثرها العلمى فى السودان ، الخرطوم ، ١٩٧٥ م

ثبت المصادر الاجنبية

1. P.M. Holt, A Modern History of the Sudan, London, 1974.
2. K.D.D. Henderson, The Making of the modern Sudan, the life and letters of D. Newbold, London, 1953.
3. Mekki Abbas, The Sudan Guestion, london, 1952.
4. H. Mac Michael, The Anglo-Egyptian Sudan, London, 1934.
5. J. Duncan, The Sudan, A record of Achievement, London, 1952.
6. J.A. Hamilton, The Anglo-Egyptian Sudan from within, London, 1934.
7. R. Hill, A Biographical Dictionary of the Sudan, London, 1967.
8. R. Hill, Egypt in the Sudan, London, 1959.
9. M. Abdul Rahim, Imperialism and Nationalism in the Sudan, Oxford, 1969.
10. M.O.Bashir,Educational Development in the Sudan 1898-1956,Oxford, 1969.

ثبت المجلات

١ ــ مجلة النهضة .
٢ ــ مجلة الفجر .
٣ ــ مجلة الخرطوم .

مفتاح الوثائق

وثيقة سرية محفوظة فى سفارة السودان بالقاهرة SA/17

وثيقة سرية محفوظة فى سفارة السودان بالقاهرة . SA/52A 2/2

وثيقة سرية محفوظة فى سفارة السودان بالقاهرة . SA/56

مطبوعـــات دار جامعـــة الخرطوم للنشـــر

قائمـــه الكتـــب العـــربية

الكتـــــاب	المـــولف	الســعر فى السودان	السعر خارج السودان بالدولار
«١» دراسات فى الأدب والنقد « الجـــزء الاول »	الا ستاذ معاوية محمد نور	٥٠ قرشا	٢ر٠
«٢» قصص وخواطـــر « الجـــزء الثانى »	الا ستاذ معاوية محمد نور	٥٠ قرشا	٢ر٠
«٣» الحركة الفكرية فى المهـــدية	د . محمد ابراهيم أبو سليم	٦٠ قرشا	٢ر٥
«٤» الضرائب فى السودان	د . على أحمد سليمان	٧٠ قرشا	٣ر٠
«٥» معجم المصطلحات القانونية	د . سعيد محمد أحمد المهدى	١٥	١ر٠
«٦» اجراءات تحرير الإقتصاد الســـودانى	د . عبد الرحمن الطيب على طه د . عثمان حسن سعيد	١٠ قروش	٠ر٥
«٧» تاريخ دارفـــور السياسى	الأستاذ موسى المبارك	٦٠ قرشا	٢ر٥
«٨» البحر القـــديم « شعر »	الا ستاذ مصطفى ســـند	٢٥ قرشا	١ر٥
«٩» سالى فو حمر « قصص أفريقية »	الا ستاذ جمال محمد أحمد	٣٥ قرشا	١ر٥
«١٠» نماذج من الأدب الزنجى الأمريكى	الا ستاذ على الملك	٤٥ قرشا	٢ر٠
«١١» تأميم المصارف فى السودان	لجنة الدراسات الا قتصادية بنك الســـودان	١٠ قروش	٠ر٥
«١٢» دبلـــوماسية محمد	د . عون الشريف قاسم	٧٥ قرشا	٣ر٠
«١٣» الصهيونية وعداء السامية	د . ابراهيم الحردلو	١٠ قروش	٠ر٥
«١٤» كوبا الجزيرة التى أحببت	د . يوسف بشارة	٢٥ قرشا	١ر٥
«١٥» طبقات ود ضيف الله « تحقيق»	بروفسير يوسف فضل حسن	٣٠٠ قرشا	١٢ر٠
«١٦» أعمال الليل والبلدة	الا ستاذ ابراهيم اسحق	٢٥ قرشا	١ر٥
«١٧» الصحافة السودانية فى نصف قرن	الا ستاذ محجوب محمد صالح	٣٠ قرشا	١ر٥
«١٨» الأرض الآثمة « مترجمة »	الا ستاذان : صلاح أحمد أبراهيم وعلى المـــك	٣٥ قرشاً	١ر٥
«١٩» الشعر الحديث فى السودان	د . محمد ابراهيم الشوش	٣٥ قرشا	١ر٥
«٢٠» مصادر الدراسات السودانية	الا ستاذ قاسم عثمان نور	٢٠٠ قرشا	٨ر٠
«٢١» بعانخى العظيم « مترجمة »	د . متوكل أحمد أمين	١٠ قروش	٠ر٥
«٢٢» الجـــريمة والعقـــوبات	د . سعيد محمد أحمد المهدى	٢٥ قرشا	١ر٥
«٢٣» ظـــلا ل شـــاردة «شعر»	الا ستاذ محمد محمد عـــلى	٢٥ قرشا	١ر٥
«٢٤» دراســـات سودانية	د . عبد المجيد عابدين	٢٥ قرشا	١ر٥
«٢٥» خـــواطر طبيب بيطرى	د . محمد سليمان شاهـــين	٢٠ قرشا	١ر٠

«٢٦–٢٧» والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث «ثلاثة أجزاء» مجلدين	د. عبد القادر محمود		
الجـزء الأول		٦٠ قرشا	٥ر٢
الجـزء الثانى والثالث فى مجلد واحـد		١٠٠ قرشا	٠ر٤
«٢٨–٣١» أفق وشفق «٤ أجزاء» «شعر»	الشاعر توفيق صالح جبريل تحقيق د. محمد ابراهيم أبو سليم ومحمد صالح حسن	٥٠ قرشا	٠ر٢ للجزء الواحد
«٣٢» نحـو الغـد	محمد أحمد محجوب	٥٠ قرشا	٠ر٢
«٣٣» القصة الحديثة فى السودان	الأستاذ مختار عجوبة	٥٠ قرشا	٠ر٢
«٣٤» نماذج من القصة القصيرة السودانية	الاستاذ مختار عجوبة	٣٠ قرشا	٥ر١
«٣٥» مبادىء الكسـونيات «طبعه اولى»	الاستاذ الأمين محمد أحمد كمورة	٦٠ قرشا	٥ر٢
«٣٦» صحو الكلمات المنسية «شعر»	النور عثمان أبكـر	٢٥ قرشا	٥ر١
«٣٧» مسائل فى الابـداع	جمال عبد الملك «ابن خلدون»	٦٠ قرشا	٥ر٢
«٣٨» أطفالنا غذاؤهم وصحتهم	د. حافظ الشاذلى	٤٠ قرشا	٥ر١
«٣٩» حصار وسقوط الخرطوم	الأستاذه ميمونة ميرغنى حمزة	٦٠ قرشا	٥ر٢
«٤٠» أدب وأدباء	د. محمد أبراهيم الشوش	٤٠ قرشا	٥ر١
«٤١» التربية من أجل الاعتماد على النفس	جوليوس نايريرى ترجمة الأستاذ على النصرى حمزة	١٢ قرشا	٥ر٠
«٤٢» اتجاهات وميول الطلاب «فى جامعة الخرطوم»	د. السمانى عبد الله يعقوب د. عزيز حنا داؤد	١٥ قرشا	٠ر١
«٤٣» محمد على فى السـودان	د. حسن أحمد ابراهيم	٦٠ قرشا	٥ر٢
«٤٤» غـربة الـروح	د. ابراهيم الحـاردلو	٣٠ قرشا	٥ر١
«٤٥» تصـدع وقصص أخـرى	الفائزون فى مسابقة المجلس القومى للآداب والفنـون	٤٠ قرشا	٥ر١
«٤٦» نـداء المسافة «شعر»	تـيراب الشريف	٢٦ قرشا	٥ر١
«٤٧» العودة إلى سـنار «شعر»	الدكتور محمد عبـد الحـى	٣٠ قرشا	٥ر١
«٤٨» الرحـيل فى الليـل «شعر»	الأستاذ عبد الرحيم أبو ذكـرى	٣٠ قرشا	٥ر١
«٤٩» فى المسرحية الأفـريقية	الأستاذ جمال محمد أحمـد	٣٥ قرشا	٥ر١
«٥٠» الشـرافة والهجرة «شعر»	محمد المهـدى المجـذوب	٧٥ قرشا	٠ر٣
«٥١» المهـدية والحبشـة	الأستاذ محمد سعيد القـدال	٧٠ قرشا	٠ر٣
«٥٢» القصيـدة المادحـة	البروفسير عبد الله الطيب	٦٠ قرشا	٥ر٢
«٥٣» حـوار مـع الصفـوة	د. منصور خالـد	٧٥ قرشا	٠ر٣
«٥٤» مـدينة من تـراب «شعر»	الأستاذ على الملـك	٥٠ قرشا	٠ر٢
«٥٥» رسـائل عثمان دقنة	د. محمد ابراهيم أبوسليم	٧٠ قرشا	٠ر٣
«٥٦» دراسات فى علم الانثروبولوجيا الاقتصادى وقضايا التنمية	د. عبد الغفار محمد أحمد	٦٠ قرشا	٥ر٢
«٥٧» مع أبى الطيب (طبعة ثانية)	البروفسير عبد الله الطيب	٧٥ قرشا	٠ر٣
«٥٨» شـعراء الوطنية فى السودان	د. صلاح الدين المليك	٧٥ قرشا	٠ر٣
«٥٩» وجـدان أفريقيا	الاستاذ جمال محمد أحمد	٥٠ قرشا	٠ر٢

العنوان	المؤلف	السعر	
«٦٠» دراسات فى تاريخ السودان	البروفسير يوسف فضل حسن	١٥٠ قرشا	٦ر٠
«٦١» قانون تقييد الايجـارات	د . محمد الشيخ عمـر	٢٧٠ قرشا	١٢ر٠
«٦٢» مختارات من الأدب السودانى	الأسـتاذ على الملك	١٥٠ قرشا	٦ر٠
«٦٣» الوجيز فى قانون الشفعة السودانى	د . سعيد محمد أحمد المهدى	٤٥ قرشا	٢ر٠
«٦٤» الرائد فى تجويد القـرآن	الا ستاذ محمد سالم محيسن	٦٠ قرشا	٢ر٥
«٦٥» فـن المسـدار	د . سيد حامد حـريز	١٤٥ قرشا	٦ر٠
«٦٦» سقط الزند الجديد «شعر»	البروفسير عبد الله الطيب	٨٥ قرشا	٤ر٠
«٦٧» مبادىء الكونيات (طبعة ثانية)	الا ستاذ الأمين محمد أحمد كعورة	١٠٥ قرشا	٤ر٠
«٦٨» أغانى الأصـيل «شعر»	البروفسير عبد الله الطيب	١٢٥ قرشا	٥ر٠
«٦٩» هل كان عنترة سودانيا	ضرار صالح ضرار	٧٠ قرشا	٣ر٠
«٧٠» المخطـىء الصغير	الأستاذ مبارك المغـربى	٦٠ قرشا	٢ر٥
«٧١» أثر التغذية الرجعية على التحصيل	د . عزيز حنا داؤد		
«٧٢» الملكـة اروى	البروفسير محمد عبده غانم	٧٥ قرشا	٣ر٥
«٧٣» الشـلوخ	البرفسير يوسف فضل حسن	٧٥ قرشا	٣ر٥
«٧٤» البشـارة «شعر»	محمد المهدى المجذوب	٥٠ قرشا	٢ر٠
«٧٥» ديوان البنـا	الأستاذ عبد الله محمد عمر البنا	١١٤ قرشا	٧ر٠
«٧٦» فنون العمارة فى الا ولمبياد	د . عمر الا قرع	٩٠ قرشا	٤ر٠
«٧٧» الأجور ومشاكل العمل فى السودان	د . على أحمد سليمان	٧٥ قرشا	٣ر٠
«٧٨» ريش النعام	د . خالد المبارك	٥٠ قرشا	٢ر٠
«٧٩» العلا ئق الثقافية بين مصر والسودان	د . ابراهيم الحاردلو		

كتب تصـدر قريبـاً :—

العنوان	المؤلف
«١» بعض الرحيق انا والبرتقالة أنت	الأستاذ محمد المكى ابراهيم
«٢» الحضـارة المرويه	بروفسير شينى
«٣» بعض وثائق سنار فى القرن الثامن	د . محمد ابراهيم أبو سليم — د . سبولندق
«٤» السودان والثورة المهـدية من حصار الخرطوم إلى كررى	البروفسير مكى شبيكه
«٥» بيان وجوب الهجرة على العباد	عثمان دان فودى — ترجمة د . فتحى حسن المصرى
«٦» فى الشخصية السودانية	د . محمد ابراهيم أبو سليم
«٧» بين الا صالة والتبعية	د . مدثر عبد الرحيم
«٨» نظـام القضاء فى دولة المهدية	على محمد على صالح
«٩» مقدمة فى الرياضيات الحديثة	عبد الله حامد صالح
«١٠» الشعر سحر وفـن	أبو القاسم بدرى
«١١» ديوان ود سـعد	تحقيق قرشى محمد حسن
«١٢» ديوان خليل فرح	تحقيق الاستاذ على الملك
«١٣» دراسات فى البيئة السودانية	حسن مصطفى حسن

دوريات عربية

١ ـ مجلة كلية الآداب

(45) " " " "	Scientific English (Part 1) (Answer Book)	0.400	1.50
(46) " " " "	Scientific English (Part 11)	0.800	3.00
(47) " " " "	Scientific English (Part II)(Answer Book)	0.400	1.50
(48) Galal El Din El Tayeb	Forestry and Land use in the Sudan	0.250	1.50
(49) Dr. W.S. Mann	Farm Planning & Budgiting Technique		
(50) A.A. Bayoumi	Forest Bibliography of the Sudan (up to 1973)	1.500	6.00
(51) Zeinab El Fatih El Badawi	The Muslim Woman	0.300	1.50
(52) Prof. Abdalla El Tayed	Heroes of Arabia	0.400	1.00
(53) Ministry of Culture and Information	Sudan Today		7.50
(54) Dr. Omer Beleil	Two Lives	0.500	3.00
(55) Chief Editor Dr. Ali Abdalla Abbas	ADAB journal of the Faculty of Art Volume (1) (11) (111)	0.500 1.000	2.00 4.00
(56) Chief Editor Dr. Ahmed A. Ahmed	Sudan Journal of Economic and Social Studies Volume (1) (11)	0.500 1.000	4.00 4.00
(57) Chief Editor Dr. M.Y. Sukkar	Sudan Medical Journal Volume (I) to (XIII)	1.000	4.00
(58) Chief Editor Dr. M.O. Khidir	Sudan Agricultural Journal	0.500	2.00
(59) Dr. El Sayed El Bushra	An Atlas of Khartoum Conurbation	1.500	6.00
(60) The Graduate collage University of Khartoum	Dissertation Abstracts University of Khartoum	2.000	9.00
(61) Dr. Hassan Ahmed Ibrahim	The 1936 Anglo Egyptian Treaty	1.500	6.00
(62) Ndabaningi Sithole	The Zimbabwe We Fight For		

FORTHCOMMING TITLES

AUTHOR	TITLE
(1) Osman Dan Fodi Edited by Dr. Fathi Hassan El Masri	Exposition of the Necessity of Emigration upon the Servants of God and the Necessity of Appointing Imam and Undertaking Jihad.
(2) Edited by Dr. Ali Mohammed El Hassan	Growth, Employment and Equity
(3) Dr. Saeed M. A. El Madi	Introduction to the Land Law of the Sudan.
(4) Dr. Salah A/Rahman Ali Taha	Nutrition in the Gezira
(5) John Abazza	French Criticism on Shakesperian Tragedy

(24) Dr. El Sammani A/Alla Yagoub	Scientific and Technical Potential in the Sudan (A Summary of Results)	0.300	1.50	
(25) Rafia Hassan Ahmed	Critical Appraisal to the Role of the Public Service Commission in the Sudan (1954–1969)	0.500	2.00	
(26) Edited and introduced by Dr. Ali Mohamed El Hassan.	An Introduction to the Sudan Economy	1.600	6.00	
(27) Dr. Ali Ahmed Suliman	Issues in the Economic Development of the Sudan.	1.100	5.00	
(28) Edited by F.B. Imam	Industry in Sudan: First Erkowit Conference 1966	2.000	8.00	
(29) Dr. Mohamed A/ Rahman Ali	Government Expenditure and Economic Development: A Case Study of the Sudan.	1.350	6.00	
(30) Dr. Mohamed A/ Rahman Ali	Fluctuation and Impact of Government Expenditure in the Sudan 1955–1967	0.750	3.00	
(31) By Sayed Nimeri	Taxation and Economic Development (Acase study of the Sudan) with A foreword by Jesse Burkhead	1.450	6.00	
(32) Dr. Osman Hassan Saeed	The Industrial Bank of Sudan 1962 -1968 (An Experiment in Development Banking)	0.150	1.00	
(33) Dr. Ahmed Hassan El-Jack	The Sudan Management Development and Productivity Centre	0.450	2.00	
(34) Dr. A/Rahman E.T. Ali Taha Dr. Ahmed Hassan El Jack	The Regulation of Termination of Employment in the Sudanese Private Sector (A Study of the Law & its Application.)	0.250	1.5	
(35) Dr. Saeed M.A. El Mahdi	Definition of Common Leagal Words and Phrases			
(36) Dr. Saeed M.A. El-Mahdi	A Guide to the Land Settlement and Registration in the Sudan.	0.200	1.00	
(37) Mohamed Omer Bashir	Education In Africa	0.300	1.50	
(38) Dr. Mahdi Amin Eltom	The Rains of the Sudan (Mechanism and Distribution)	.950	4.00	
(39) Dr. Hassan Mustafa Hassan	An Illustrated Guide to the Plants of Erkowit	3.500	14.00	
(40) Dr. Faisal Tag El-Din	Flies, Mosquitoes and Disease	0.850	4.00	
(41) Dr. T.V. Venkatraman & Dr. A.I. Badawi	Agricultural Zoology for Students In Africa.	2.000 1.250	8.00 5.00	(H.B) (P.B)
(42) Dr. Yousif B.Abu Giderri	A Dissection Guide for the Common African Toad (Bufo Regularis)	0.150	1.00	
(43) Prof. J.L. Cloudsley Thomson and Dr. Faisal Tag El Din	A Guide to the Physiology of Terrestrial Arthropoda.	0.650	2.50	
(44) W. Crewe, D. Dallas & D. Porter	Scientific English (A comprehension course Part 1.	0.750	3.00	

K.U.P. ENGLISH PUBLICATNIONS

AUTHOR	TITLE	PRICE INSIDE SUDAN m/ms	PRICE OUTSIDE SUDAN $.
(1) A/Rahman El Nasrie	Theses on the Sudan	.500	2.00
(2) University of Khartoum Library	The Classified Catalogue of the Sudan Collection in the University of Khartoum Library.	10.000	75.00
(3) University of Khartoum Library	First Supplement of the Classified Catalogue of the Sudan Collection in the University of Khartoum Library.	5.000	15.00
(4) Prof. Mansour Ali Hassieb	A Monograph on Biomedical Research in Sudan Vol. 1	.750	3.00
(5) Edited and Intoduced by Dr. A/Gadir M. Abdalla	Studies in Ancient Languages of the Sudan	.650	2.5
(6) Edited and Intoduced by Prof. Yousif Fadl Hassan	Sudan in Africa	1.500	6.00
(7) Dr. Abbas Ibrahim Mohamed Ali	The British, The Slave Trade and Slavery in the Sudan, (1820–1881)	0.600	2.50
(8) Prof. Yousif Fadl Hassan	The Arabs and the Sudan	1.000	4.00
(9) Mohamed Omer Bashir	The Southern Sudan Background to Conflict	.650	2.50
(10) Ministry of Foreign Affairs	Peace and Unity in the Sudan: an African Achievement	1.000	4.00
(11) Francis Mading Deng	Dynamics of Identification	0.700	3.00
(12) Dr. Abdel Ghaffar M. Ahmed	Shaykhs and Followers	0.750	3.00
(13) Salah El Din El Zein El Tayeb	The Students Movement in the Sudan	0.250	1.50
(14) John Howell	Local Government and Politics in the Sudan	0.900	4.00
(15) Dr. Faisal A/Rahman Ali Taha	Settlement of the Sudan – Ethiopia Boundry Dispute	0.250	1.50
(16) Dr. Omer El Nagar	The Pilgrimage Tradition in West Africa	0.770	4.00
(17) Dr. Omer El Nagar	The Pilgrimage Tradition in West Africa H.B.	2.250	9.50
(18) Dr. Ibrahim Alhardallo	Antisemitism: A Changing Concept	0.100	0.50
(19) George Jabbour	Settler Colonialism in Southern Africa and the Middle East.	1.000	4.00
(20) Mohamed Omer Bashir	Israel and Africa	0.200	1.00
(21) Mohamed Omer Bashir	The Mercenaries and Africa	0.100	1.00
(22) Dr. Sayed Hamid and Dr. Herman Bell	Directions in Sudanese Linguistics and Folklore	1.750	8.00
(23) Hassan Dafalla	The Nubian Exodus	6.000	23.00